مجلة مجمع اللغة العربية الأردني

العدد المزدوج ٥ ــ ٦
جمادى الآخرة ـ ذو القعدة/١٣٩٩هـ.

السنة الثانية
أيار ـ كانون الاول / ١٩٧٩م.

الصفحة

مـــع الكتـــب

رايات المبرزين وغايات المميزين ، لابن سعيد الاندلسي
مراجعـــة الدكتور رضوان الدايـــــه ٢٠٨

. . .

مجمعيـــون راحلـــون

١ ـــ الزميل المستشرق المجري عبد الكريم جرمانوس
لعيســـى الناعـــوري ٢٢٤

٢ ـــ فقيد العربية الاستاذ عباس حسن
للدكتور عدنـــان الخطيب ٢٣٠

. . .

تعليقات ومناقشات

١ ـــ « تين ايجرز » = « عشرون »
لعيســـى الناعـــوري ٢٤٨

٢ ـــ تقرير لمعجم عربي لمحصول الحبرب الجديد
الدكتـــور خـــري الصفـــــر ٢٥٠

. . .

اخبـــار مجمعيـــة

١ ـــ ذمي عالم جليل : الحاج عبد الكريم جرمانوس ٢٥٤

٢ ـــ المجمـــع العلمي الهندي ٢٥٥

٣ ـــ انتخاب اعضاء مراسلين في المجمـــع العلمي الهندي ٢٥٥

٤ ـــ المجمـــع العلمي العراقي ٢٥٦

٥ ـــ ... لجل تعريب التعليم العلمي الجامعي ٢٥٦

٦ ـــ ... المصطلحات ٢٥٧

كُتب الأنساب وتاريخ الجزيرة

للدكتور عبد العزيز الدوري
(عضو مشرف في مجمع اللغة العربية بدمشق)

١ ــ لا يُراد هنا بيان اهمية النسب ودوره في الحياة العربية ، وتكفي الاشارة الى انه كان بصوره المتعددة اساسيا في حياة القبائل قبل الاسلام، وعاملا بعيد الاثر في الحياة العامة بعد الاسلام . واذا كانت ظروف الحياة في البادية تؤثر في تحديد الكيانات القبلية، بتحديدها او بتوسيعها عن طريق الحلف والتداخل الأنساب، فان الأنساب في العصر الاسلامي أثرت في تنظيم الديوان ، وفي التعمير ، وفي تنظيم المقاطعة ، كما أثرت (وتأثرت بدورها) بالظروف السياسية في الدولة الاسلامية، وبالصراع على السلطة . وخلال ذلك كله كانت العناية بالنسب كبيرة، والتأكيد عليه واضحا .

ظهرت العناية بالانساب، بروايتها وكتابتها، خلال القرن الاول للهجرة ، وتمثلت في مرحلتها الاولى بوجود نسّابين في كل قبيلة ، وبوجود كُتب لدى القبائل بأنسابها واخبارها واشعارها . وتشير الهمداني الى وجود سجلات (زُبُر) لدى عرب اليمن بأنسابهم اطّلع على بعضها (الاكليل ج ١٠ ص ٧٠ ــ ١ ومن ١١١) .

وظهر نسّابون ومتعوا اهتمامهم الى الكثير من قبائل وبدأوا بجمع انساب القبائل في النصف الاول من القرن الثاني للهجرة ، جنبًا الاهتمام بنسب قريش خاصة ؛ كما ظهر بين النسّابين من اهتمّ باخبار القبائل مع انسابها، فاسهموا في الدراسات التاريخية . وفي طليعة هؤلاء محمد بن السائب الكلبي (المتوفى

ابن النديم ص ٩١ من اهتمام الوليد بن يزيد بالانساب ؛ والاغاني ج ١٩ ص ٥٩ من اهتمام خالد القسري بها) .

ولم تصلنا مؤلفات من الانساب الا من القرن الثالث ، في مقدمتها "جمهرة النسب" لهشام بن السائب الكلبي ، ثم "نسب قريش" لمصعب الزبيري (وقطعة من جمهرة نسب قريش واخبارها لابن اخيه الزبير بن بكار ٢٥٦هـ) . وتبلغ الكتابة في اطار النسب اوجها عند البلاذري (٨٩٢/٢٧٩) . وسنتناول الملاحظات التالية المؤلفات الثلاثة المذكورة :

٢ ـ وجمهرة النسب لابن الكلبي (٨١٩/٢٠٤) كتاب شامل في انساب العرب (اطلعنا على مخطوطين له : الاول مخطوط المتحف البريطاني ؛ فيه انساب عرب الشمال ، ونسب الازد ، وعنوانه جمهرة النسب (ونرمز له بـ ق ١) ، والثاني مخطوط الاسكوريال ، وفيه نسب ربيعة ، ثم انساب القبائل اليمانية ؛ وعنوانه : كتاب النسب الكبير (ونرمز له بـ ق ٢) .

ويبدو ان "جمهرة النسب" جاء برواية محمد بن حبيب (انظر ق ١ ص ٢ ب ، ١١٩ ا ، ١٩٤ ا) ، في حين ان كتاب النسب الكبير جاء عن ابن الكلبي مباشرة . كما يبدو ان ترتيب القبائل لا يخلو من اختلاف بين المخطوطين ؛ ففي حين ترد الازد اول القبائل اليمانية في جمهرة النسب ، يبدأ كتاب النسب الكبير بكندة (ق ٢ ص ٨٧) ويتناول مجموعة من القبائل قبل ان يتناول الازد (ق ٢ ص ٢٥١) . وهذا يتطلب دراسة مقارنة لتكوين فكرة عن اثر الرواية في تناقل الكتاب .

ويرد في آخر النسب الكبير : « آخر كتاب نسب معد واليمن الكبير ، تاليف محمد بن السائب الكلبي » (ق ٢ ص ٥٢٨) . وهذا يناقض ما جاء في مطلع الكتاب وفي ثناياه ؛ وهو غير دقيق بالنسبة لكتابنا ، ولكنه له دلالته . فهل وضع الكلبي كتابا في الانساب ؟

احمد درس الكلبي (٧٦٣/١٤٦) انساب العرب وحاول جمع

الروايات القبلية من نُسّاب القبائل ، ومن افضل نُسّابه في كل قبيلة كما افاد ؛ ورجع الى شعر النقائض مناسبة نقائض الفرزدق . وقد افاد ابنه هشام من دراساته وانتهى في وضع كتابه (الدوري — بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، ص ٤٠ — ١) . وان لم ترد اشارة الى كتاب له . الا ان الاشارات في ثنايا الكتاب تشعر بانه وضع كتابا ؛ فقد جاء : « وفي كتاب الكلبي » (ق ١ ص ٧٤٩) و « عن كتاب محمد بن حبيب عن الكلبي » (ق ١/١١٨ ا) ، و « هذا ليس من كتاب الكلبي » (ق ١/٦٥ ب) ، و « وقال ابو جعفر : هذا من غير كتاب الكلبي » (ق ١/١٦٤ ، ٧٠ ب) ، و « عاد الى كتاب الكلبي » (ق ١/٦٥ ب ، ١٧١) و « رجع الى حديث الكلبي » (ق ٢/١٤٢ ، ١٤٤) . هذا اضافة الى اشارات مثل « قال الكلبي » (ق ١/٤٨ ب) التي تسند الشيء الى الاخذ من كتاب او شفاهًا .

وهكذا يتبين ان محمد بن السائب الكلبي وضع كتابا في النسب (ويبدو ان عنوانه : نسب معدّ واليمن الكبير) ، وان ابنه هشام روى هذا الكتاب كما يبدو من مطلع الهجرة (ق ١/٢ ب) ومن ثنايا الكتاب (ق ١/١٦٠ ا : « نسب ولد مليكة بن مضر بن نزار بن معدّ، عن الكلبي » ، وفي ق ٢/٨٥ : « وابنه هشام بن محمد بن السائب الراوي عن ابيه ») .

واضاف ابن الكلبي دراساته وبحوثه، كما يتضح من بعض الاشارات . مثلا : « قال ابن الكلبي : حدثنا خراش قال : سمعت اشياخا لبكر بن وائل يتولون » (ق ١/١٦١ ا) . و « قال هشام بن الكلبي، قال خراش : كانوا .. » ، (ق ١/١٧٢ ا) و « قال هشام بن محمد الكلبي، حدثنا ابو مخياب الكلبي عن يحيى بن عروة بن هانيء المرادي .. » (ق ٢/٨٥ — ٦) . وعند الحديث عن ام « عايذ بن ثعلبة » يرد « واسمه اسماء، وهي الجذماء بنت جل بن عدي بن عبد مناة .. وكان شرقيّ بن القطامي يقول: هي الجذماء بنت علبة .. بن عمرة بن اسد . قال هشام :

وهذا من قوله باطل لا يعرف ، والقول هو الاول » (ق ١/١٩٥ ا).
ويرد ذكر بعض من اخذ عنهم ابن الكلبي ، فعند الاشارة الى القيل الرواية يقول ابن حبيب :« وكان صدوقا .. وقد لقي هشام ابن الكلبي لقيطا » (ق ١/١٦٣ ب) ، وعند ذكر العلاء بن المنهال (من غني بن اعصر) يرد:« كان شريفا لقيه ابن الكلبي وكان يحدث عنه » (ق ١/١٨٩ ا) . وفي ذكر مسيك المرادي يرد: « قال هشام بن محمد بن الكلبي،حدثنا ابو خباب الكلبي ..الخ » (ق ٢/٦) . ويشار الى بعض من لقيهم ابن الكلبي،مثل عرفاء بن مساد بن شريح،« وقد لقيه هشام بن الكلبي في زمان ابي جعفر وهو ابن تسعين سنة،وكان بدويا » (ق ١/٢٠٤ ا ، وانظر ق ١/٧٨ ا عن الشاعر ابي الشعب) .

وقد ترد اشارات الى انساب لم يذكرها الكلبي ، مثل « وولد قيس بن ثعلبة بن عكابة ضبيعة وتيما .. ولم يذكر الكلبي ولد تيم » (ق ١/٢١٥ ا) ؛ و « هؤلاء بنو الهجيم بن عمرو بن تميم » ، وليس هذا عن الكلبي » (ق ١/٩٣ ا) . او ترد تعديلات ؛ ففي الحديث عن بعض الأوس يذكر : « وعبد الرحمن بن ابي ليلي .. كان مولى الانصار،فدخل فيهم ابن لحيحة،في قول الكلبي ؛ واما ولده فقالوا اسمه داود بن بلال بن لحيحة » (ق ١/٥٩ ا) .

ويبدو ان محمد بن حبيب قام ببعض التدقيق او الاضافة في روايته ونشره لجمهرة النسب ، كما يتبين من بعض الملاحظات مثل « قال ابو جعفر : هذا من غير كتاب الكلبي، كتبته من بعض ولد عطارد » (ق ١/١٦٤ ا) ، ومثل « وكان في اصل كتاب الكلبي خلف بن معشر،ولم يكن فيه بدر وعتبة ، ويدر من كتاب ابن الاعرابي (٨٤٦/٢٣١) » (ق ١/٤٧ ب) . وتتكرر الاشارات لأخذه من كتاب ابن الاعرابي ؛ « وفي كتاب ابن الاعرابي محتلم ابن حثابة مكان ليث » (ق ١/٩٠ ا ، وانظر

٤٩ ب ، ٤٨ ب ، ٤٧ ب) ، ومثل قوله « وهو ابو عبد الله بن قتيبة . قال ابن الاعرابي قتمة ، وقال الكلبي قتمة » (ق ١/١١٢ ب) .

وينسب الكلبيان الى التشيع ؛ ولا نجد في الكتاب ما يشعر بذلك الا في ملاحظات قليلة عرضية (انظر ق ١/١٢٠ ا ، ١٦٧ ا ، ١٨٠ ا ، ١٠٧ ب وخاصة ٢٥٦ ا) وفي الاهتمام بقتلى من قتل مع علي ، والحسين ، وفي حركة المختار . ولكن الكتابة تتسم بالدقة والموضوعية بصورة عامة .

٣ ــ ولجمهرة النسب اهمية كبيرة في ذكر الشخصيات العربية من الجاهلية الثانية الى ايام المأمون (ق ١/٢٠٣ ب ــ ٢٠٤ ا) ؛ مع تعليق موجز او اشارة مركّزة تبيّن دور من يظهر في الاصول المختلفة ــ من كان شريفا او سيدا في قومه ؛ ومن برز في يوم من ايام العرب ، ومن كان فارسا ، ومن رواة الاصل النبي (ص) او صحبه ، ومن استشهد في مغازي الرسول (ص) خاصة بدر واحد ، ومن استشهد في الردّة ؛ كما نذكر بعض من قُتل في ايام العرب الكبرى في الاسلام ،كالقادسية واليرموك والجمل وصفّين .

ويُعنَى المؤلف بصورة خاصة بالاشارة الى من تولّى مناصب مسؤولة ،من امراء وعمّال ، وقادة ، واصحاب شرط ، وقضاة . وهو حريص على ذكر الشعراء في القبائل . وبالاضافة الى من يتسمّى بمن تميّز في مجالات اخرى ،مثل الخوارج ، ونقباء الدعوة العباسية ؛ وبمن تميّز في حقول الثقافة ،كالفقه والنحو والاخبار ، وهو ينفرد بعد هذا ببعض الملاحظات او المعلومات التي لا نجدها عند غيره .

ولعلّ امثلة من الاشارات والملاحظات التي يوردها توضح طبيعة اخباره . فمن اخبار الجاهلية ــ امثلة : « منهم سعد بن

خسفان بن ظالم،كان سيد بني سعد في زمانه .. وكان جاهليًا » (ق ١/٨٤ أ ـ ب) . هوذة ابن علي بن ثمامة (من بني سحيم) وكان يجيز البرد لكسرى حتى تبلغ نجران ، فاعطاه كسرى قانصية قيمتها (٣٠،٠٠٠) درهم » (ق ٢/٣٥) . « ومنهم (الازد) السموأل بن حيا بن عاديا بن رفاعة بن الحارث بن ثعلبة بن كلب ؛ كان من اوفى العرب،وهو صاحب تيماء،وولده بها الى اليوم » (ق ١/٢٤٨ أ) . « وحارثة بن عمرو (شيبان) وهو ذو الجناح ؛ كان على بكر بن وائل يوم اوارة ، يوم قاتلت بكر بن وائل المنذر بن ماء السماء (ق ١/ ١٩٦ أ) .

ومن الفترات الاسلامية ـ امثلة : « ابو رحم،وهو كلثوم بن الحصين بن عتبة بن خلف .. استخلفه رسول الله في غزوة حنين وفي حجة الوداع على المدينة » (ق ١/٤٩ أ) .

« وشرحبيل بن السمط بن الاسود .. شهد القادسية ؛ جاهليّ اسلامي ، والي حمص،وهو الذي قسمها منازل حين افتتحها » (ق ٢/٩١) . « فمن بني سعد بن مرة (ذهل) المثنى بن حارثة ... صاحب يوم النخيلة الذي قتل مهران » (ق ١/٢٠٠ أ).

« فمن بني بهدلة عوف بن حصين،وهو الزبرقان بن بدر .. الذي ادى الصدقة الى ابي بكر في الردّة » (ق ١/٨٩ أ) .

« ان سليمان بن كندير وَلاّه عثمان نجران (من قشير بن كعب) » (ق ١/١٣٦ أ) « منهم (مازن بن منصور) عتبة بن غزوان .. الذي فتح البصرة،وكانت يومئذ البصرة (كذا) ، وهو الذي بصر البصرة » (ق ١/١٥٧ أ) .

« ومن بني عمرو بن امرىء القيس .. عامر بن النعمان بن عامر الشرقي،وهو الوليد بن القطامي .. النسّابة ؛ كان في صحابة المنصور والمهدي » (ق ٢/٤٣٧) وانظر (ق ١/١٦٣) .

« لقيط الرواية وكـان سدوقا » . « منهم سعيد بن الخشن بـن عمارة .. وكان فقيهـا بالكوفة » (ق ١/٨٢ أ) . انظـر ق ٢/٢٠٠ ، ٢٠١ ، ق ١/١٠٨ ب) .

« علـي بن ظبيان بن هلال بن قتادة (غطفان) قاضي القضـاة لهرون الرشيد على الشرقية ، وكـان ولاه الخاتم مع محمد بـن هرون ، وولاه قضاء القضـاة » (ق ١/١٧٠ أ) .

« عبد الله بن الدلفيلي بن ثور ، شهد مع علـي بقتاصه .. وهو جـد البكائي صاحب المغازي » (ق ١/١٤٢ ب) .

« لاهز بن قريظ النقيب بن سرى الكاهن ؛ قتله ابـو مسلم لقوله لنصر بن سيار : ان المسلا يأمرون بك » (ق ١/٨٥ ب ، وانظر ٨٦ أ عن القاسم بن مجاشع النقيب ، و ٨٥ ب عن عبد الله بـن كعب النقيب) .

« ابـو بلال مرداس ،واخوه عمرو ،ابنـا مدبر بن عمرو .. وامهما ادية ،وهما الخارجيان » (ق ١/٧٦ ب وانظر ق ٢/١٤١) . « راسب بطن منهم عبد الله بن وهب الخارجي ،قتـل يوم النهر » . اشارات اخرى (ق ١/١٦٨ب ، ١٦٩ ب ، ٢٣٠ب ، ٧٨ب ـ ٧٩ أ) .

« مـن ولده (مخنف بن سليم الأزدي) ابـو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد بن عنف الراوية » (ق ٢/٢٢٤) .

« شرحبيل بن معدي كرب .. وفـد الى النبي (ص) وكـان في الفـين وخمسمئة (من العلماء) » (ق ٢/٦٠ وانظر ٦١ ، ٦٢ ، ١٠٠ ، وانظر ق ١/٨٣ أ عن حجر بن عدي « وكـان في ٢٥٠٠ ») .

ويشـير الـى الشعراء (انظـر ق ١/٢٠٨ أ ـ ب ، ٢٠٩ أ ، ٢١١ أ ـ ب) ، ويورد مقتطفات مـن شعرهـم (انظـر ق ١/١٣٨ أ ، ١٥٣ أ) هي في العادة بين بيتين وثلاثة ابيات ،وقد تصل الى خمسة او ستة ابيـات .

ويشير ابن الكلبي الى عدد كبير من ايام العرب في معرض حديثه عن شريف او فارس ؛ مثل قوله : « فمن بني عمرو بن ربيعة هانيء بن مسعود .. كان على بكر بن وائل يوم ذي قار » (ق ١/١٩٧ ا) . و « منهم عبّاد بن مسعود بن عامر، الذي هاج القتال بين تميم وبكر بن وائل يوم اللصاف » (ق ١/١٩٦ ا ــ ب). و « ومن بني عتبة بن سعد .. صاحب مقدمة كليب يوم خزاز » (ق ١/٢٢٨ ا) . او ترد الاشارة بمناسبة قتل شريف، مثل « ويزيد (غطفان) قاتل كهف الظلم الغساني يوم جبل فيد » (ق ١/١٧٢ ب) ، او لحادث ذي صلة مثل « ضبيعة بن الحارث بن كلدة .. الذي يقول له عامر بن الطفيل، وطعنه يوم النتاءة .. » ق ١/١٨٦ ا) .

ومن الايام التي يشير اليها يوم اوراة (ق ١/١٩٦ ب) ويوم الهلاة (ق ١/١٨٨ ا ــ ب) ويوم جبلة (ق ١/١٧٨ ب ــ ١٢١ ا) ويوم الذنايب (ق ١/٢٢٦ ب) ، ويوم الكلاب (ق ١/١٣٠ب ، ٢٢٧ب ، ق ٢/١٨١) ، ويوم قصة (ق ١/٢٠٧ب)، ويوم اللصاف (ق ١/١٩٧ ا ــ ب) ، ويوم التحالق (ق١/١٩٦ ا)، ويوم النجير (ق ٢/١٠٤) ، ويوم الاجفر (ق ٢/١٥٥) ويوم صفاق (ق ٢/١٨٥) ، ويوم فيف الريح (ق ٢/١٨٨) ، ويوم الاخرين (ق ٢/١٩٠) ، ويوم الزرم (ق ٢/١٩٠) ، ويوم بعاث (ق ٢/٢٦١) ، ويوم عين التمر (ق ٢/٦٢) ، ويوم النفار (ق ٢/١٦٢) ، ويوم الكلاب الثاني (ق ١/١٩٨ ا) ، ويوم العرين (ق ١/١٢٤ ا) ، ويوم الحاجر (ق ١/١٣٣ ا) ويوم الرقم (ق ١/١٢٢ ب) ، ويوم النحيل (ق ١/٢٣٠ ب) ، ويوم القرار (ق ١/١٣١ ا) ويوم ذي علق (ق ١/١٢٢ ب ــ ١٢٣ ا) .

ويتناول الكثير من شؤون القبائل ، فيورد ملاحظات عن دخول جماعات من قبيلة في نسب قبيلة اخرى ، وبذلك يعدل من النظرة بان النسب كله لاب واحد ، سواء اكان هذا الدخول

لاسباب قبلية أو معاشية او سياسية . فعند الحديث عن نسب اياد بن نزار يقول:« وولد زهير بن اياد حذافة والتمال دخلوا في تنوخ ، وعبد الله دخل في بني تميم ، وعمرا دخل في بني اسد » (ق ١/٢٤٢ ب) . ويذكر عن ولد ربيعة بن نزار : « والكلب دخل في خثعم ، وهم رهط طائش بن حراك الشاعر ، .. وعابسة وهم باليمن » . ثم يقول « والماضنة فانهم دخلوا في بني عذيرة بن سعد بن هزيم بن فضاعة » (ق ٢/٥) . وعند الحديث عن غزارة بن ذبيان يقول : « ومنهم بهيس واخوته التسعة .. لحقوا ببطن من مذحج .. وهم اليوم ينسبون في عنس بن مالك بن مذحج » (ق ١/١٧٦ ا) . وعند الحديث عن جذام يقول:« فولد اسلم بن مالك عنب ، وهم اليوم في بني شيبان » (ق ٢/١٢٣) . وعند ذكر سعد العشيرة يقول:« وولد زيد الله ابن سعد العشيرة،عامر واشرس والديل وعوف ، فدخل اشرس والديل وعوف في بني تغلب ، واقام عامر بن زيد الله على نسبه،فمنه تفرقت زيدان » (ق ٢/٢١٦) . وعند الحديث عن قبائل الازد يقول:« فولد بكر بن يشكر عامر .. وعمرو والحارث .. دخلوا في بني زبيد » (ق ٢/٢٢٧ وانظر ق ١/٨٢ ا . وانظر الحديث عن قيس عيلان ق ١/١١٦ ب ، وعن دخول بني عمرو بن جنحود من حضرموت في تميم . انظر ق ١/٨٨ ا ، وانظر ق ١/٨٧ ب) .

واذا كانت هذه المعلومات تكشف عن بعض التداخل في النسب لاسباب سياسية او اجتماعية،فانها تؤكد الاهتمام بالنسب ورصده بتدقيق المعلومات عن الانساب .

ويذكر ابن الكلبي معلومات اجتماعية عن اسماء القبائل وعاداتها وتقاليدها ، وبعضها له اهمية خاصة . فعن اسماء القبائل يذكر مثلا سبب تسمية اعسر (بن سعد بن قيس عيلان ق ١/١٦٥ ا ـ ب) ، ويوضح ظروف تسمية ابناء تميم (زيد ، مناة ،

عمرو ، الحارث)(ق ١/١٩٥ أ) ، وسبب تسمية الرباب بهذا الاسم وما يشمله (ق ١/٩٦ ب ـ ١٩٧ أ) .

وهو يركز معلوماته احيانا ، في قصة حوار مع تميمي من فخذ بني عبد الله بن دارم ، يرجع نسب الاسرة في تدرج متسلسل مع وصف كل خطوة حتى ينتهي الى مضر (ق ١/١٩٥ أ ـ ٩٦ ب) .

ويشير الى بعض الأعراف القبلية ، فيتحدث عن نوع من القسم ؛ قال خراش : « كانوا يحلفون بالملح والرماد والنار وبذات الودع ، يريدون سفينة نوح » (ق ١/١٧٢ أ) . وعند ذكر مقتل زيد بن بكر بن هوازن على يد اخيه معاوية يضيف : « فوداه عامر بن الظرب ١٠٠ من الابل ، وانما جعلها مئة لعظم الابل عندهم ليتناهوا عن الدماء ، فهي اول دية كانت في العرب مئة من الابل حكم عامر بن الظرب حكما جاريا » (ق ١/١٢٠ أ) . وعند ذكر عمرو بن حارثة بن ربيعة (من خزاعة) يقول : « وهو الذي بحر البحيرة وسيّب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحامي وغيّر دين اسماعيل ، ودعا العرب الى عبادة الاوثان » ؛ « وكان صاحب الكعبة » (ق ٢/١٩٥ ، ١٩٦) ؛ وعند الحديث عن حجر بن يزيد بن معدي كرب بن سلمة (من بني سلمة بن الحارث) يسميه « صاحب رباع بني هند » ، ويضيف ، « والرباع ان يأخذ الربع من الغنيمة ، وعليه طعام الجيش لأخذه الرباع » (ق ٢/١٠٦) .

ويورد ابن الكلبي معلومات طريفة ، فيتناول مثلا المتزوجات من بني هاشم ، أو اللواتي تزوّجن في قبائل اخرى ، مثل الانصار وخزاعة وعامر بن صعصعة وآل معدي كرب ، من حمير والقين وسليم ولخم وغيرها ؛ وهو استطراد يبين سُعة الروابط القبلية القريشي ، ويؤكد ما قيل في السقيفة من ان قريشا اوسط العرب انسابا (ق ١/١١٥ ب وما بعدها) . ويذكر ان قيسا

(من ولد منبه بن بكر بن هوزان) وهو ثقيف كان « اول من جمع بين اختين من العرب » (ق ٢/١٥٣) .

ويقدم ملاحظة عن بدايات الخط العربي في الجزيرة، في معرض حديثه عن بشر بن عبد الملك، اخ اكيدر (في دومة من كتاب) اذ يقول،« وهو الذي علّمه اهل الانبار خطّا ، هذا الذي يسمى الجزم، وهو كتاب العربية ؛ وكان اول من كتبه قوم من طي نزلوه فعلّموه اهل الانبار ، فعلّم اهل الانبار اهل الحيرة ، وكان بشر بن عبد الملك ياتي الحيرة بحال النصرانية فيقيم بها الدهر ، فتعلمه بشر بن عبد الملك، ثم شخص الى مكة في تجارة فعلّمه ابا سفيان بن حرب بن امية — وابا قيس بن عبد مناف بن زهرة، وتزوج الصهباء بنت حرب بن امية ، ثم اتى الطائف فعلّمه غيلان بن سلمة الثقفي ، ثم اتى بادية بشر فعلّمه عروة بن زرارة الكاتب، ثم اتى الشام فعلّمهم » (ق ٢/١٢٦) .

ويورد ابن الكلبي احيانا معلومات عن مواطن القبائل ؛ فعند ذكر بني اسود بن مالك (بطن من بني مالك بن ثعلبة) يقول انهم « اصحاب النخل باليمامة الذي يصرم في السنة مرتين ، دعا لهم النبي (ص) » (ق ١/١٢٢٥) . كما يورد اشارات الى انتقال القبائل الى الامصار ؛ فعند الحديث عن عشائر الازد يقول،« وآل معيوف بدمشق بالغوطة في قرية يقال لها عين حرما » (ق ٢/٣٤٢) . ومكّنته معرفته بالكوفة من تعداد الكثير من العشائر والبطون التي اقامت بها ولها مساجد ، وقائمته مهمة وغنية . ومن هذه : ذهل بن معاوية (من كندة) لهم مسجد (ق ٢/٨٨) ، وامرؤ القيس بن الحارث (بطن من كندة) (ق ٢/٨٩) ، ومالك بن الحارث ، والطمح بن الحارث (ق ٢/٨٩) وامرؤ القيس بن معاوية بن عدي (بطن (ن . ص) ، ومالك بن ربيعة (بطن) (ن . ص) ومالك بن ربيعة (بطن) (ق ٢/٨٩ — ٩٠) ، وجبلة بن عدي بن ربيعة (بطن) والحارث بن

عدي (ق ٢/٩٠) ، وعمرة بن حجر بن عدي بن ربيعة (بطن) (ق ٢/٩٢ كندة) ، وعمرو بن ربيعة من ولد وهب بن ربيعة بن معاوية (بطن) ، وابو الخير وهب (بطن) (ق ٢/٨٥ كندة) ، والارقم بطن من ولد نعمان بن عمرو (ق ٢/٩٦ كندة) ، وشجرة (بطن) من ولد معاوية بن ربيعة بن وهب (ق ٢/٩٨) . ومن البطون الاخرى التي لها مساجد،سلمة وهو الحر (بطن) من ولد عمرو بن ابي كرب (ق ٢/١٠٢) ، وبهدلة (بطن) من ولد المثل بن معاوية (ق ٢/١٠٣) . وفي الحديث عن النخع بن عمرو ينسب الى يمانى جذيمة وحارثة،ولكلٍّ مسجدٌ بالكوفة (ق ٢/١٩٤) . ويذكر بنى معاوية (بطن) من بنى الحارث بن كعب ولهم مسجد (ق ٢/٩٣) ويذكر من بجيلة قيس واوس وعود،لهم بالكوفة مساجد،وبطونهم في قيس (ق ٢/٢٤٦) . ويتحدث عن ولد معاوية بن ثعلبة فيذكر زبان « بطن بالجزيرة »،ويضيف « وبالكوفة لهم بيت يمالك وهو تراغم بطن،وبرعم بطن،لهم بالكوفة مسجد » (ق ٢/١٢٨ — ٦) . وهكذا يعطي صورة عن بطون اليمانية بالكوفة .

ويتحدث عن اتجاه قبائل سبا في خروجها،ويضع خبره في اطار حديث ينسب للرسول ، فيذكر ان سبا ولد عشرة،تشاءم أربعة وتيامن ستة ؛ فالذين تشاءموا،غسان ولخم وجذام وعاملة ، والذين تيامنوا،حمير والازد ومذحج وكندة والاشعر وانمار ، الذين منهم بجيلة وخثعم (ق ٢/٨٥ — ٦ ، وانظر ق ٢/٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩) وبذلك يعطي صورة لا تخلو من دقة عن حركة اليمانية .

وختاما يمكن القول ان ابن الكلبي يعطي تعليقات سريعة مع الانساب ، ويورد احيانا ملاحظات اوفى ؛ وهي في مجموعها تعطي فكرة شاملة عن القبائل ورجالها البارزين في الحقول المختلفة .

هذه الملاحظات واسعة نسبيا لاعطاء فكرة شاملة عن دراسات الكلبيين ، التي تناولت عرب الشمال وعرب الجنوب ، ولان الكتاب لم ينشر ، ولا بد من التنويه بمجهود كامل ، في تحويل الكتاب الى جداول ، وفي مقدمته المهمة .

(W. Caskel - Gamharat An-Nasab ... Des Hisham Ibn Muhammad al Kalbi, 2 vols. Leiden 1966).

٤ ـ ومن الاوائل في دراسة الانساب مصعب الزبيري (٢٣٢ ـ ٨٤٧/٦ ـ ٥٠) وهو من آل عبد الله بن الزبير ، وكان عالما بالانساب . ولم يصلنا من كتابيه « النسب الكبير » « ونسب قريش » الا الثاني . وتدل استشهادات المؤرخين كالطبري والبلاذري وابي الفرج الاصفهاني على اهمية هذا الكتاب ؛ وهو افضل ما وصل الينا من نسب قريش .

وتشعر خطة الكتاب بوجود اطار مستقر للنسب القرشي معاصرة ابن الكلبي ومن جاء بعده . ويبدو ان مصعبا واسعة نقد افتتح كتابه بالاخذ من الزهري ، « قال محمد بن عبد الله الزهري » (ص ٣) . واخذ من مؤلفات تاريخية ، قال الواقدي « قال الواقدي .. في بعض اسناده » (ص ٢١٦) ، او « ذكر موسى بن عقبة عن ابي حبيبة » (ص ١٠٢) . ورجع الى اهل النسب كما يبدو من قوله « واجمع اهل النسب لا خلاف بينهم » ، او « قال بعضهم » (ص ٤) . وافاد كثيرا من روايات في النسب والاخبار ، شفوية ومكتوبة كقوله « سمعت ابي ، عبد الله بن مصعب ، يقول » (ص ٢٩٦) و « حدثني عبد الله ابن عنبسل بن فضالة بن رواد الليثي ، وكان حماد قد بلغ بضعة ومئة وسنتين (ص ٢٤١ مشيرا الى سنّه ليؤكد اتصال السند) ؛ وقوله « واخبرني بهذا الحديث مصعب بن عثمان بن عبد الله بن عمارة » (ص ٣٣٩) ، و « حدثني عبد الله بن مصعب بن عثمان بن عروة بن الزبير وغيره » (ص ١٠٩) وقوله « اخبرنا سليمان بن

مؤلف السعدي قال » (ص ٢٢٩) . واخذ عن ابي الزناد ، مثل « قال ابو الزناد » و « ذكر ابو الزناد » (ص ١٠٢ ، ١٠٣) .

وقد ياخذ مصعب دون ذكر المصدر صراحة ، مثل قوله « وحدثني بعض من يعلم » (ص ٣١٤) و « وأخبرت عن هشام ابن يوسف الصنعاني عن معمر » (ص ٢٣٩) ، و « اخبرني من قرأ في ديباج كسوة الكعبة » (ص ٢٣٩) و « وذكر ان ابا موسى الاشعري ذكر » (ص ١٠٢) . ويأخذ عن جماعة كقوله « قالوا » (ص ٨١) على طريقة الاسناد الجمعي . وكل ذلك يدل على جهده الواسع في دراساته وفي جمع اخباره . ومع ذلك لا ينتظر من مصعب الزبيري ان يتوسع في ذكر المصادر ، مع وجود دراسات قبله ، مثل دراسات الزهري وابي اليقظان ، ومع وجود نسابين ، بالاضافة الى ديوان الجند .

ولا بد من ملاحظة اولية هي ان مصعب الزبيري اغنى كتابه بمجموعة مادية من الاخبار والشعر ، فتجاوز خطة الملاحظات المركزة التي اخذ بها ابن الكلبي .

٥ — يعطي المؤلف معلومات مهمة عن التحولات في الانساب ، بذكر النسب الصحيح وما اتجهت اليه بعض القبائل ؛ ولعل التمثيل مفيد هنا ، فيذكر ان عك (الحارث) من ولد عدنان بن اد ، ويضيف « فكل من بالمشرق من عك ينتسبون الى الازد .. وسائر عك في البلاد وفي اليمن ينتسبون الى عدنان بن اد » (ص ٥) .

ويرى أن من ولد معدّ بن عدنان قضاعة (ونزار) ، ويضيف : « وقد انتسبت قضاعة الى حمير ، فقالوا : قضاعة بن مالك بن حمير بن سبا .. وزوروا في ذلك شعرا » . ويستطرد الى تأييد ذلك بقوله : « واشعار قضاعة في الجاهلية وبعد الجاهلية تدل على ان نسبتهم في معدّ » (ص ٥) . ويورد ملاحظة عامة

من ربيعة ومضر ويقول :« وكان يقال ربيعة ومضر العرب كلهم من ولد اسماعيل، فدخل من كان منهم بالعراق في النسب مع من كان منهم بالشام على نسبهم في نزار » (ص ٦) . ويقول ان بجيلة من انمار بن نزار، وانهم « انتسبوا الى اليمن فالآن من كان منهم بالشام والمغرب فانهم على نسبهم الى انمار بن نزار » (ص ٧) . وعند ذكر خزيمة بن يشكر يقول « وقد انتسبوا في الازد ، ومنهم خثعم، وهو اقبل بن انمار بن نزار .. وهم بالعراق على نسبهم الى انمار بن نزار ؛ واذا كانت بين اليمن فيما هنالك وبين حضرموت ، كانت خثعم مع اليمن على مضر » (ص ٧) . ويتبين من هذه الاشارات انتساب قبائل من عدنان الى اليمن ، بعد ان يُشعر بتحركها جنوبا قبل الاسلام ؛ فالاشارات اليها في المتن وبَعْدَها تعتبرها يمانية . وقد كان مالوفا في اليمن تحول عشائر او مجموعات في انساب غيرها لضرورات زراعية او سياسية .

ولعل اهمّ ما في نسب قريش انه يجمع بين الانساب والاخبار التاريخية والادبية ؛ فهو يورد معلومات واخبارا عن الشخصيات التي يذكرها من العصر الجاهلي الى زمن الرشيد ، واحيانا المأمون (ص ٢٢٨ ، ٢٧٢) ، اي الى عصره .

واخباره احيانا وافية ومهمة ؛ وقد يتوسع فيها الى ما يقرب من ترجمة شاملة ، مثل اخباره عن ابن عباس (ص ٦ — ٧) ، وعن عبد الله بن جدعان (ص ٢٦١ — ٧) ، وعن الحكم بن المطلب (ص ٣٣٩ — ٣٤١) ، وعن خالد بن الوليد (ص ٣٤٠ — ١) ، وعن عبد الله بن عامر (ص ١٠٧ — ٦) .

ويأتي احيانا بملاحظات طويلة هامة عن بعض الشخصيات (مثل ابن الزبير ص ٢٣٧ — ٤٠ وانظر ٢١٨) بسبب اشتراكها في احداث هامة ؛ وهي اقرب الى روايات كتب الادب ، ولكنها

طول سعتها لا ترقى الى ترجمة (مثلا حركة زيد بن علي ص ٦٠ — ١) . وقد يكتفي المؤلف بمجرد اشارة موجزة او طويلة الى حدث (انظر ص ٢٢٠ — ١ ، ص ٢٤٦ ، ص ٢٢٢) .

وهو يلتفت في اخباره الى جوانب المروءة، فيهتم بصفات الشجاعة وبالاستشهاد وبالكرم (انظر مثلا ص ٣٣٨ وما بعدها ، ص ١٢٧ ، ص ١٤٧ — ٩) . ويتحدث عن اخبار بعض القضاة (مثلا ص ١٢٨ ، ٢٣٤ ، ٢٧٢) ؛ ويشيد باستقامة البعض وصلابتهم عند عرض اخبارهم (مثلا محمد بن عمران ايام المنصور ص ٢٨٤ — ٥) .

ويعطي الزبيري معلومات اجتماعية مهمة تتصل بالمصاهرات والعلاقات الاجتماعية ؛ ويُشعر باهمية المراة وبدورها (انظر مثلا ص ٣١٣ — ٣١٤) ، كما يعطي اخبارا وافية عن بعض السيدات ؛ ولهذا دلالته (مثلا صفية بنت عبد المطلب ص ٢٣٠ ، ولبيبة بنت عبد بن بجاد ص ٢٣٢ — ٣) .

ويتميز الزبيري ، اضافة الى امانته ، بانه يعطي احيانا اخبارا لها اهمية خاصة ، وقد ينفرد ببعضها ؛ ففي الاشارة الى وجز بن غالب يذكر انه « اول من عبد الشعرى » ، وانه كان سيدا في خزاعة، ويضيف « ووجز هو ابو كبشة، الذي كانت قريش تنسب رسول الله (ص) اليه ؛ والعرب تظن ان احدا لا يعبد شيئا الا ورق ينزعه شبهه ؛ فلما خالف رسول الله (ص) دين قريش قالت قريش ينزعه ابو كبشة ، لان ابا كبشة خالف الناس في عبادة الشعرى .. » (ص ٢٥١ — ٢) .

واخباره ادق من يكشف النظرة الداخلية لمروان للسفيانيين في فترة معاوية، وذلك من خلال نجواه في المدينة مع عمرو بن عثمان بن عفان ، اذ قال له « ما اخذ هؤلاء — يعني بني حرب بن امية —

الخلافة الا باسم ابيك فما يمنعك ان تفعل بعضك ، فاختر لنفسك منهم رجالا ... » ، وعدّد رجالهم ثم اضاف « ومنا فلان وهو فضل ، وفلان فضل ، فضول رجال ابني العاص على رجال بني حرب » . ثم يورد ردّ معاوية على مروان ، وفيه « اشهد يا مروان انني سمعت رسول الله (ص) يقول : اذا بلغ ولد الحكم ثلاثين رجلا اتخذوا مال الله دولا،ودينَ الله دغلا،وعباد الله خَوَلا . والسلام » . وهو قول اشتهر فيما بعد بين المؤرخين (انظر ص ١٠٩ — ١١٠) .

ولعل من اطرف ما اورده دور العرفاء ايام معاوية في المدينة،في بدء ولاية عاصم بن ابي عاصم بن عتبة . يقول : « وكان العطاء يدفع الى العرفاء ، وكان لكل قبيلة عريف يلي اعطيتهم ويدفعها اليهم . فحبس عاصم اعطية الناس وقال : يأتيني اهلها فأدفع الى كل رجل عطاءه في يده . وكانت العرفاء يأخذونها،فلا يغيبون غائبا،ولا يميتون ميتا،ويعدون اهلها فيعطونهم بعضا ويأخذون بعضا ؛ فأراد عاصم ان يسلم الديوان فلا يعطون غائبا ولا ميتا ، ويأتيه اهل العطاء فيدفع اليهم اعطيتهم وقد عرفهم ؛ فكره الناس ذلك لما كانوا يصيبون من حظ الموتى والغيب ، وامتنعوا من اتيانه .. » (ص ١٠٤) . وهو نصّ يَدُلّ على تلاعب العرفاء وتمالئهم في دفع العطاء ليحصلوا على اكثر مما يحقّ لهم ، كما يبين وظيفة العرفاء واهمّيتهم .

ويكثر في الكتاب ايراد المقطوعات الشعرية والقصائد ، التي قيلت في مناسبات ، او تعود للمترجم له إن كان ينظم الشعر (انظر مثلا ص ٢١٦ — ٧ ، ٢٢٢ — ٣ ، ٢١٤ — ٥ ، ٢١٤ — ٧) .

٦ — اما انساب الاشراف للبلاذري ، ففيه دراسة شاملة للتاريخ العربي الاسلامي،ومجموعة كبيرة من التراجم في اطار خطة النسب .

ويبدو ان تنظيم خطة الانساب لديه ولدى من سبقه يتمشّى مع تنظيم ديوان المقاتلة ، ابتداء بآل الرسول ثم الاقرب فالاقرب . فهو يبدأ بالسيرة (ق ١ ص ٤٠ — ٢٧٨) بعد ان يمهّد لها بمقدمة في انساب العرب ايصالها باجداد الرسول وبتاريخ قريش قبل الاسلام (ق ١ ص ١ — ٤٠) ، يليها ابو طالب واولاده (العلويون) (٢٩٠ — ٥٢٦) ، والعباس بن عبد المطلب واولاده (العباسيون) (٥٢٦ — ٦٧١) ، وامّية بن عبد شمس (الامويون) (٦٩٠ — ١١٩٦) ، و ق ٢ - ١ — ٤١٥) ، وبقية قريش (ق ٢ ٤١٥ — ٦٩٧) وبقية مضر (ق ٢ - ٦٩٧ — ١٢٦٨) . وهكذا خصص للسيرة حوالي $\frac{١}{١٠}$ من الكتاب وامثل ذلك للعلويين ، وخصّص للامويين حوالي $\frac{١}{٢}$ الكتاب وللعباسيين حوالي $\frac{١}{١٦}$ منه وابقية مضر اقلّ من ربعه .

لقد تناول البلاذري في كتابه قبائل مضر الا القليل منها (مثل كلاب ، هلال ، قشير) ولم يتناول ربيعة واليمن وان وجد ما يدل على ان دراسته تجاوزت ما في الكتاب ، الا انه توفي قبل ان يتم كتابه (حاجي خليفة ٢٧٤/١ . وفي تاج العروس اشارات اليه تتعلق باليمن) .

تناول البلاذري العباسيين بتوسع الى ايام المنصور ، واوجز في اخبار المهدي والرشيد (ق ١ ص ٦٦٧ — ٦٧١) ؛ وهذا يستدعي الانتباه اذا تذكرنا معاصرة البلاذري للعباسيين من ايام المأمون الى ايام المعتمد (ت ٢٧٩ هـ) ، وصلته بالخلفاء العباسيين من المتوكل (٢٤٧ هـ) الى المعتز (ت ٢٥٥ هـ) . فهل التزم البلاذري بالتوقف عند حدود المعاصرة ؟ ان شيخه المدائني تناول التاريخ العربي الى ايام المعتصم ، وان بعض معاصريه كخليفة بن خياط واليعقوبي والبسوي (٢٧٧ هـ) والطبري تناولوا هذا التاريخ الى فترات تالية بين الواثق (ت ٢٣٢ هـ) والمعتضد (ت ٢٨٥ هـ) . ام ان البلاذري سار على هدى اهل

النسب مثل مصعب الزبيري وابن الكلبي ؛ لقد بدأ تأليف العرب في الديوان منذ قدوم العباسيين،ولكن هذا لم يتسلسل جديا الا ايام المأمون ، ثم جاء المعتصم فأسقط العرب من الديوان . وهذا يعني ان تسجيل المقاتلة العرب انتهى في مطلع فترة المعتصم،مما يجعل التوقف في اطار الانساب ملموسا في الهيكل والتدرج .

وتبدو ميزة أنساب الاشراف في أنه قدم تاريخا للاشراف العرب في مختلف الحقول ، مع تاريخ الخلافة ؛ وهو تفوق فريد في سعة افقه وشموله .

٧ ـ وقد افاد في تفاصيل خطته من خطوط تاريخية متباينة من اساليب كتب الطبقات،وكتب الاخباريين،اضافة لكتب الانساب . ولئن كان هيكله هو اطار الانساب،فان عناوينه الفرعية للاحداث الهامة في فترة كل خليفة،تذكّر بعناوين كتب الاخباريين ، في حين أن تناوله للسيرة ولترجمات الاشراف متأثر بأسلوب التراجم والطبقات . ويلاحظ بين اساتذته المدائني (٨٣٦/٢٢٥) شيخ الاخباريين ، وابن سعد (٨٤٤/٢٣٠) صاحب الطبقات ، ومصعب الزبيري وابن الكلبي .

افاد البلاذري من كتب الاخباريين ، خاصة ابن مخنف (برواية ابن الكلبي او مباشرة من كتبه) وعوانة بن الحكم ، وبصورة واسعة من المدائني مصدره الاول عن الخلفاء (بالاخذ عنه مباشرة أو بالنقل من كتبه) . ومن دراسات انساب المتأخرين في السيرة والتاريخ مثل عروة والزهري وابن اسحاق والواقدي وكاتبه محمد بن سعد ، كما افاد من اهل الانساب ، خاصة ابي اليقظان ومحمد ابن السائب الكلبي،وابنه هشام،ومصعب الزبيري .

واضاف البلاذري بحوثه ودراساته بالاخذ من شيوخه ومن روايات شفوية اخرى ، وافاد من اسفاره في جمع روايات محلية موثقة من اشياخ المدن التي زارها في الشام والثغور والجزيرة واغلب المدن العراقية .

والبلاذري يدقّق مصادره ، ويفاضل بين الروايات ويبدي رأيه احيانا لتوثيق رواية . وقد يورد صورا لرواية باسانيد مختلفة لاظهار مجال الخلاف ، ولكنه كثيرا ما ياخذ معلوماته من مجموعة مصادر ايعطي خبرا متصلا . ويبدو ان النظرة الى المؤرخين السابقين (من اخباريين ، واصحاب مغازي ، وطبقات وتاريخ ، ونسّابين) استقرّت في عصره ومكّنته من ذلك . وهنا يختلف البلاذري عن الطبري في اسلوبه التاريخي ؛ فبينما يعتمد الطبري اساسا احد مصادره في صدر الاسلام (كابن اسحق في السيرة او ابي مخنف في الثورات العلوية) ثم يضيف روايات فرعية ايعطي معلومات مكمّلة او مباينة ، يبني البلاذري قاعدة معلوماته على ما هو مقبول لدى مجموعة من المؤرخين ليعطي اخبارا يبدأها بـ (قالوا) ، ثم يورد روايات مفردة ليتمّ اخباره ، وهو اسلوب بالغ الاهمية في فهم البلاذري . وفي حين يركّز الطبري على المدرسة العراقية في اخباره ، يبدو البلاذري اكثر استفادة من مدرسة المدينة خاصة في احداث الفتوح والاحداث التي تتّصل بتاريخ الامة في الفترات الاولى ؛ كما انه يعطي اهمية خاصة لروايات المنطقة التي وقع فيها الحادث ، ويتمّمها بروايات اخرى خارجية .

ويدقّق البلاذري في ايراد التواريخ والارقام ، ويراعي التسلسل الزمني في كتابه ، الا حيث يقتضي هيكل النسب التقديم والتاخير (مثلا معاوية قبل عثمان ، وترجمة عمر بن الخطاب متاخرة) . وعند حديثه عن كل خليفة يتناول ما وقع في عهده من احداث ،

كما يعنى بفعاليات الاحزاب السياسية ، وخاصة الخوارج ؛ وهو افضل المصادر عنهم واوفاها في صدر الاسلام .

ان ثقافة البلاذري ، كما يبدو من مصادره وشيوخه ومن اشتغاله بالترجمة ومن مواهبه الشعرية ، تشير الى انسجام بين الاهتمام بالدراسات العربية والاسلامية وبالثقافات الاخرى هذا مع تركيزه على احوال العرب ودورهم التاريخي في الاسلام ؛ وهو لذلك يبدي اهتماما بالنواحي الاجتماعية والادبية والدينية في اخباره ، ويتوسّع فيما يورد من متعلقات شعرية ، رغم ايراد القصائد المطولة .

وليس هذا مجال تحليل كتابه المنعم ، بل يكفي ان ابدي ملاحظات موجزة (خارج تاريخ الانساب) .

٨ — ان ميزة البلاذري الخاصة بالنسبة للمؤرخين المعاصرين هي ان كون انساب الاشراف تاريخا للاشراف العرب في تراجمهم ، كلا في موقع نسبه ؛ وهو بذلك يعبّر عن اتصال هذا التاريخ ؛ ويرى في الاشراف مركز الاهمية من هذا التاريخ ؛ ويعبّر عن النظرة الاجتماعية لهم عند العرب . وهو في تراجمه وما يقدّمه من اخبار وآثار ، معجم ضخم للتراجم العربية (يشبه المعاجم الوطنية الكبرى الحديثة) . وبعض تراجمه واسعة تستوجب الانتباه ، مثل ترجمته للأحنف بن قيس (ق ٢ ص ٦٦٤ — ١٠١٠) وللحجاج (ق ٢ ص ١٢١٧ — ١٢٥٨ اضافة لاخباره في ابيه والوليد) ؛ ولبعض الفصحاء والشعراء ، مثل النابغة الذبياني (ق ٢ ص ١٠٩٢ — ٦) واكثم بن صيفي (ص ١٠٧٢ — ١٠٨٧) والفرزدق (ص ٨٧٦ — ٨٩٥) وجرير (ص ٩٤٧ — ٩٦٢) ومالك بن صفوان (ص ٩٧٧ — ٩٩١) . وقد يفيض في الترجمة لكثير من المعنيّين بحقل الاختصاص ، كما في ترجمته لابن الكلبي النسّابة (ق ٢ ص ٧١٠ — ١٣) ، وهو بذلك يكشف جانبا من اهتماماته الادبية .

وفي انساب الاشراف ثروة من الاخبار عن المسلمين الاولين ، فيذكر في كل ترجمة دخول الشخص في الاسلام، ومزاياه، ودوره، ومواقفه، واخباره الخاصة ؛ وهي ترجمات مسهبة عادة ، وتختلف اهمية كل منها حسب دور المترجم له .

ويعنى البلاذري بامور القبائل في اطارها لنسبها ، فيقدم معلومات واسعة عن قريش قبل الاسلام وبعده، بتفاصيل لا ترد عند مؤرخ آخر ؛ وينبّه الى امور طريفة (مثلا في حديثه عن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس يقول : « قبل ما ساد قريش مُمْلِق من عتبة ولبى واللب » (ق ٢ ص ٤٠٧ ، وانظر اخباره عن محاولة عثمان بن الحويرث ان يترأس في قريش، ويرتبط بقيصر الروم (ق ٢ ص ٤٨٨) ، ومثل اشاراته للايلاف (ج ١ ص ٥٩ — ٦٠) .

ويهتم البلاذري بأيام العرب، ويعطي معلومات مركّزة ومهمة عن مجموعة متماثل يوم ذي نجب (ق ٢ ص ٩٢٤ — ٦ ، ٩٠٣ — ٤) ، ويوم غيط المدرة او صحراء فلج (ق ٢ ص ٩٢٥) ويوم فيف الريح (ق ٢ ص ٩٢٦) ويوم ذي اللوح (ق ٢ ص ٩٢٨ — ٩٣٠) ، ويوم الربوت (ق ٢ ص ٩١٨ — ٩) . وداحس والغبراء (ق ٢ ص ٩٢٤ — ٥) ، ويوم القريتين (ق ٢ ص ٨٣٠ — ١) ، ويوم بزاخة (ق ٢ ص ٨٣١ — ٢) ويوم النسار ويوم الجفار (ق ٢ ص ٧٢٨) ، واليوم الفجار ويوم ذات نكيف (ج ١ ص ٧٥) ويوم نخلة (ج ١ ص ١٠١ — ٢) ، ويوم شمطة (ج ١ ص ١٠٢ — ٣ و ج ١ ص ٧٠٠) ، ويوم التحريرة نول ايام الفجار (ق ٢ ص ٧١٩) ، ويوم نطاع (ق ٢ ص ٨٣٥) ويوم الشيطين (ق ٢ ص ٨٤٠) ويوم جبلة (ق ٢ ص ٨٥٢ — ٣ ، ٨٥٧) ويوم اوارة (ق ٢ ص ٨٦٦ — ٧) ويوم قشاوة (ص ٩٤٠) ويوم الكلاب الاول (ق ٢ ص ٨٩٧) ويوم الكلاب الثاني (ق ٢ ص ٧٩١ — ٢ ، ١٠٢٢) . هذا وترد اشارات اكثر ايجازا لايام اخرى (مثل يوم

شسوق ٢ ص ٨٦٠) ويوم الهباءة (ق ٢/١٠٢٢) ويوم رحرحان (ق ٢ ص ٨٦٣) ويوم الغبيط (ق ٢ ص ٩٤٣) ويوم عسلان (ق ٢ ص ٨٧٣) .

وهو يورد مقتطفات في مواضع عدة من نقائض جرير والفرزدق (انظر ق ٢ ص ٩٣٤ ، ٩٤٠) . ويلاحظ ان البلاذري حاول الافادة من اكثر من مصدر في اخبار الايام (انظر ق ٢ ص ٩٢٥) وفق اسلوبه ، ولكن يبدو ان جلّ اعتماده كان على محمد بن السائب الكلبي وابنه هشام (ق ٢ ص ٩٤١ ، ٨٦٧) ، وهو قليل الاشارة الى ابي عبيدة (ق ٢ ص ٩٤١) . وقد يأخذ عن راوية من البدو (مثل مراش بن اسماعيل ق ٢ ص ٨٦٧) او يكتفي باشارة عابرة (مثل « قسال بعضهم ق ٢ ص ٩٢٤) . وهكذا يحفظ البلاذري روايات مبكّرة عن الايام توازي روايات محمد بن حبيب (عن ابي عبيدة) ، ولهذا اهمية خاصة .

ويتحدث البلاذري عن الشؤون المتعلقة للقبائل قبل الاسلام من غزوات اعتيادية (مثل غارات بني شملة بن يربوع على بني اسد (ق ٢ ص ٧٣٥ — ٦ ، وانظر ٩٣٠ — ٢) ، الى احلاف (مثل حلف قريش مع الاحابيش وظروفه ق ٢ ص ٧١٣ ، ٧٢٨) ، او محاولات ثأر مهمة (مثل مقتل حُجر بن عدي على يد بني اسد ومحاولات امرىء القيس للثأر ق ٢ ص ٧٤٠ — ١) او شؤون اخرى مثل الاتفاق على جعل ولاية الموسم والاناسة بالناس الى بني تميم (ق ٢ ص ١٠٢١ — ٢) ، بل يعطي معلومات طريفة عن الرادفة لدى المناذرة ، ومعناها ، ومهمة الرفد والمرافد (ق ٢ ص ٩١٧ — ٨) .

ويورد البلاذري معلومات بالغة الاهمية عن [illegible] خلال القرنين الاولين (انظر مثلا ق ٢ ص ٧٥٢ ، ٧٧٨ ، ١٠٠٢) بما في ذلك اشعر الجنائز في البادية على ميتاه بني الحارث

وحركتها ، كما يقدم معلومات ثمينة من نظرة العرب للأرض، ومن تحوّل الأشراف الى ارستقراطية ملاكة ؛ وهو في ماليمة المؤرخين الذين اهتموا بهذه النواحي هنا وفي كتابه فتوح البلدان .

كما انه يعطي معلومات غنية في الناحية الاجتماعية (انظر ق ٢ ص ١٠٠٦ ، ٧٥٠) . واخباره عن حركة القبائل وانتقالها من الجزيرة الى الامصار لا مثيل لها في الشمول والتفاصيل والدقة (ولم يدانيها الطبري احيانا في السعة) .

٩ — ويستند البلاذري في معلوماته عن القبائل الى ابي اليقظان (٨٠٥/١٩٠) لدرجة كبيرة ، ويأخذ عنه عادة بعبارة : قال ابو اليقظان (ق ٢ ص ٨٧١ ، ٢) او « وفي رواية ابي اليقظان » (ق ٢ ص ٨٩٥) ، وبذلك يؤكد الاشارات الى اهميته ودوره في النسب .

كما انه يأخذ كثيرا عن ابن الكلبي (هشام بن محمد) برواية مباشرة (من ابنه) او بالاخذ من كتابه (ق ٢ ص ٤٥ ، ١٠١ ، ١٥٤) ويعتمد عليه اعتمادا واسعا في اخباره عن قريش قبل الاسلام . ويأخذ عن ابيه محمد بن السائب الكلبي برواية ابن هشام او بالاخذ عنه مباشرة (قال الكلبي ق ٢ ص ٣٤ ، ٦٦) وبهذا يؤكد وجود كتاب لمحمد بن السائب في الانساب ؛ وهو يأخذ عنه احيانا دون اشارة واضحة مثل تعقيبه : وقال غير الكلبي (ق ٢/٨١٩) ويبدي تفضيله له حين يقول : « وقال غير الكلبي .. وقول الكلبي اثبت .. (ق ٢ ص ٨٢٧) .

ولما كان البلاذري في فترة قبل الاسلام يعتمد على روايات فردية فانه في الفترات الاسلامية يستند في الاساس في اخباره الى مصادر متعددة يبدأها بـ (قالوا) ، تعضدها روايات فردية مسندة (انظر ج ١ ص ٢٢٥ وما بعدها) . ونكتفي بالتمثيل من

السيرة . ففي حين يعتمد الطبري على سيرة ابن اسحٰق ، فان البلاذري يعتمد بالدرجة الاولى على الواقدي وبالدرجة الثانية على ابن سعد ، اضافة الى رجوعه الى مؤسس مدرسة المغازي (الزهري ٨٥ رواية ، وعروة بن الزبير ٤٠ رواية) ، اما ابن اسحٰق فيرجع اليه بقدر متواضع ٤٣ رواية) . وللدلالة فلننظر الى اخباره عن بدر لنرى ان صلب معلوماته يرد تحت « قالوا » (٢٨٨ — ٩٠ ، ٢٩١ — ٢ ، ٣٠٤ — ٥) . وبجانب ذلك ترد اخباره عن الواقدي (٢٩٤ — ٨ ، ٢٩٨ — ٣٠٢ ، ٣٠٥ — ٣٠٨) ويأخذ الاخبار عن ابن سعد مباشرة ، كما ان جلّ اخبار الواقدي يرد في حديث ابن سعد ، وبعضها بالنقل من كتبه « قال الواقدي ص ١١٢ و ٢٩٢ وبعدها ، ص ٢٩٨ ، ص ٣٠٥ وبعدها » وهو يتسم هذا بروايات فردية مسندة عن محدّثي المدينة ورواتها .

يبدو أن البلاذري توسع في مفهوم « الاشراف » فهو لا يقتصر على من يأخذ شرف العطاء ، ولا على من ينتسب الى اشراف القبائل ، كما انه لا يقتصر على من سجل في ديوان المقاتلة الذي لم يعد يشمل الا جزءا من العرب في الامصار ، من ايام المروانيين ، بل انه شمل هؤلاء جميعا وانتبه بصورة خاصة الى من صار له دور في الحياة العامة السياسية والادارية والفكرية (الشعراء خاصة) .

وهو على صلته بالعباسيين يحاول ان يكون موضوعيا ، ولعلّ صلته هذه افادته في الاطلاع على روايات دالة على بداية الدعوة العباسية وعن الفترة الاولى ، وفي الافادة من الدواوين . وهو على العموم محايد متزن . وهو في الانساب يعبّر عن نظرة اجتماعية عربية الى دور الاشراف العرب في تاريخ الامة ، كما يعبّر عن اتصال خبراتها ومسيرها .

د. عبد العزيز الدوري

في سبيل تعريب التعليم الجامعي في العلوم الطبيعية

مشاكل وحلول

للدكتور احمد سليم سعيدان
(عضو مجمع اللغة العربية الأردني)

١ ـ في تقديري اننا تجاوزنا مرحلة الدعوة الى تعريب التعليم الجامعي ، والتغزل بمحاسنه ، والتأكيد على انه ضرورة تربوية وقومية ؛ فقد عقدت من اجل ذلك مؤتمرات ، وأُلقيت بحوث ومحاضرات ؛ وانبرى في هذا المضمار باحثون اجلاّء ، من العرب ومن غير العرب .

بيد اني ، على كل حال ، انه لم يعد يجدي في هذه المرحلة ، تعداد محاسن التعريب ، ولا رصد مساوىء التعليم في الجامعات العربية بغير اللغة العربية . فان يكن احد ما زال في شك من جدوى التعريب ؛ فغاية الامر عندي ان يقال له : تعال نجرّب ، ثم نحكم على النتائج .

اذا تجاوزنا مرحلة الدعوة الى التعريب ، فنحن اذن في مرحلة التنفيذ ؛ واذا كنا قد اجزنا ان نمسك ، في هذه المرحلة ، عن الخوض في تأييد التعريب ومعارضته ، فلا يجوز لنا ، ونحن نخطط للتنفيذ ، أن نتجاهل حجج المعارضين ودعاواهم . وغنيّ عن البيان ان دعاوى المعارضين تجاهها تساؤلاتهم : اين المصادر العربية ؟ واين المراجع التي تبقينا على علم بتطور العلوم ؟ ثم اين الدوريات العربية العلمية التي تبقينا على اتصال بابحاثنا ؟ انهم ، بايجاز ، يريدون ان تكون المكتبة العربية

في مثل غنى المكتبات الغربية في الكتب والنشرات العلمية . وهذا مطلب حق ينبغي ان نسعى لتحقيقه جاهدين .

ولكني ابادر الى القول بان تساؤلات المعارضين ، على وجاهتها ، تخفي وراءها غير ما تظهر . وانني ، وقد سبق ان خضت مع زملائي في معركة التعريب في قطر عربي شقيق ، على يقين ان ما لا يظهره المعارضون هو التهيّب والتحرّج : معلّمٌ تعلّم بالانكليزية ، ويعلّم الآن بها يعلّم ؛ فَهْمُه لها محدود ، وفهمُ طلابه له اقلّ القليل ؛ ولكن الامر مُستور ، فلماذا يتورط هذا المعلّم تجربة التعليم بالعربية ، وهذا ما يقتضي فوق تعلّم مصطلحاتها ، استذكار قواعدها المندثرة ؟ لماذا ينتشي ان يعلّم بلغة قد يتقنها طلّابه اكثر منه . ان دافع المعارضة الباطن هو في اغلبه خوف وكسل ؛ وقد ينجلي اكثر هذا الخوف عند بدء التعريب . ولكن يبقى ان المطالبة بابقاء الكتب والنشرات العلمية تحت متناول يد القارىء العربي امر لا بد من السعي الدائب لتحقيقه .

٢ — ولقد سمعتُ قولة حقّ قالها غير واحد ، مؤداها ان التعريب خطوة سياسية ينبغي ان تاتي بقرار سياسي من عُل . وفي يقيني ان هذا القرار يعلي التعريب دعما كبيرا ؛ ولكن يبقى الخوف من فشل التجربة الاولى ، لمجرد ان الجنود المجهولين الذين يمارسون التعليم في قاعات الدرس لا يريدون التعريب لفشل هذا السعي الذي اشرت اليه . فمع المرسوم السياسي الذي يامر بالتعريب ، نبقى بحاجة الى فئة من المعلمين انفسهم تؤمن به ، وتدعو اليه ، وتدافع عنه ، وترتب من حيث تشعر او لا تشعر تنفيذه ؛ وبقي ايضا بعد ذلك الى خطوات تهيّىء الاسباب للبدء به والسير فيه .

هنالك خطوتان رائدتان خطوناهما في الاردن ، وفي الذهن كل هذه المشاكل التي ألمحتُ اليها . ولابدا بثانية الخطوتين :

اقدم رئيس الجامعة الحالي ، الدكتور ناصر الدين الاسد ، على الطلب الى عميد كلية العلوم فيها بالاسراع بتعريب التعليم في كليته .

وسئل الرئيس : هل اقر ذلك مجلس العمداء ؟ فقال : وما لكم ولـه ؟ ان الكلية الحق في ان تعلم بالعربيـة اذا هي ارادت .

ولما عرف اعضاء هيأة التدريس في كليـة العلـوم ان رئيس الجامعة يساند التعريب ويلحّ بطلبه ، ارتفعت اصوات الداعين لـه ، وخفتت اصوات المعارضين . وانّ كليـة العلوم في الجامعة الاردنيـة تتطلع الآن لأن تبدأ التعليم بالعربية ، في العـام الدراسي القادم ، في السنة الجامعية الاولى ، على الاقـل .

ولا شـك ان خطوة رئيس الجامعة الاردنية لم تكن لتنجح لولا خطوة سبقتها ومهّدت لهـا السبيل ؛ تلك هي خطوة مجمـع اللغـة العربية الاردني ، واكثرية اعضائه مـن رجالات الجامعة الاردنيـة . ذلك ان المجمـع كان قد شرع بترجمة خمسة كتب في العلـوم الاساسية ، اختارها اساتذة كليـة العلوم انفسهم على امـل استعمالها في السنة الاولى الجامعية ، وبعض الثانيـة .

وقـد أعلمت الجامعات العربية والمجامـع اللغوية بهذه الخطوة التي خطاها مجمع اللغـة العربية الاردني ، وتوالت على المجمـع كتب التأييد والتشجيع من مختلـف الجامعات والجهـات .

٣ ـ ولكنّ فنّ من البيان ان امـر ترجمة الكتب العلمية لا ينقضي بترجمة خمسة كتب ، ولا عشرة ، بل ولا المئة ؛ انه عملية متواصلة دائبة ، لها بداية ، وليس لهـا نهاية . انها تمشي مع التعليم الجامعي جنبا الـى جنب ، وكالتعليم ، يسلمها كل جيل ، مع صفوة خبراته ، الى الجيـل الذي يليـه .

في اوائـل هذا القرن ، قـام واحد من رواد ما يسمى بالنهضة العربية الحديثة ، بترجمة كتـاب انكليزي في الهندسة المستوية . واملّ اكثرنا يذكر الكتاب ، فقـد تتلمذنا كلنا عليه ، وكنا نعرفه باسم كتاب « هول وستيفنز » . ولقـد عاشت هذه الترجمة نحو نصف قرن مـن

مدارس الشرق العربي . ولقد نفد الاصل وتوقف عن الطبع ، وطالب من بعده الترجمة تُطبَع المرة تلو المرة .

مثل هذا لم يعد يحدث ؛ اننا نعيش في عصر يتطور فيه العلم بسرعة مذهلة ، وتتجدد وسائله وسبل عرضه وتوصيله للناس ؛ فما من كتاب علمي يصمد لرياح التطور اكثر من خمس سنوات ، يُعيدُها او قبيلُها يُطرَح على الرفّ ان لم يبادر المؤلف الى تجديده على نحو يتّفق مع ما استجدّ من معلومات ونظريات ومفاهيم واتجاهات . لهذا نجد الكتب التعليمية تتلاحق،ويزعم بعضها بعضا ، فما كان كتابا موفّقا بالامس ، يُسقط اليوم في الميزان .

وليس هذا التغيّر المستمر نقصا في الفكر العلمي ، وانما هو من طبعه وطبيعته ؛ فاذا كان الدوام والخلود هدف الادب ، فان التطوّر هدف العلم . والتطوّر في مقاييس العلم هو الحياة ، والجمود هو الخلود . نظرتان مختلفتان،ولكنهما تلتقيان في الافق البعيد .

مما تقدم نَخْلص الى ان ترجمة الكتب التعليمية عمل ينبغي ان يكون دائما مستمرا لا ينقطع . وهذه ضرورة تزداد الحاحا بالنسبة لمصر التي تُدْهِش في تعريب التعليم . ونحن نراعي في الوقت نفسه ان نجاري مواكبين ، على قدر الطاقة ، لتيّار التطور العالمي .

فاذا اضفنا الى هذا السيل من الكتب التعليمية الفيض الهائل من المطابع ، كتب البحوث العلمية والدوريات واعداد المراجع ، تبين اننا امام امر جلل يفوق كل وصف . قُدّر ما تخرجه مطابع العالم من الفكر العالمي الرصين ، في الدقيقة الواحدة ، بما لو جمع في كتاب واحد لبلغ هذا المجلد حجم الموسوعة البريطانية .

والمكتبة العربية لها علينا واجب تزويدها بالفكر العالمي ، والقارىء العربي له علينا واجب تقريب هذا الفكر اليه ، وهذا واجب لا بد من الاضطلاع به اذا كنا نبغي ان تكون الاجيال العربية

على علم بروح العصر ، وعلى فهم لعقليته . واضطلاعنا بهذا الواجب يستلزم ترجمة دائبة متصلة .

انني ارجو الا يظن انني في تحمسي للترجمة خلطت بين مهمتين : ترجمة الكتب التعليمية من اجل التعريب ، وترجمة الفكر العالمي الذي يستهدف خلق اجيال عربية تضيف الى موروثها الفكري والحضاري ، الذي تعتز به ، فهما ووعيا لروح العصر الذي تعيش فيه . صحيح ان هناك فرقا بين المهمتين ، ولكن يخطىء من يظن ان التعليم يمكن ان يمضي سليما بمعزل من الحياة ، او ان العالم في اي عصر يمكن ان يُفهم الفهم الايجابي البناء بمعزل عن فكر ذلك العصر . انه يكون كثمرة قطفت من شجرتها ، مهما تكن حلوة فانها تطعم اكلا واحدا ، اما الشجرة فتطعم الناس اجيالا واجيالا ، وتغري بظلها على كل مستظل . اني اتمنى ان يكون تعليمنا ، لا ثمارا يتخطفها الاكلون ، بل اشجارا تؤتي اكلها الشهي وظلها الظليل ورونقها الغض النضير . لعل من نقائض نُظُمنا التربوية القائمة انها تقدم ثمارا شهية اكثر مما تغرس اشجارا نديه .

٤ — نحن اذن امام واجب دائم لا ينقطع ، هو واجب الترجمة . ولعسر الترجمة لا يجوز ان يبقى فوضى بلا تنسيق ، كيلا تصير الترجمة اعمية ، وكيلا يهدر الوقت والجهد بترجمة الكتاب الواحد اكثر من مرة دون مبرر ، وكيلا تنزل الى الميدان مصطلحات متضاربة تدخلنا في دوامة القبلة ، وحساسيات الاختيار والمفاضلة .

المطلوب ترجمة الكتب الجامعية ترجمة تشرف عليها الجامعات العربية ، ويواكبها المجامع اللغوية . والترجمة لا تتم بمجرد ان تنقل مادة الكتاب الى العربية ؛ فلا بد من طباعة ، ثم لا بد من نشر . فهل تقوم الجامعات والمجامع بالترجمة ، ثم تسلم امرها الى دور النشر التجارية ؟ ان كان يتحتم هذا في حالات ، فهو لا ينبغي ان يكون في الكتب التعليمية التي نؤلفها او نترجمها لابنائنا الطلبة وزملائنا المعلمين .

اذن تُحسن الجامعات والمجامع صنعا اذا هي انشأت مكاتب للترجمة والنشر ، تُعْنَى بنشر الكتب التعليمية بأثمان تساعد على تيسير العلم، ولا تستهدف الربح الوفير .

٥ ــ ارجو الا يغيب عن البال أن الهدف الكبير الذي نهدف اليه هو تعريب التعليم الجامعي ؛ ومن اجل التعريب ينبثق لمشروع فكرة الترجمة ، وفكرة مكاتب الترجمة والنشر .

وغنيّ عن البيان اننا لا ينبغي ان نؤجل التعريب الى ان نترجم وننشر ، ونُقيم في كل جامعة او مجمع مكتبا للترجمة والتأليف والنشر ان ما اقدم عليه مجمع اللغة العربية الاردني مبادرة طيبة كثيرة المجازفة ، وكثير من الامل . كان يستهدف وضع نواة تمكّن الطالب في الجامعة الاردنية من ان يمشي مع الطلاب في السنة الاولى الجامعية على نحو لا يختلف كثيرا عما الفوه في المرحلة التوجيهية . ولكن لا شك ان تعريب التعليم ، مهما ساندته الترجمة ، يمكن ان يمشي متوازيا ولو مرحليّا .

اليس امرا هيّنا ان نحاضر ونشرح ونناقش بالعربية ، حتى مع ذكر مصطلحات اجنبية، اذا لزم الامر ، ثم في نهاية الطالب نرجع الطالب الى مرجع اجنبي ؟ لأن اقول للطالبي : ستقابلكم في هذا المرجع مصطلحات جديدة ، اليكم قائمة بها وبمعانيها العربية ، احفظوا واضمنوا لفهم الطالب من ان احاضره بلغة لا يفهمها ، ثم الطالب الى كتاب يُحوّل درسَ العلم عنده الى بحث في القاموس . بل اني لا يقين أن الرجوع الى كتب اجنبية امر لا مندوحة عنه ، حتى وان تكاثرت الكتب المترجمة ؛ وهو امر سيتزايد كلما سعدنا في سلم التعليم العالي

٦ ــ ومشاكل الترجمة والنشر ليست سهلة هيّنة ، ولكنها هي كثيرة متشابكة ، آخذ بعضها برقاب بعض ؛ ولعلنا نأتي في التفكير فيها تفكيرا صافيا بُنّاء ، اذا حلّلها الى عواملها الاولية . وما عواملها الاولية : ما الذي نترجمه ؟ ومن الذي يترجم ؟ وماذا بعد الترجمة ؟

بعبارة اخرى : ابحث في امـر الكتب التي نترجم ، وامـر الاشخاص الذين يقومون بترجمتها ، ثم أمْـر نشر هذه الكتب .

١ — امـا بصدد الكتاب الذي يترجَم ، فبين البيروقراطية والمركزية التي تدعو الى مجلس عربي عـام يقوم باختيار الكتب،فيوقعنا في بـطء الاجراء ودوامة اختلاف الاذواق والمستويات ، وبين فوضى المبـادرات الفردية ، كأن يقوم كلّ مدرّس بترجمة الكتاب الذي يحلو لـه ، ثم اذا بنا نجد الكتاب الواحد اكثر مـن ترجمة واحدة ، ارى ان نختـار طريق المركزيات المحلية . ففي الاردن ، مثـلا ، يقوم المدرّسون باختيار الكتب التي يودون ترجمتها من اجـل التدريس ، فيعرضون قائمة باسمائها على مجالس الاقسام ، فمجلس الكليـة ؛ فاذا اقتنع المجلس بجـدوى الترجمة ، آخذا بعين الاعتبار عمـر الكتاب الحالي من ناحية ، وامكانيات التأليف من ناحية اخرى ، يتقـدم بطلب الى مجمع اللغـة العربيـة الاردني ؛ فاذا أقـر المجمع الترجمة،يخبر بذلك الجامعات العربيـة والمراجع ، كيلا تقوم بترجمة الكتاب نفسه . فـاذا انقضى سنتان ولم يظهر البديل ، تصبـح الجامعات والمجامع في حلّ من امـر ترجمته .

فمـا البدائل المتطورة التي يمكن ان تقوم في وجـه هـذا الترتيب البسيـط ؟

اولا : الجامعة التي لا تجـد الى جوارها مجمعا مستعدا للاشراف على ترجمة مـا توصي بترجمته من كتب وعلى تمويلـه ، يمكـن ان تستعيض عنـه بمكتب ترجمة تقيمه لهذا الغرض ، كـي يتولى مهمة المجمع هذه،مستمدا سلطانه من الجامعة ذاتها .

ثانيا : الحصول على حـق الترجمة ، اذا امكن ، امـر ينبغي ان تسعى اليه المراجع ومكاتب الترجمة ؛ فاذا تعذر فمن حسن حظنـا ان العالم قد بدأ يأخذ بالاتفاقية حق المؤلف والناشر ؛ يكفي ان نخبر المؤلـف او الناشر او كليهما اننـا نرغب في ترجمة الكتاب ، وليس علينا بعـد ذلك ملاحقة قانونية .

ثالثا : ان النظرة الواقعيـــة قد تغاير توحيد الكتاب الدراسي في جميع انحاء العالم العربي . ولعـــلّ في ان يُتَرْجَم في الموضوع الواحد ، من المستوى الواحد ، اكثر من كتاب ، خيرا ؛ فابناؤنا بحاجة الى مقررة والى مراجع ؛ وإن مـــن الخطر ان يكون ثمـــة مرجع واحد يلجأ اليـــه الطالب والمدرس .

رابعا : ينبغي ان نشجع التأليف الاصيل بقدر ما يمكننا ان نشجع الترجمة ؛ فاذا استُعمِل كتـــاب مؤلَّف محليًا،ينبغي ان يكون هدف الترجمة ان يكون هـــذا الكتاب من مستوى جيـــد عالمي ، فاذا ما يجدّد وجب تغييره بدون تردد . ان لـــم يكن ما نؤلفه للعالمية في المستوى العالمي المقبول ، فلا خير فيـــه .

خامسا : **بالتاكيـــد** : **ما كل ترجمة مقبولة** ، لا من حيث اللغـــة ، ولا من حيث المحتوى ؛ **فكـــل كتاب يُترجَم او يُؤلَّف ينبغـــي ان يُعرَض على لجنـــة تقييم تشهد بسلامة لغتـــه وصحة ترجمته .**

ب ـ **فاتـــي الآن الى اختيار المترجمين** : فهؤلاء عليهم من المسئوليات الجسيمة ، كل في ميـــدان تخصصـــه . والاساتذة بنهم طبعًا يقدرون على الترجمة ، واكثرهم لا يقدرون . امـــا اولئك الذين يقدرون على الترجمة فقد اوتوا موهبة عالية،هي القدرة على فهـــم لغتين فهما عميقـــا ، وعلى التعبير بلغتهم على الأقل تعبيرا صحيحـــا . فمثل هؤلاء قليلون على ان يكتبـــوا للمجلات السيارة مقالات يتقاضون عليها مكافآت مجزية . فان لم يكن المـــردود المادي للترجمة مجزيا ، تسيغـــل هؤلاء ان يلجأوا الى كتابة المقـــالات ؛ وان هـــم لم يترجموا فمثل ما تدعو اليه الحاجة النشل . لذلك لا بـــد من حافز مـــادّيّ يحفزهم للترجمة . وهنا يتبادر الى الذهن اعتبار الترجمـــة الناجحة مبررا تثويبا للترجمة . اقولها بكل ما املك من قـــوة : مهما بلغ ترحيبنا بالمؤلفات الاصيلة ، فـــان الترجمة الناجحة اكثر منهـــا فائدة وادعى للترحيب . ولـــذا فاني ادعو الى جعلها مميّزا يُستَدعى الترقيـــة .

لسنا الذين لا يقدرون على الترجمة ، فلا ينبغي ان نذير لهم ظهرنا ؛ ذلك ان الترجمة تتحسن بالممارسة ، ومن لا يتقنونها الآن فقد يتقنونها في المستقبل ؛ ولهذا فعلى المسؤولين عن امر الترجمة اخذ هذا بكثير من الصبر والحكمة والاناة،عساهم يغدون بعد حين احسن حالا . ان من واجبات مكاتب الترجمة ان تساعد على تخريج اجيال تحسن بتقنونها .

وبصدد تخريج هذه الاجيال،اقترح بقوة ان يكون من مساقات كل قسم مساق واحد على الاقل يقتضي ان يقوم فيه الطالب بترجمة كتاب ، او فصل من كتاب ، او بحث في ميدان تخصصه . ويمكن ان تجمع هذه الترجمات وتنشر . واذا خُطّط لمثل هذا المساق تخطيطا سليما ، فسيكون ما يُبْذَل فيه من جهد مثمرا اكثر مما نتصور .

ولود ان اشير الى العدو الرابض في المحتل من ارضنا . بمثل هذا الذي اذكره خلقوا لهم لغة بعد ان لم تكن شيئا مذكورا ، ونقلوا الى هذه اللغة اكثر الفكر العالمي الرصين،وكوّنوا لهم مكتبات تنافس اغنى المكتبات .

فلماذا نتكاسل نحن عن ترجمة الكتب العلمية مما يملأ العين ، ويملأه ويشرف عليه مكاتب متخصصة ، في رحاب مجمع لغوي او جامعة ، وترجمة اخرى جادة يقوم بها طلاب لاستكمال متطلبات تخرّجهم ؟ لا يمكن الا ان يرتسم في الصورة سيل من المصطلحات العلمية ، منها المعرّب ومنها المترجم ،ومنها القديم ومنها المستحدث ، ومن هذا المستحدث ما قد يصمد وما قد يذهب كالزبد جفاء ، يرفضه اللسان . ومع هذا السيل الذي يتدفق في كل قطر ، مَن ذا الذي يضمن الاّ نفتح اعيننا الا وقد وجدنا لكل قطر مصطلحات علمية خاصة به ، تكرّس الانفصال اللغوي مثلما كرّست الاحداثُ الانفصالُ السياسي ! !

الذي يضمن ذلك قيام مكاتب الترجمة بتنسيق هذه المصطلحات وجمعها وعرضها في مجموعات على المجامع اللغوية ، كيما تساعد على اقرار ما تراه مناسبا ، وعلى رفض ما لا تراه مناسبا .

واذا كنـا نتردد كثيرا في تقييد المترجمين ، ونطالب ان يتركوا لهم في ما يرونه مناسبا من تعريب او ترجمة للمصطلحات الاجنبية ، واذا كنـا ندرك ان مفاهيم بعض المصطلحات يحتويها ما يطرأ على العلوم ذاتها من تطور ، فينبغي الا نتردد قيد انملة في اشاعة ما تولّده اللغوية من مصطلحات مستحدثة ، وفي الالحاح على الالتزام بها ريثما يأتي ما هو احسن منه . ليست الغاية التي نستهدفها الحاح الناس على استحداث المصطلحات ، ولكن الغاية ان نصل على توحيدها في العالم العربي .

ومكتب التنسيق ، الذي يقوم بهذه المهمة الخطيرة ، ينبغي ان يكون من العلميين المتخصصين الذين يشاركون في الترجمة ذاتها ، ويعرفون عمّا يتحدثون . لهذا ارى ان يكون هو نفسه مكتب الترجمة ، ينظّم الترجمة ، وينسّق المصطلحات ، ويرفعها الى المجامع .

جـ — وبعد الترجمة تأتي الطباعة والنشر .

امـا الطباعة فتتولاّها المطبعة ، والتكنولوجيا تولي الطباعة اهتماما كبيرا ، فما قد نراه الآن احدث مطبعة نجده بعد سنتين قد فاته قطار التطور السريع . ومع تطور الطباعة يأتي التفنّن بالتنويع والاخراج وعرض الكتاب على نحو جذاب . ولقد اقتضتني التجربة العملية والممارسة ان المطابع المحلية تجد اسهل عليها وابل ان تلبي الطلبات المتزايدة : من اخراج جذاب ذي الوان وتجليد ، باللجوء الى مطابع في اثينا او روما . وهذا امر مؤسف ، ولكن لعلاّ علاجه من شأن المطابع المحلية . علينا ان ندفع بها للعمل بالتنسيق وهي عاجلا او آجلا ستستجيب .

ولكن الطباعة غالية التكاليف ، انها تبلغ اربعة اضعاف تكلفته الترجمة . واذا كان الكتاب الذي يترجم سيصل الى عدد من الطلاب ، شهّا ان تُستَرَدّ تكاليفه في غضون سنتين . ولكن قلّما يتوافر مثل هذا العدد في غير السنة الاولى الجامعية . اما في غيرها

من المستويات فقد يكون استهلاك الكتاب المتخصص بطيئا الى حد لا يحتمله الجامعة ولا المجمع . حتى ولا دعم الدولة يضمن بقاءه طويلا دون هزات مبعثها التغيرات السياسية المحلية .

لهذا ارى ان تتعاون مكاتب الترجمة والتنسيق ، وان يسند بعضها بعضا على نحو يتفق عليه وتوقع بصدده اتفاقيات . واود ان اترك تفاصيل هذا الامر الى لجنة العمل التي دعوت الى تكوينها . قد تكون احدى السبل ان تسند الدولُ العربيةُ الغنيةُ مكاتبَ الترجمة والتنسيق في الدول الاخرى . ومن السبل التي تتبادر الى ذهني ، والحديث منحصر في الكتب التي تستعملها كليات العلوم ، توزيع اعباء الترجمة على هذه المكاتب ، بحيث يزوّد كلُّ مكتب المكاتب الاخرى بعدد من النسخ يضمن سرعة التصريف ومواكبة التغيُّر السريع في الكتب .

المطلوب على كل حال ، ان يكون بامكان كل مكتب ان يُقْدِم ، دون خسارة كبيرة ، على ترجمة كتاب علمي يعرف ان عدد الطلاب الذين يستعملونه لا يزيد عن عشرة في كل عام ، وانه قد يضطر الى اهماله وترجمة غيره بعد خمسة اعوام . مثل هذا الكتاب لن تكون ترجمته مجدية الا اذا استعمل على نطاق العالم العربي باسره .

الخلاصة مما تقدم الى ان مكتب الترجمة الذي في ذهني هو مكتب ترجمة وتعريب ونشر يتبع الجامعة او المجمع ، ويرتبط بالمكاتب الاخرى عن طريق اجتماعات سنوية توزّع فيها اعباء الترجمة ، وتُحَدَّد التخصصات والارتباطات .

ليس في النية طرد اللغات الاجنبية من كليات العلوم ، بل انني ارى ان قد يكون من الاجدى تعريف بعض الطلاب في بعض التخصصات بلغة اجنبية واحدة . وانا ابيح لنفسي ان انصرف لمعالجة الوضع في بلد كالاردن ، اللغة الاجنبية فيه هي الانكليزية . والسؤال الآن : كيف نضمن رفع مستواها لدى ابنائنا ، لا خفضه ، في ظل التعريب ؟

وانسي انظر في هذا الامر نظرة واقعية ، فوا

١ ــ ان طلابنا يأتون الى الجامعة بعد سنوات عديدة قضوها في يدرسون اللغة الانكليزية مع موضوعات تعليمية اخرى . فهم ، في ظل هذا النمط التعليمي ، لا يجهلون الانكليزية كلية ، ولكنهم اولا : لم تتح لهم فرصة التحدث بها بالقدر الكافي . ولا فرصة استعمالها في شؤون الحياة العامة ؛ ثم هم ثانيا : يجهلون الاصطلاحات والتعبيرات العلمية .

٢ ــ في تقديري ان اي مساق يعلى لهؤلاء الطلاب في اللغة الانكليزية لا يرفع من مستواهم بالقدر الملموس ، مهما بذل من تنسيق على دراستهم والتحدث معهم في موضوعات تثير اهتمامهم . ان هذه المساقات تعرّفهم بالمصطلحات والتركيبات العلمية ، ولكنها ، كالمساقات التقليدية التي سبق لهم ان درسوها في المرحلة الثانوية ، لا تحسّن مستوى توظيفهم للغة في شؤون الحياة اليومية .

٣ ــ ان ما يضمن تحسين مستوى ابنائنا الى حد ما هو اهتمامهم باللغة الانكليزية، تحدّثا وكتابة، هو ارسالهم للعيش في بيئة انكليزية لمدة ثلاثة اشهر الى سنة . ان ابناءنا يذهبون اليوم للتعلم في بلد لا يسمعون من لغته كلمة واحدة ، ثم هم بعد ستة اشهر يصبحون على علم بلغته يمكّنهم من حضور المحاضرات والتحدث مع ابناء البلد .

٤ ــ وغنيّ عن البيان اننا نتمنى ان يمارس جميع ابنائنا هذه الاستزادة المستمرة من المعرفة ، ولكننا نعلم ان هذه البيئة لا تتهيأ الا بقدر محدود .

من هذا كلّه اخلص الى نتيجة واحدة اجملها بقولي ، هو ان تعريب التعليم في كليات العلوم ، مع اعطاء مساق للغة الانكليزية ، يعرّف الطالب باهم المصطلحات العلمية ويعلّمه التعبيرات ، ثم مساقين او اكثر من ميدان تخصصه ، بالانكليزية ايضا ، فوائد

ليمنا الاطلاع على استعمال الدوريات والبحوث التي تنشر فيها ، ونحرص لنا عاليا اكثر من تخرجهم الآن اتقانا لموضوعات تخصصهم، واقدر ايضا على استعمال المصادر الانكليزية العلمية . فمن شاء مزيدا من معرفة الانكليزية فليعش في جو يتيح له ان يتعلم المزيد من الانكليزية تحدثا وكتابة .

ولا يفوتني ان ننسى اننا اوصينا بان يكون من واجبات كل طالب في كلية العلوم ان يمارس الترجمة من اللغة الانكليزية، استكمالا لمتطلبات تخرجه .

ارجو ان اكون قد وفقت في طرح بعض المشكلات واقتراح بعض الحلول .

د. احمد سعيدان

تعريب العلوم الإنسانية

قضايا ومقترحات

للدكتور محمود أمين العالم
(مجمع اللغة العربية بالقاهرة)

مقدمة :

الاهتمام بالانسان ، سمة من سمات التراث العربي ، منذ جاهلية العرب ، كان الانسان والعلاقات الانسانية ، محور ما أُنتج من ادب العرب ، وجُلّه شعر في ذلك الوقت ، وحين جاءت دعوة الاسلام ، وتنزّل بهذه الدعوة قرآن كريم ، كان الانسان ، فرداً وعضواً في جماعة ، موضع الاهتمام الكبير . ولقد كُرّم في النصوص القرآنية ، كما لم يُكرَّم في اي نص . فمثلاً عرفت اول الحضارة التي وُجدت في ظل الاسلام ، قد رَكّزت تركيزاً شاملاً على الانسان ، حتى لَيصحّ القول إن من خصائصها الاولى الاهتمام بالانسان ، وإنْ لم تغفل البيئة التي عاش فيها الانسان ، والقوانين الطبيعية التي تحكمها . وما على المرء الا ان يستعرض النتاج الفكري لهذه الحضارة ، لكي يرى موضع الانسان فيه ، والتفاصيل الدقيقة في احاسيس النفس الانسانية وهواجسها وتطلّعاتها .

وهنا ينبغي التنبيه الى ان شأن الدراسات الانسانية عند أية امة من الامم ، غير شأن الدراسات الطبيعية ، لان الدراسات الانسانية مرتبطة بذوات الامم ، معبّرة عن شخصياتها المتميزة ، في حين ان الدراسات الطبيعية غير مرتبطة بذاتية امة معينة ، لانها نتاج القوانين الطبيعية العامة الشاملة ، التي لا تتغير بتغير المجتمعات والبيئات ، ولا تتأثر بخصائص الامم . ولهذا فان قِيَم الامم وثقافاتها وقواعد

لخلافنا ، اننا نقرأ فيما يصدر عنها من دراسات انسانية ، قبل اي نوع آخر من الدراسات . ومعنى ذلك ان العلوم الانسانية لاية امة ، ينبغي ان تكون منبثقة من ذاتها ، معبرة عن شخصيتها ، والا تعرضت الامة لمخاطر كبيرة ، قد تؤدي في النهاية الى اذابتها حضاريا في امم اخرى . وليس المقصود من هذا القول ، ان تنغلق كل امة على نفسها في مجال العلوم الانسانية ، فلا تطلع على ما لدى الامم الاخرى ، وانما المقصود ان يُكيَّف ما يؤخذ عن الآخرين مما يُستحسَن ويُقتبَس حتى يصطبغ بصبغة الامة المقتبسة ، ويندمج في بُناها وقيمها ، لكي يكون عنصر إثراء وافناء ، لا عنصر تسلّط وطغيان .

واقد مرّ العرب بتجربة الاحتكاك بالعلوم الانسانية عند الآخرين ، حينما اختلطوا ازمن العباسيين بشعوب اخرى ذات تراث حضاري عريق ، فترجموا من كُتُب الفرس ذات الصبغة الاجتماعية ، كما ترجموا من كتب اليونان ذات الصبغة الفلسفية ؛ ولكنهم كانوا قادرين على ان يستوعبوا ما اخذوه عن الفرس واليونان معا ، ويصبغوه بالصبغة الاسلامية ، لانهم كانوا في مرحلة ثقة عارمة بالنفس جعلتهم قادرين على ان يطوّعوا ما يأخذونه عن الآخرين لمقتضياتهم وقيمهم ، بعد ان طوّعوه للغتهم ، ايمانا منهم اذ ذاك بانهم كانوا يدينون بخير عقيدة ، ويتكلمون خير لغة .

ومع ذلك ، فالناظر فيما ترجمه العرب في تلك الحقبة عن الآخرين في نطاق العلوم الانسانية ، يرى انه اقلّ بكثير مما ترجموه في نطاق العلوم الطبيعية . وذلك امر طبيعي متوقّع ، لان ما كانوا يفتقرون اليه من العلوم الطبيعية كان كبيرا ، وهي علوم لا تَمَسّ ،

كما ذكرنا آنفا ، ذوات الامم وشخصياتها ، بسبب صبغتها الشمولية العامة ، في حين ان امتزاز العرب اذ ذاك بما لديهم من قيم انسانية منبثقة من عقيدتهم ، كانت تشعرهم انهم في غنى عما لدى الآخرين ،

وانهم هم الذين يحملون رسالة انسانية عامة ، من واجبه ان ينقلوها الى شعوب الارض جميعا .

والذي ينبغي ان نتذكره الآن ، هو انه عندما اتصلنا في العصر الحديث بالعلوم الانسانية الغربية ، لم يكن لدينا تقة اتصالنا بالغرب ، بل على النقيض من ذلك ، كنا — وما نزال لسوء الحظ نشعر بتفوق الآخرين في كل شيء تقريبا ، وبالانسحاق امامهم في كل شيء تقريبا كذلك . ولذا فاننا ونحن نأخذ عنهم علومهم الانسانية نحسب ما نأخذ ، نتعرض ، اذا لم نُحسن التنبُّه ، الى مخاطر ابدال قواعد محلَّ قواعد ، وقِيَم محلّ قيم ، وبالتالي الى مخاطر اذابة شخصيتنا الحضارية في شخصية حضارية اخرى . وقد تفاقم هذا الخطر في الآونة الاخيرة ، بعد ان كادت حضارة الغرب ، بما تزال لها من امكانيات هائلة ، تطغى على حضارات الشعوب جميعا ، وبعد ان وُلِّدت تجربتنا الصعبة مع الصهيونية وحلفائها ، الشعور بالارتياب عند الكثيرين منا ، بكل ما ينبثق من هذا الشعور من سوء ظن بالنفس ، ونقد قاس للذات يبلغ حدّ التهديم .

العلوم الانسانية في الجامعات العربية :

في نطاق الحديث عن تعريب العلوم الانسانية في الجامعات العربية ، قد يقال ان القضية غير قائمة اصلا ، او هي قضية جزئية ، لان العلوم الانسانية : من فلسفة واجتماع وتربية وعلم نفس وعلوم سياسية واقتصادية ، الى غير هذه مما يدخل فيما اصطلح على تسميته بـ « العلوم الانسانية » ، تُدرَّس فعلا باللغة العربية في الاقاليم الساحقة من الجامعات العربية ، وبخاصة جامعات المشرق العربي ، ولا يشذّ عن ذلك الا عدد محدود من هذه الجامعات ، وبخاصة في المغرب العربي .

وهذا القول ، ولو انه صحيح من الناحية الاحصائية ، الا انه يغفل مجموعة من الامور التي لا بد من توافرها ، لكي يصح

يوسعنا القول بان هذه العلوم معرّبة شكلا . ويمكن ايجاز هذه الامور فيما يلي :

١ — ان اللغة التي تدرّس بها هذه العلوم في معظم الجامعات العربية ، انما هي خليط من عامية ومفردات اجنبية ، وهي بالتالي ليست اللغة العربية السليمة الموحدة ، التي يفهمها ابناء العرب على اختلاف مواطنهم .

٢ — ان المصطلحات التي تُستعمَل في التدريس ليست مصطلحات عربية موحدة ، ذات دلالات واحدة ؛ فهي تختلف من بلد الى آخر ، بل من جامعة الى اخرى ؛ وكثيرا ما تقدم بالفاظها الاجنبية ، حسب لغة البلد الاجنبي الذي تلقّى فيه استاذ المادة تعليمه .

٣ — في كثير من الجامعات العربية ، لم تجر محاولات لربط المصطلح الجديد بمصطلح عربي مقابل سَبَقَ أن استعمله اسلافنا ، واكتسب من خلال استعماله عبر القرون دلالات وايحاءات تاريخية وفكرية ووجدانية لا يمكن ان تتوافر في مفردة جديدة على الاذن العربية .

٤ — وفي كثير من الحالات كذلك ، يجري النقل من اللغات الاجنبية الى اللغة العربية في العلوم الانسانية ، دون ادراك التفاعل الخلفية الحضارية والاجتماعية للمادة المنقولة عن مصدر اوروبي او امريكي ، ولا مدى تواؤم هذه المادة مع المجتمع العربي ، بأوضاعه التاريخية ، والحضارية والاجتماعية الخاصة به . في حين أن الذي يتصدى لنقل مثل هذه المواد ، ينبغي ان يكون على علم بأوضاع كلا المجتمعين المعنيين : المجتمع المنقول عنه ، والمجتمع المنقول اليه ، حتى تُقدَّم المادة الى الطلبة ، وهي على بصيرة بخلفيتها عند الآخرين ، ومدى تواؤمها مع مجتمعهم .

٥ ـ وقد يحدث ان يكون الناقل ـ مدرسًا كان او مؤلفا ـ لا يتماثل فكريا ووجدانيا مع المجتمع العربي الذي ينتمي اليه ، بل قد لا يكون على بيّنة من تاريخ هذا المجتمع ، وما ارتبط به من نُظُم وقواعد وقِيَم ، ومن التطورات التي مر بها عبر تاريخه ؛ فكثيرون هم مدرسو العلوم الانسانية الذين تلقت جميع دراساتهم التالية للمرحلة الثانوية في جامعات اجنبية لا تُعنَى اساسا بالمجتمع العربي ، بل قد لا تدخل ما يرتبط به وبمقومات الحياة فيه في مناهجها ، فيتخرّج الطالب العربي من هذه الجامعات وهو يكاد لا يعرف شيئا عن المجتمع الذي ينتمي اليه اصلا ، في حين انه يعرف بحكم دراساته الشيء الكثير عن المجتمعات الاخرى : من يونانية ورومانية قديمة الى اوروبية واميركية حديثة . وحين يعود الى بلده الاول بعد جامعاتها ، لا يدرك ، وهو ينقل علمه الى طلبته ، ان طبيعة المادة التي يدرّسها ليست ذات صبغة عالمية ثابتة ، بل هي قابلة للتكيُّف والتغيُّر بتغيُّر البيئات الاجتماعية التي تدرَّس فيها .

والخطر في مثل هذه الحالة بيّن ، إذ أن تداخل القيم والقواعد السلوكية والمعيشية ، وتضارب هذه القيم والقواعد احيانا ، يُحدث اضطرابا في النفوس ، وبخاصة في نفوس فئة كنفوس الطلبة ، تكون في دور التطلّع الى القيم والمثل والانتماء التي تتبنى عليها الدولة الواحدة في البلد الواحد ، او الانتماء الواحد في الامة الواحدة ، كما هي الحال بالنسبة الى طلبة العرب ، وامة العرب .

التعريب في صورته الصحيحة :

ايّ نوع من تعريب العلوم الانسانية نريد اذن ، اذا اردنا تعريبا سليما بريئا من الثغرات والمحذورات المذكورة آنفا ؟ ان طبيعة هذه الثغرات والمحذورات،كما اوضحت آنفا ، هي ، الى حد كبير ، مؤشر الى طبيعة التعريب الذي نريده للعلوم الانسانية التي

تدريس في الجامعات العربيـــة ؛ ولكن التعريب الذي نريده لهذه العلـــوم في نطاق الجامعة ، يقتضـــي أن يتناول كذلك امـــورا اخرى ؛ فليس التعريب يقتصر على أن تكون لغـــة التدريس هي اللغـــة العربيـــة الســـليمة ، بل لا بـــد كذلك من أن تُجْرَى بحوث علميـــة في نطاق هذه العلوم باللغـــة العربية ، حتى يدرك المشتغلون بهذه العلـــوم علـــى جميع المستويات ، أن اللغـــة العربية يمكن ان تكون لغـــة البحث العلمي في هـــذا الميدان ، شأنها في ذلك شأن ايـــة لغـــة اجنبية تُنْشَر بها بحوث في العلـــوم الانسانية في الدوريات العلميـــة . والذي يُنشَر بحثا في العلـــوم الانسانية باللغـــة العربية في مجلة علمية ، لن يصعب عليه ان يؤلف كتابـــا في هذه العلوم باللغـــة العربية ، لكي يُشْعِر الطالب والقارىء العربي من اي نوع انـــه قادر على ان يجد المرجع الـــذي يقـــرأ فيه في هذه العلوم بلغتـــه ، مثلما انـــه قادر على ان يستمع الى من يتحدث في هذه العلوم باللغـــة العربية ، وحتى تصبح مفردات هذه العلوم ومصطلحاتها في متناول القارىء العربي اينما كـــان ، فتشيع على الالسنة ، ولا تنحصر بـــين مدرّس وطالب في قاعـــة محاضرات داخل اسوار الجامعـــة .

المـــدرس :

كثيرا ما يقال ان تعريب التعليم الجامعي ، في جميع المـــواد لا في بعض المواد دون اخرى ، هو امنية جميلة ، ولكنـــه صعب التحقيق ، لان المدرس الجامعي غير قادر على ان يدرّس مادتـــه لطلبته باللغـــة العربية ، بعد ان تلقّى هو هذه المـــادة بغير اللغة العربية . والمدرس كان ومـــا يزال ، اهـــمّ عنصر في العملية التعليمية ؛ واذا لـــم يكن هو مؤهلا لان يُدَرِّس باللغـــة العربية ، فلا يمكن لشيء آخر ان يجعـــل التعليم بهذه اللغة ممكنـــا .

وهـــذا القول يعجز المدرس عن التدريس باللغـــة العربية ، لا يثبت كثيرا التمحيص الدقيق ، كما يتبين مما يلـــي :

١ ــ اذا افترضنا اولا ان المدرس المعني لا يعرف العربية لانه اجنبي، فان ذلك لا يكون مشكلة حقيقية ، لان عدد المدرسين العلوم الانسانية من الاجانب في البلاد العربية قد تقلص الآن الى حد بعيد ، حتى غدت جامعات عربية كثيرة ليس فيها اجنبي واحد يدرس هذه العلوم (باستثناء مدرسي اللغات الاجنبية طبعا) . وهذا العدد القليل جدا من المدرسين الاجانب تُحَلّ مشكلته بان يستبدل به مدرسون عرب ، وإن استُبقِيَ بعض من الاجانب لتفوّق في مادة تخصصه ، فلا باس من ان يدرّس جزءا من المنهاج في اطار تخصصه باللغة الاجنبية ، لابقاء الطلبة على صلة بالمصطلح الاجنبي والمراجع الاجنبية . بل ان من المفيد ، حتى في حالة عدم وجود مدرس اجنبي في قسم من اقسام العلوم الانسانية في جامعة عربية ، ان يُعطَى للغرض عينه بعض محاضرات بلغة اجنبية بعض مدرّس عربي . وقد مررنا في قسم اللغة العربية بالجامعة الاردنية بمثل هذه التجربة حين حاضر بعض المدرسين العرب في القسم باللغة الانجليزية ، في مادة النصوص الانشائية المكتوبة بتلك اللغة .

٢ ــ اما بالنسبة الى المدرسين العرب ، فان التدريس باللغة غير العربية في مادة العلوم الانسانية ، اصبح لا يتفق مع واقع هؤلاء المدرسين بحكم مصادر ثقافاتهم ، فقد ذهب الزمن الذي كانت الانجليزية او الفرنسية فيه اللغتين الاجنبيتين الرئيسيتين اللتين يتعلم بهما الانسان العربي في الخارج ؛ اذ اصبح هذا الانسان يدرس في عدد كبير من اقطار العالم بلغات تختلف باختلاف القطر الذي يدرس فيه ، مما يجعل تدريس الطلبة العرب باللغة الاجنبية الذي درس فيه المدرس امرا غير عملي ؛ ولم يبق والحالة هذه الا ان يجرى التدريس باللغة المشتركة الوحيدة بين المدرس وطلبته العرب ، وهي اللغة العربية .

وهنا نعود الى الدعوة القائلة بعدم قدرة المدرس الجامعي على أن يدرس باللغة العربية ؛ ونُرُدّ على ذلك ما يلي :

ا — لا يمكن الادعاء بأن انسانا نشأ في مجتمع عربي ، ودرس مدة اثني عشر عاما على الاقل خلال مرحلة التعليم العام باللغة العربية (هذا اذا لم يدرس بعد ذلك في اية جامعة عربية) يمكن أن يكون اعجميا غير قادر على الابانة ، لمجرد انه قضى بضع سنوات من عمره في بلد اجنبي . وحتى ان تَعَثّر هذا المدرس في بداية تدريسه بلغته القومية ، فان الممارسة والمران كفيلان بأن يزيلا هذا التعثّر تدريجيا ، الى حين التخلص منه نهائيا . وغير خافٍ ما ينبني على التعليم باللغة القومية من آثار ايجابية على المتعلمين ، لتفاعلهم مع الافكار المقدَّمة بلغتهم القومية أضعاف تفاعلهم مع افكار تقدَّم اليهم بلغة اجنبية .

٢ — وحتى نساعد مدرّسي هذه العلوم على الأداء عن انفسهم بيسر وطلاقة في اللغة العربية ، نُقترح ما يلي :

ا — استحثاث هؤلاء المدرسين على مطالعة الكتب المكتوبة بالعربية ذات العلاقة بتخصصهم ، ولا سيما كتب التراث العربي ، التي تقدّم لقارئها افكارا ومادة لغوية ذات علاقة بالعلوم الانسانية ، بما في ذلك المصطلح الفني العربي ، الذي يمكن اقتباسه والاستفادة منه . ومع كتب التراث القديمة ، يمكن للمدرس بالطبع ، ان يستفيد كذلك من الكتابات العربية الحديثة المرتبطة بالعلوم الانسانية .

ب — اتاحة الفرصة لبرنامج تبادل بين مدرّسي هذه المواد في الجامعات العربية ، حتى يتاح للمدرسين حديثي العهد باستعمال اللغة العربية في التدريس ، ان يشهدوا تدريس هذه المواد في الجامعات العربية التي تمرّست بتدريسها

باللغة العربية ، وان يشاركوا هم في عملية التدريس بالعربية ؛ ولكي يتاح كذلك لطلبة الجامعات العربية في البلاد المعهد باستعمال العربية في التدريس ، ولمدرّسيهم ، فرصة الاستماع الى مدرسين زائرين ألفوا التدريس بالعربية ، وهم يحاضرون بهذه اللغة .

جـ — تنظيم دراسات للتقوية في اللغة العربية تُعَدّ خصيصاً لمدرسي العلوم الانسانية ، ويُعْتَمَد فيها على نصوص مختارة من مواد تلك العلوم ، ما بين قديمة وحديثة ، فتكون هي المحور الذي يُنطَلَق منه في عملية التدريس ، وذلك بغرض اكتساب المهارات اللغوية ، بما في ذلك التعبير غير المتعثّر مشافهةً وكتابةً بالعربية ، وبما لها من الالفة بالنمط العربي المرتبط بالعلوم الانسانية . وقد يُدخل في هذه الدراسات كذلك اعمال ترجمة من اللغة العربية واليها في نطاق تلك العلوم ، وكتابة تقارير وبحوث قصيرة فيها باللغة العربية .

د — وقد يكون مما يفيد ، حيثما توافرت الامكانيات ، ان يحاضر هؤلاء المدرسون بعض المحاضرات في كليات التربية الموجودة في جامعاتهم ، للاستماع الى اساليب تدريس العلوم الانسانية التي تتسع ضمن اختصاصاتهم ؛ اذ ان هناك الكثير من العناصر المشتركة في عملية تدريس مواد معينة ، حتى في مستويات تعليمية مختلفة ، ولا سيما وأننا نركز هنا على اللغة التي يجري بها التدريس .

المصطلح :

ومن اوائل القضايا التي يوردها المتخوفون من تعريب التعليم الجامعي بشكل عام ، قضية المصطلح ، انطلاقا من فكرة سائدة ،

مؤداها أن المجتمع الذي ينتج المادة العلمية ، ينتج معها مصطلحاتها . وبما أن مجتمعنا ما يزال عالة على الانتاج العلمي الغربي ، الذي يتسارع في عصرنا هذا بصورة لم يسبق لها مثيل ، فانه سيواجه هذه المصطلحات الاجنبية الكثيرة التي تتسارع مع تسارع الانتاج العلمي . واذا أمكن لشعوب لم تمرّ لغاتها بالتجربة الحضارية التي مرت بها الامة العربية ، أن تتجاوز هذه الصعوبة ، فتدرّس وتكتب وتؤلف في العلوم الحديثة كلها بلغاتها ، فان بامكاننا أن نتجاوز هذه الصعوبة كذلك ، اذا ما قررنا نحن مواجهتها ، وخطّطنا لايجاد حل لها ، على اساس العمل الجماعي المنظم .

وأول ما ينبغي فعله في هذا السبيل ، التخلّص نهائيا من موقف الكثيرين من اللغة العربية واللغات الاجنبية ، وهو موقف الاعجاب والانبهار باللغات الاجنبية ، واعتبارها لغات العلم والمعرفة والحضارة القادرة على مواكبة الحياة الحديثة ؛ وموقف الاستضعاف لشأن اللغة العربية ، واعتبارها لغة الماضي ، أو على اكثر تقدير ، لغة الشعور والعواطف والادب ، لا لغة العلم والمعرفة ، المنبتين عن الحياة العلمية .

وحين نتخلّص من هذه العقدة ، يمكن أن نسير في حل مشكلة المصطلح في العلوم الانسانية على ضوء مجموعة من الحقائق ، نلخّصها فيما يلي :

١ ـ ان المصطلحات المستجدّة الخاصة بالعلوم الانسانية هي ، في الواقع ، اقلّ بكثير من نظيراتها الخاصة بالعلوم الطبيعية والتطبيقية .

٢ ـ ان تراثنا العربي ، بدءًا بالقرآن الكريم والسنّة النبوية ، ومرورا بمؤلفات ادباء العربية وكتّابها الكبار عبر القرون ، حافل بالمصطلحات المتعلقة بالعلوم الانسانية ؛ وهذه المصطلحات

حين تفرغ وتنظم في جداول حسب موضوعاتها ، [illegible] الدارس بالكثير مما يحتاج اليه من الالفاظ التي [illegible] على معان جديدة عليه . وفضل هذه الالفاظ [illegible] انها قد اكتسبت عبر تاريخ استعمالها في البيئة العربية ، دلالات وايحاءات لا يمكن ان تكون لالفاظ اخرى ، [illegible] انها استخدمت في ظل حضارة وقيم عربية ، وطرائق [illegible] في الحياة .

٣ ـ واذا عز اللفظ العربي لمصطلح اجنبي جديد ، فمن الممكن ان يُنظر في تلمس المصطلح العربي المماثل الى وظيفة المصطلح الجديد ، او الى مدلوله الفعلي في لغته . ولقد مررنا في مجمع اللغة العربية الاردني بهذه التجربة ، في مصطلحات تنتمي الى ميادين علم مختلفة ؛ وكنا نسترشد بوظيفة المصطلح الاجنبي ، ولا سيما اذا لم يسعفنا البناء اللغوي للمصطلح . فنجد في ذلك عونا لنا في تقديم المقابل العربي . وقد يتكون لفظ المصطلح ، وقد يؤخذ جملة كما هو ، ان كانت له سمة عالمية لا تحصره في نطاق لغة دون اخرى .

٤ ـ ولكي يمكن امداد المترجم او المدرس بذخيرة من المصطلحات في مادة تخصصه ، تلتمس هذه المصطلحات في المعجمات الاجنبية المتخصصة ، ومن ثم تلتمس لها المقابلات العربية .

٥ ـ واذا كان الامر يستدعي في البداية ان يُقسّم [illegible] فرع من فروع العلوم الانسانية تراثيّ نلتمس به [illegible] الهدف النهائي ينبغي ان يكون وضع معجم كبير [illegible] العلوم الانسانية ، يكون عونا للدارس والمدرس على السواء ، ويضم بين دفتيه المصطلحات المأخوذة من تراثنا ، [illegible] المصطلحات المستجدّة . وقد يكون من الخير ان يحتوي هذا المعجم على الفاظ مقابلة بلغة اجنبية واحدة على الاقل ، لما في

ذلك من عون للباحثين والمترجمين في اطار هـذه العلوم . وهذا المعجم كأي معجم آخـر ، يكون قابلا للتنقيح والزيادة ، فـي فترات زمنية متفق عليهـا .

٦ ـ ومن البين من البيان ، ان جهودا كهذه لا يمكن ان تكـون فرديـة ، وذلك بسبب ضخامتها وعجز الافراد من القيام بهـا ، ولاننا نتطلع الى ايجاد المصطلح العربي الشامل ، لا المصطلح الخاص ببلـد دون آخـر . وكثير من المشكلات التي نواجهها في تعريب العلـوم التطبيقية ، انمـا كانت نتيجة انبثاق المصطلح من جهـد فردي او اقليمي ، دونمـا تنسيق بين الجهود على نطاق الوطـن العربـي كلـه .

٧ ـ والتوحيـد المصطلح على نطاق العالم العربي ، ولامكان القيـام بالمجهودات الكبيرة التي تتطلبها عمليـة التوحيد ، ثم عمليـة الطباعة والنشر ، يمكن السير في خطوات لم تُعُدُّ مجهولة لمـن شاركوا في اعمـال التعريب ، والهيئات التي تنظمـا وتشرف عليها في العالم العربي ، وهي كما يلـي :

أ ـ تقسيم الميزة المحلية في بلـد عربي بمجهود على مستوى ذلك البلـد ، في عملية تعريب المصطلحات . وهـذه الميـزة ، غالبا ما تكون مُجْمعا للغـة العربية ، إن وُجـد ، او جامعة ، او اية مؤسسة معنية باعمال التعريـب ، مثل لجان التعريب والترجمة والنشر الوطنيـة .

ب ـ تُرسَـل حصيلة هذا المجهود الى اتحاد المجامـع العربية ، ومكتب تنسيق التعريب في الربـاط ، والمنظمة العربيـة التربية والثقافة والعلـوم .

جـ ـ تُضَـمّ هذه الحصيلة الى نظائرها في كراس يُخَصَّص لكـل مـادة ، وتقدَّم الكراسات المختلفة الى مؤتمـر التعريب

العلم الذي ينعقد مرة كل ثلاث سنوات ، ويناقش مقترحات البلاد العربية المختلفة من خلال لجان تتفرع من المؤتمر ، وتختص كل منها بمادة من المواد .

د ـ يُمثّل ما اتفقت عليه هذه اللجان تتويجا على مستوى العالم العربي لمصطلحات معينة . واذ تتابع هذه المصطلحات وتوزع ، فان كل بلد عربي ، في مجامعه ومؤسساته المختلفة ، يكون ملزما اخلاقيا بالاخذ بها واستعمالها .

هـ ـ وحين تتكامل هذه المصطلحات ، وتشمل مجالات العلوم المختلفة ، ينبغي أن تُجمع في معجم فني يضمها جميعا .

ولا بدّ هنا من التنويه بالجهد الذي يبذله مكتب تنسيق التعريب في الرباط ، في جمع المصطلحات المرتبطة بميادين معرفة مختلفة وتنسيقها ، واخراجها في كراسات ، فضلا عن نشره طائفة كبيرة من هذه المصطلحات في (اللسان العربي) ، المجلة التي تصدر عن المكتب . وحبّذا لو كانت الاستفادة من هذه الكراسات والمجلة على نطاق اعمق واوسع في البلاد العربية ، اذ ان الكثيرين ، حتى من المختصين ، لم يستفيدوا ، او لم تتح لهم فرصة الاستفادة ، من ما نشر منها .

ومما يرتبط بموضوع المصطلحات في الدراسات اللسانية ، ان يُتّفق على ان توضع في نهاية كل كتاب يُترجم الى العربية من اللغات اجنبية ، قائمة بالمصطلحات التي وردت في الكتاب ، مع مقابلاتها العربية التي استعملت في الترجمة ؛ لان في ذلك فائدة لقارىء اللغة الاصلية ، ولان حصيلة هذه القوائم ستتكون من الروافد التي تؤسس عليها التعريب المستمرة .

المنهـــاج :

قـد يبـدو الحديث عن المنهاج في موضوع تعريب العلـوم الانسانية امـرًا خارجا عن الموضوع ؛ ولكن اذا فهمنـا تعريب هذه العلوم بالمعنـى الواسع ، الذي يتجاوز مفهـوم الترجمة ونقـل المفردة الاجنبية الى العربية ، فـان منهاج هذه العلوم يدخل مباشرة في موضوع التعريـب ، لان تعريب العلوم الانسانية ، ينبغي ان يُفهَـم منه كذلك ارتباط هذه العلوم بمـوادّ دراسية تتصل بالمجتمع العربي في حاضره وماضيه ومستقبله علـى السواء . ونحن اذا استعرضنـا مناهج التربية وعلـم الاجتماع والفلسفة والاقتصاد ، على سبيـل المثـال ، فاننا قلما نجد في هذه المناهج مـادة كافية عن مبادىء التربية العربية الاسلاميـة او اشكال تطبيقها ، او عـن النظرية الاجتماعية الاسلامية ، وما أنجـز في هذا الميدان من دراسات ، او عـن الاقتصاد الاسلامي كما يمكـن استخلاصه من النظرية والتطبيـق .

ثم ان هذه المناهج ، قَـلَّ ان تُركّز على المجتمـع العربـي الحديث ، في دراسة اوضاعه الراهنة ، واستقصاء حاجاتـه ، وتلمُّس الحلول لمشكلاته . فالدراسات الانسانية ليست مجـرد دراسات نظرية ، بل هي ، في الدرجة الاولى ، دراسة لمجموعة الناس التي ينتمي اليها الباحث ، او هكـذا ينبغي ان تكون . وهي بالتالي ينبغي ان تكـون في الجامعات العربية دراسة المجتمـع العربي في حاضره وماضيـه ، قبل ان تكون دراسة لمجتمعـات اخرى . وتعريب هذه العلوم ينبغي ان يُفهَم منه ، ضمن مـا يُفهَم ، توجيهها لخدمة الانسان العربـي والمجتمع العربي ، من اجـل صياغة الفكر العربي والاتجاهات والمواقف العربية ؛ لأنّ هذه العلـوم ، دون غيرها ، هي التي تحـدد هويـات الامـم ، وهي التي تُعرِّف ابناءها بماهية المجموعة الانسانية التـي ينتسبون اليها : بتراثهـا الماضي ، ووضعها الحاضر ، وتطلعاتهـا نحـو المستقبـل .

واذ ندعـو الى ان تعالج في مناهج العلـوم الانسانية قضايـا الانسان والمجتمع العربيين ، لكـي لا تكون هذه المناهج مُكيَّفة عن مناهجَ وُضعت لمجتمعات غير مجتمعنا ، فاننا لا نقول بالانقطاع عن العالم الخارجي ، وما تَوصَّل اليـه هذا العالَم من افكار ونظريات تتعلق بهذه العلوم ، ومـن تجارب في نطاق مادتها ؛ غير ان ذلك يتوقف على تناوله بالقدر الذي يمكـن الاستفادة منه في مجتمعنا وبيئتنا ، بحيث لا يُتنكَّر لمطالب التربية،مثلا ، انـه يعالج امور التربية في امريكا ، ولا يشعر لمطالب الاقتصاد ان قضايـا السوق الاوروبية المشتركة ، لا تطغى على القضايـا الاقتصادية التي يواجهها العالم العربي ، والقطر الذي يعيش فيـه .

ولمـا كان مدرِّس المـادة في الجامعة هو الذي يضع ، في الغالب ، منهاج مادتـه ، فانه مدعوّ الى ان تكون هذه المـادة بحوزة الاحتمالات بالدرجة الاولى ، مـع ضرورة الالمام بابسة نظريات او تواريخ عالمية ذائعة يستفاد منهـا جميعا ، باعتبارها ادوات مساعدة للباحث للوصول الى الحقائـق .

الترجمـــــة :

عمليـة التعريب في العلوم الانسانية ، كمـا في اي نوع من انواع العصر ، تقتضي ترجمة كتـب اجنبية كثيرة الى اللغـة العربيـة .

وتلـك بديهية من البديهيات ، لا تحتاج الى تبرير او تعليـل . ولكن يبقى ان نتسـاءل عـن نوعية الكتب التي تُترجَـم ، والكيفية التي تَجري بها الترجمة ، لانـه لا يمكن ان يُترَك امـر ترجمة الكتب الى الافراد وحدهم ، لكـي يختاروا ما يشاؤون منهـا ويترجموه كما يشاءون .

ولعـل النقاط التالية ، تمثل ايجازا لمجموعة مـن التصورات في هذا الشـأن :

ا ـ تتكوّن باشراف اتحاد الجامعات العربية لجان ، يُخصّص كلّ واحدة منها بواحد من العلوم الانسانية ، وتضمّ اعضاء هيئات تدريس مختصين من جامعات عربية مختلفة ، لاختيار امهات الكتب في الموضوع المعنيّ ، من اجل نقلها الى العربية .

ب ـ يتكفل كل بلد عربي ، من خلال جامعاته الممثّلة في الاتحاد ، ترجمة كتب معينة من تلك التي اختارتها اللجان المختصة ، حسب امكانات البلد البشرية والمالية ، واللغة الاجنبية الملائمة فيه .

ج ـ تتعاون الجامعات العربية في كل بلد عربي مع مجامع اللغة العربية حيثما وجدت ، ومع اية هيأة او افراد يمكن ان يسهموا في عملية الترجمة ، وتضطلع هذه الجامعات بنفقات الترجمة والطباعة .

د ـ تستفيد الجامعات العربية جميعها من الكتب المترجمة ، بان تقتني منها في مكتباتها ، وبان تتيح لمن يشاء من طلبتها الحصول عليها .

هـ ـ تجتمع هذه اللجان اجتماعات دورية ، كل ثلاث سنوات على الاقل ، من اجل اقتراح كتب جديدة للترجمة .

و ـ يُوصَى بان يكون نقل هذه الترجمات ، حين يضطلع بها اعضاء هيئات التدريس ، سبيلا الى الترقية في المراتب الاكاديمية .

ز ـ لتسهيل عملية الطباعة والنشر ، قد يكون من المفيد ان تنشأ في كل جامعة عربية ـ كما هي الحال في الجامعة الاردنية ، دار للنشر ، تتولى الانفاق على الترجمة والطباعة ، وتقوم بعملية النشر .

ح ـ ايضا ترجمة لكتاب في جامعة عربية ، يُعلَم بقرارها على مجلس الجامعات ، ومجامع اللغة العربية ، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ومكتب تنسيق التعريب في الرباط ، اذا زالت من ازدواج الجهد والنفقات .

ويجدر القول هنا إنّ لمجمع اللغة العربية الاردني تجربة متواضعة ناجحة في ترجمة الكتب العلمية ، اذ اختار المجمع ، بمعرفة المختصين في كلية العلوم في الجامعة الاردنية ، مجموعة من الكتب التي تُدرَّس للسنة الاولى في اقسام الكلية المختلفة ، وكلّف مجموعة من اساتذة الجامعة الاردنية وجامعة اليرموك ترجمتها . وقد سار العمل في الترجمة سيرا مرضيا ، وستكون الترجمات العربية جميعها في متناول ايدي الطلاب ، باذن الله ، قبل نهاية عام ١٩٧٦/٨٠ ، مع قوائم في نهاية كل كتاب مترجم ، تضم المصطلحات الواردة في الكتاب ، مع مقابلاتها العربية . وقد أحيطت الجامعات العربية ومجامع اللغة العربية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم علما بذلك . والمتوقع الا تقتصر الاستفادة من هذه الترجمات على جامعتي الاردن ، بل ستكون عامة في الجامعات العربية كلها . فاذا استطاع المجمع الاردني ، بامكانياته المتواضعة ، ان يشرف على هذه الترجمات وينفّذها ، فان الامكانيات المتضافرة للجامعات العربية كفيلة بان تنتج اضعاف ما انتجه هذا المجمع . والامل معقود في مساعدة هذه الكتب المترجَمة على البدء في اقرب وقت ممكن بالتدريس باللغة العربية في كلية العلوم في الجامعة الاردنية .

وبما أن تتبُّع المستجدّ في علوم العصر عامة انما يُلتمس عادة فيما تنشره الدوريات العلمية ، فانّ من المفيد جدا ان شيئا رسميا لهذه الدوريات قد اتُّخِذَت في حلقة الترجمة التي انعقدت في الكويت عام ١٩٧٢ ، وهو ان تَصْدُر عن المنظّمة مجلّة علمية ، تُنشَر فيها ترجمات البحوث التي تُتَخَيَّر لأهميتها ، ومثل هذه المجلة ، ان وُجدت ، يشارك في الكتابة فيها الاساتذة المختصون في ايما جامعة من الجامعات العربية .

الحزن لنسان يتمتع بحساسية غير عادية ، تجعله يتعاطف مع احداث الحياة الانسانية بدرجة عالية .

واللغة التي يستعملها عرار ، رغم محليتها ... ورغم بعض الاخطاء النحوية والعروضية ، حافلة بالحياة ، تفتح عيوننا على عيوب في المجتمع ، قد نمر بها دون ان نحس بها ، واذا احسسنا بها ، فقد يكون هذا احساسا عابرا . ولكنها في هذا الشعر دفقات قوية ، تثير فينا الامل ، والتفاؤل ، والاعتزاز .

ومن الخطأ ان نعتبر شعر عرار وثيقة تاريخية ترسم بدقة ما كان يسود شرق الاردن زمنه ؛ ذلك لاننا نعرف ان الشعر ذاتي ، والشعراء يعبّرون عن احاسيسهم ، وانفعالاتهم الخاصة . ونحن في بحوثنا لا نعتمد شعر الشعراء وثائق نستشهد بها ، وان كنا نستعين بها في حدود ضيقة . وهذا لا يضير الشعر ولا الشاعر : فالصدق الفني هو غاية الشاعر ، اما البحث عن الحقيقة فغاية العالم .

ان الشاعر لا يعرض انا الحقائق عرضا موضوعيا كما توجد في الواقع ، بل يحوّرها بفضل ملكة الخيال التي وُهِبَها ، ويكوّن منها عالما فنيا خاصا به . ومنذ ان كان في الدنيا شعر ، كان قدر الشاعر ان يدرك ويرصد الظاهر المختلفة لهذا الكلّ المعقد الذي نسميه الحياة الانسانية ، ثم يعبّر عن وقع هذا الوجود على وجدانه بصدق وجمال .

وسواء اتفقنا بعد قراءة الشعر إننا نوافق الكاتب في رأيه ، ام لا نوافقه ، لان الحياة في واقعها ليست كما يراها ، فهذا ليس هو المهم ، وانما المهم ان قراءتنا لهذا الشعر تجعلنا ننظر الى الحياة من زوايا جديدة ، وتضيف الى تجربتنا في الحياة تجارب جديدة ، قد تكون اعمق واوضح ، حتى اننا لنحس ، عندما نطوي آخر صفحة ، اننا ازددنا معرفة بالحياة والانسان .

ولنقف في شعر عرار عند دائرة التأثر ، ونبقى فيها الى ان نصل الى نهاية القصيدة ؛ ذلك لان شعره يخلو من سقطات بعض الشعراء

باحتياجات الطلبة العرب ، حتى لـو كان الطلبة قادرين ، من الناحية اللغوية ، على استيعاب المـادة المكتوبة باللغة الاجنبية . وعلينا اذ ان اتحدث عن تجربة عمليـة في الجامعة الاردنية ، تُقدِّر الطالب ضرورة الاطلاع عليها عن كثب ، حين كـان يسـئل منصب عمله البحث العلمي والدراسات العليـا في الجامعة المذكورة . تمثّلت في اتاحة الفرصة لاساتذة الجامعـة لأن يتقدّموا بحوثا لمجلـة الى مجلـة علمية تصدر عن العمادة تحت اسـم ( ) . يُعتبَر النشر فيها من سبل الارتقاء في المراتب الاكاديمية ، والنشر فيما يُقدَّم للنشر فيهـا في اطار العلوم الانسانية ، ان يكون باللغة العربية دون غيرها ؛ كمـا تمثّلت في اتاحة الفرصة لاعضاء هيئة التدريس لان يتقدموا بمؤلفات لهـم تدعمها العمادة ماديـا ، في اطار ميزانية دعـم البحوث العلمية .

وقـد يصل الدعم بالنسبة الى الكتب المميّزة ، الى حـد قدره كلّيّـةٍ للنفقات ، بالاضافة الى نشر الكتاب ، ومكافأة مجزية للمؤلف وذلك في اطـار دار النشر التي انشئت في العمـادة ، وبميزانية خاصة . وغنـيّ عن البيان ان المؤلفات التي تدعمها العمادة لا بد ان تكون هي الاخرى من سبـل الارتقاء في المراتب الاكاديمية في الجامعة .

ومعنى ذلك انـه عندما يواجَهُ استاذٌ عالـم من العالم الاسلامي بحاجته وحاجة طلبتـه الى المراجع العلمية ، في مُسلسَلٍ متتابع يشغلها هو لتسدّ احتياجات المجتمـع الذي يعيش فيه ، ولا تكفي فيها المراجع الاجنبية والمراجع العربية المطبوعـة ، وحين يَجِدُ هذا الاستاذ ان مؤلفاته تَحظى بسُبُل الدعم المالـي والنشر ، وتهيّىء لـه اسباب الترقية في جامعته ، فـان كل هذه ستكون عوامل تدفع بـه الى ان يكتب بحوثا اصيلة ، او يُعِـدّ ترجمات لنشرها في مجلـة ذات قيمة علمية تصدر عن جامعته ، والى ان يؤلف كتبا في مـادة اختصاصه وهو مطمئن الى توافر كل ما يحتاجه الكتاب الجيـد من متطلبات ، قد يعجز الكثير عن تأمينها . والواقع ان المجلـة التي تصدر عن عمادة البحث العلمي

والدراسات العليا في الجامعة الاردنية ، لم تكن تقتصر فيما تنشره على انتاج العاملين في الجامعة ، اذ كانت وما تزال تنشر المادة الصالحة من حيثما وردت ، بعد أن يُقوّمها المختصّون .

تكرار هذه التجربة في الجامعة الاردنية ، لأقول إنها تجربة طيبة لان تعمّم في كلّ جامعة عربية ، لانها سبيل عملي للحفز على كتابة البحوث وتأليف المؤلفات في كل جامعة . وجدير بالذكر أن ما كان يصدر من المادة من مجلات وكتب ، كان يجد سبيله الى الجامعات العربية عن طريق الاهداء والتبادل .

ولا شك أن تعميم التجربة على الجامعات العربية كلّها سيُغني اثراءَ مكتبات هذه الجامعات ، وتأمينا للمراجع المطلوبة ، او لعدد كبير منها على الاقل .

الطالب :

من المسلّمات ، ان الطالب العربي يفضّل أن تكون دراسته في العلوم الانسانية ، وليس علوم اخرى ، بلغته العربية ، لان ذلك يكفيه جهدا ووقتا يُبذلان في تقصّي معاني المفردات والتركيبات اللغوية الاجنبية.

وإذا فاننا لا نحتاج الى أن ندفع الطالب العربي الى قناعة باستعمال اللغة العربية فيما يتعلم في الجامعة . بقي أن نتلمّس الدور الذي يمكن لهذا الطالب أن يضطلع به في عملية التعريب ؛ وبخاصة ان الطالب الجامعي الآن اصبح له دور ايجابي في العملية التعليمية ، بمعنى ان له دورا في العملية التعلّمية ، ولم يُعد مجرد متلقّ للمعارف من اساتذته . وفي نطاق المشاركة والتعاون مع اساتذة الجامعة ، يمكن للطالب الجامعي ان يُسهم في تعريب العلوم الانسانية على النحو التالي :

أ - يقوم بعمل بتوجيه من اساتذته على استقصاء الكتب العربية في العلوم الانسانية ، سواء اكانت كتبا تراثية ، أم كتبا حديثة ،

مع تعريف موجز بهـا ؛ وذلك بالاستعانة بمكتبة الجامعة ، او بأية مكتبة قد تتوافر فيها هذه الكتب .

ب ـ وقد يقوم الطالب الجامعي بالاسهام في استقصاء المصطلحات ذات الدلالة الاصطلاحية في كتب التراث العربي الاسلامي والعلوم الانسانية ، ثم ترتيب هذه المصطلحات والتعريف بها .

جـ ـ وقد يقوم الطالب ، من ناحية اخرى ، بالمساعدة في رصد المصطلحات الاجنبية في هذه العلوم ، بتجريدها من كتب انجليزية او فرنسية ، حسب اللغة الاجنبية المستعملة في جامعته .

د ـ وقد يُكلَّف ترجمة فصل او فصول من كتاب اجنبي ، ليتمرّس بالاسلوب العربي والاجنبي في هذه العلوم ، ويألف مصطلحاته في غيرما لغة واحدة .

هـ ـ ويمكن أن يقوم خلال العام الدراسي بكتابة بحوث باللغة العربية ، يستعين في كتابتها بمصادر عربية واجنبية ، ثم يناقش هذه البحوث مع زملائه تحت اشراف استاذه في قاعة المحاضرة ، لكي يتدرّب هو وزملاؤه على معالجة موضوعات هذه العلوم مثلما يتدربون على معالجتها كتابة .

و ـ وفي نطاق الدراسات العليا التالية للشهادة الجامعية الاولى ، يوجَّه الطلبة لكتابة رسائلهم العلمية باللغة العربية ، كما يجري الآن عملا في معظم الجامعات العربية ـ ويُشجَّعون على ان يعتنوا ، في مادة رسائلهم هذه بصورة خاصة ، بالجانب من الفكر في ماضيه وحاضره ومستقبله ، وان يبرزوا ما لهذا الفكر من اصالة اسلامية فيما يتعلق بالقضايا المثارة ، وكذلك المعالجات التاريخية للحضارة الاسلامية ، بشأن ما يعالجونه في دراساتهم ، مع الاستفادة الكاملة من اية نظريات او دراسات او ممارسات موجودة في اي مجتمع من المجتمعات العالمية .

ولعله يكون من المناسب ، ان استفيد من ملاحظة وردت في ورقة قدمها الدكتور سيد حامد حريز الى المؤتمر التاسع لاتحاد الاساتذة العرب في شباط ١٩٧٦ ؛ ومفاد هذه الملاحظة ، انه ينبغي الا نرى العالم من حولنا ، او نرى انفسنا بعيون انجليزية او فرنسية . وهنا قد نحتاج الى التذكير بان اللغة ليست وسيلة تواصل واتصال فقط ، وانما هي كذلك طريقة لاحساس وتفكير .

٢ — وفي البلاد التي ما يزال التعليم في المرحلة الثانوية فيها باللغة الاجنبية ، لا بد من التنبيه الى ضرورة تعريب التعليم الثانوي قبل ان ينتقل الطالب في تلك البلاد الى المرحلة الجامعية ، لان من الخلف لمابائع الاشياء ان نستعين بالطالب الجامعي الجديد في عملية التعريب ، وهو نفسه ما يزال لم يُعرَّب بعد في ثقافته .

القرارات والتشريعات :

من الممكن ان يتجادل القائمون على التعليم الجامعي مدة نصف قرن حول تعريب هذا التعليم ، وان ينقسموا بين محبِّذ ومعارض ، دون ان يُسلِّم اي من الفريقين حججا يقدمها لدعم موقفه . واذا كنا قد اجملنا في هذه الكلمة المتواضعة عن تفصيل الحجج المؤيدة للتعريب ، اعتقادا منا بان تلك مرحلة قد فرغ المعنيّون بالموضوع منها وتجاوزوها ، فانه لا بدّ من القول بانّ اجراءً واحدا فقط هو الذي ينقل الموضوع كلّه من حيز الجدل النظري الى حيز التطبيق العلمي ، وذلك هو القرار السياسي او القانوني او الاداري ، سواء أَصَدَرَ هذا القرار عن السلطة العليا في الدولة العربية ، ام عن وزارة تعليم عال ، ان وُجدت ، ام عن ادارة كلّ جامعة من الجامعات العربية . واذ يوضع اعضاء هيئة التدريس امام الامر الواقع ، فانهم سوف يواجهون متطلباته ، ويؤتون له ما يحتاجه . والصعوبات التي سيواجهونها ، سيعالَج من خلال التكيّف بعد ممارسة التجربة لا قبلها ؛ فنحن لا

نستطيع ان نتكيف مع اوضاع لسم نمارسها اطلاقا ، ولا يمكن لتهيئتنا من شيء ان يزول الا بعد ان يُمارَس ذلك الشيء فعلا ، وغالبا ما يُتَبَيَّن ان ما تَهَيَّأنا منه كان مبالغا فيه . واذا كانت التقانة الحديثة واللغة القومية قد نجحت في عدد كبير من بلاد الدنيا ، فلا توجد سبب يحول دون نجاحها في الجامعات العربية . وقد يوجد من بين المتناقضات ان عالَمًا كالعالَم العربي ، بموقعه الفريد ، وإمكانياته الاقتصادية الهائلة ، وبتجربة لغته الحضارية العريقة ، وبما له من دور في شؤون العالم المعاصر ، ما يزال يتهيّب الانتقال الى مرحلة التعريب ، مع ان تاريخ الحضارات يثبت ان الامم انما تنهض بلغاتها القومية ، وان الذي يكون عالة على لغة اجنبية فيما يتناول من علم ويكتبه ، يكون كذلك عالة على الناطقين بتلك اللغة فيما يبدعونه بل فيما يفكر فيه .

خاتمة :

وفي النهاية ، اسمح لنفسي بأن استفيد مباشرة من فكرتين اوردهما الدكتور رشدي فكار في بحثه الذي قدّمه الى مؤتمر تعريب التعليم العالي في الوطن العربي ، الذي عُقِد في بغداد في اذار سنة ١٩٧٨ ؛ واُولى تلك الفكرتين تتعلّق بالدعوة الى التعليم بمراحله بشكل متكامل ، يُرصَد مراحل تطوّر امتنا دون امواء او تلوّكات تاريخية لكل مرحلة على حدة ، والثانية تتعلّق بتقديم النظريات العلمية الحضارية الى الامم الغربية ، وقدراتها المنهجية ، وعدم ترك الساحة الفكرية للأمم الغربية التجارية والمبيتة والموجهة ، بهدف سلب شبابنا ذاتيته ، وتمييعه وتشكيكه في ارضيته .

والهدف من الفكرتين واضح ، فهو يتمثل في استبانة المعالم الكبرى للتطوّر الحضاري الذي مرّت به امتنا ، حتى نتراءى تلك المعالم بصورة موضوعية في احجامها الحقيقية ، وفي تكاثرها الاتساقي كيلا يضيع الدارس في التفصيلات الجانبية ؛ وكذلك في اسباغ

الأسس والمفاهيم التي تقوم عليها الحضارة الغربية المعاصرة ، كيلا يضطرب الدارس بين الاصل والفرع ، والجوهر والمظهر ، ولكي يتجنّب المزالق ، فيأخذ من تلك الحضارة ما ثبت نفعه دون ضرره ، مما يساعده على تحديد طريقه ، والاستقلال بشخصيته ، والنجاة من اقتداء جاهل او تبعية غير مبصرة .

الدكتور محمود ابراهيم

اللغة والأسلوب في شعر (عرار)

للدكتور محمود السمرة

(نائب رئيس مجمع اللغة العربية الأردني)

قبل ثلاثين عاما توفي مصطفى وهبي التل . وقبل خمسة وعشرين عاما صدرت الطبعة الاولى من ديوانه « مشاعل وأشلاء اليابس » في عمان .

ورغم ان عرارا مشهور معروف في الاردن ، وهو شاعر الاردن دون منازع ، يحفظ شعره المثقفون ، ويردد بعض من لا حظا قليلا من الثقافة ، الا انه لا يكاد يعرفه احد خارج الاردن .

لماذا ؟

لعل من اسباب ذلك ان ديوانه الاول صدر في وقت كانت فيه امكانيات الطباعة في الاردن محدودة جدا : فالحروف صغيرة ، والاغلاط كثيرة ، والورق رديء ، والتوزيع معدوم .

ثم : ان شعر عرار مُحَلّى ، مغرق في محليته : محلّى في موضوعاته ، واشاراته ، وكثير من تعبيراته . ومما لم يتمثل القارئ هذه كلها تمثلا واضحا ، فان تجاوبه مع هذا الشعر يبقى محدودا . وقد بذل المرحوم الاستاذ محمود المطلق جهدا طيبا في شرح ما يحتاج الى شرح ، لتقريب هذا الشعر الى أذواق القراء العرب . واذكر انه ما من مرة تذاكرت شعر عرار مع اخوة عرب ، وقدّمت لهذا الشعر بما يُعين على ادراكه وتمثّله ، الا وجدت عندهم استجابة له ، ودهشة لان مثل هذا الشاعر غير معروف عندهم .

ثم : هناك امر يقع على ادبـاء الاردن : فهم لم يعنوا انفسهم بالتعريف بالشاعر وتقديم الدراسات عنه ، الا في نطاق محـدود .

* * *

لذلك هنا وجدتُ ان الحاجة اصبحت ملحّة لاصدار طبعة ثانية من الديوان ، وخاصة عندما وُضعت بين يدي اوراق الشاعر ، فوجدتُ فيها شعرا يستحق ان ينشر ، ولـم ينشر .

وهكذا ، في سنة ١٩٧٣ صدر ديوان « عشيات وادي اليابس » في طبعة جديدة فريدة ، تعكس تقدم فـن الطباعة في الاردن الحديث ، وتضع بين ايدي القـراء شعر الشاعر الاول في الاردن في شكل يليـق بجمال هذا الشعر ؛ وقد زينتـه رسومات الفنان الموهوب مُهنّا الدرة ، لعلي من ذلك ان نستطيع ايصال الديوان الى ايدي محبي الشعـر الجيـد ، لا في الاردن فحسب ، بـل في اكثر عدد ممكن من البـلاد العربيـة الشقيقـة .

ولكن ما اردناه لم يتحقق ، لسبب بسيط هو افتقارنا الـى مؤسسة ، او شركة ، لتوزيع الكتـاب الاردني وتسويقه . وبقيـت هذه الطبعة يسعى الى الحصول على نسخة منها ، ويجـدّ في السـعي ، من يجـد الرغبة في ذلك .

* * *

وفي رأيي انـه ما زالت هناك حاجة الى اصدار طبعة جديـدة من الديوان ، يقـوم المحقق فيها بايراد الروايات المختلفـة للابيات ، وترتيبها في القصائد ؛ فقـد خلصتُ من اطلاعي علـى اوراق الشاعر الى ان الصورة التي بين ايدينـا القصائد والابيات ، ليست الا صـورة واحدة من صور عـدة : ففي كثير من القصائد نجـد ترتيب الابيـات مختلفا ، والتغيير في اماكن الابيات كثيرا . ويحضرني هنـا التحقيق الممتاز الذي قـام بـه المستشرق Ritter لكتاب « اسرار البلاغة »

الكبار ، الذيـــن يجمعون احيانا بين الرائع والرديء في القصيدة الواحدة ، ويجمعون بين سورتين متنافرتين في بيتين متتاليين .

واذا كنـــا قد بدانا القول بان من سمات شعر عـــرار انه شعر مَحَلّي ، بالمفهوم الذي حدّدناه ، فمـــا موقف النقاد الجـــدد (The New Critics) ، الذين يسيطرون على كثير من الادب في ايامنـــا هذه في الغرب ، من مثل هذا الشعر ؟ انهم يرون ان القصيدة الجيدة مكتفية بذاتهـــا ، لا تحتاج للكشف عن اسرار البيئة فيها الى ان نعرف مناسبتها وظروفها ، ولا حتى من نظمها . وقد نقبل ان هذا القول صحيح ، ولكن في حـــدود . واننا لسنا من المؤمنين ايمانا مطلقا بمـــا يقولون ، ومن المؤمنين بالمنهج التكاملي الذي يرى الاستفادة من كـــل النظريات النقدية ، لانهـــا متكاملة ، غير متناقضة ، والاختلاف بينها هو اختلاف في زاوية الرؤيـــة .

٢ ـــ شعر عـــرار شعر ملتزم .

وقـــد كان عرار شاعرا ملتزما ، بكل ما في هـــذا المصطلح من دلالة وابعاد . وكانت مواقفه واضحة جريئـــة : فقد وقف الى جانب الفقراء ، والمعوزين ، وهاجم المستغلّين ، ودعا الى المســـاواة ونـــادى بالعدالـــة .

وهـــذا موقف سيبقى عرارا مذكورا دومـــا كشاعر عاش همـــوم شعبه وايجاد التعبير عنها في شعـــره .

وهـــذا يجعلنا نقف امام قضية مهمـــة في الفن : فاذا كانت الالتزامية في الفـــن عامة ، وفي الشعر خاصة (وسأقصر حديثي هنا على الشعر) ، تساءلنا : مـــا غاية الشعر ؟

يـــرى البعض ان غاية الشعر هي المتعـــة ، وان القصيدة الجيدة هي التي تولـــد اكبر قدر منها . وفي رايي ان المتعـــة ليست غاية ، وان غاية الشعر عرض التجربـــة الانسانية عرضـــا يُرضي في نفس

فهما ومعرفة ، واذا كانت غاية العلم تفسير الوجود ، فان غاية الفن تقييم الوجود . وهذا ما تعالجه مرار في شعره .

وهذا ما عناه كارليل في كتابه القيم « سيرة ادبية »
Biographia Literaria

عندما قال : ان الشعر ليس مجرد انفعالات واحاسيس ، فارخص انواع الادب يدل على اثارتها . انه رؤيا ، وكشف عن اسرار الوجود .

* * *

ورغم التزام مرار العميق الحاد ، فانه كان في الوقت نفسه رومانسيا ، مغرقا في رومانسيته . واذا كان الرومانسيون الغربيون قد عبّروا بشعر حافل بالعاطفة المشبوبة من ثورتهم ، وهربوا الى الطبيعة والحياة البسيطة ، عندما ادركوا عجزهم عن التغيير ، فقد فعل مرار نفس الشيء : هرب الى مضارب النُوَر ، والى حياة الريف ، حيث البساطة ، وراحة البال ، والمساواة التامة :

الكل زُمَّ بمساواةٍ محقّقة تنفي الفوارق بين الجار والجارِ

* * *

٣ — شعر مرار شعر للرمز فيه دور كبير .

والحديث عن الرمز في شعر مرار حديث قد يطول ، ولهذا سنقصر حديثنا عن الرمز عنده على ثلاثة جوانب بارزة :

أولها : شخصية المرأة : وهي شخصية حقيقية ، ورمزية ، في آن واحد .

ويحدد وصف الرحيم الاستاذ يعقوب المودات المرأة ، فقال :

« شخصية نُوَرِيّة ، نبيلة الخُلُق ، مستقيمة التسوام ، اختارها مرار لرواية شكلها ، وحقارة شأنها ، هدفا لسهام نقده ، ومخاطبتها عندما يعالج اسوء خصاله ذوي الشأن ، واستفزازهم » . (مرار شاعر الاردن ، ص ١٣٨) .

ويقول المرحوم الاستاذ مسعود المطلق :

« رأى عرار في هذه الشخصية انموذجا كاملا لشخصية النَّوَري ، ومثالا معبّرا عن كل ما في النَّوَر من خير وشر ، وحسن وقبح ، ولهذا فقد اتخذ منه رمزا للنَّوَر ، وأداةً أدبية يستعين بها على التعبير عن آرائه ومقاصده ». (المقدمة ، ص ٢٢) .

وتقول الشاعرة سلمى الخضراء الجيوسي :

« لعرار مرارًا كان اول شاعر عربي حديث اشار الى رمزية ما في الشعر ، وجعلها رموزا لقضايا حيوية . جعل من الهبر رمزا للانسان البسيط المنبوذ المضطهد » . (مجلة عالم الفكر ، العدد الثاني) .

وحقيقةُ الامر ان الهبر في شعر عرار رمز لاكثر من هذا :

انه رمز لما يتعاطف معه عندما يرى فيه الانسان البريء ، المنبوذ ، المضطهد ، والانسان المشرد الضائع .

وهو رمز لما يثير السخرية عندما يرى فيه الانسان الذي تملكه كل احساس بالكرامة .

* * *

ويبدو الرمز عند عرار ، ثانيا ، في شخصية الشيخ مجرد الذباب ، وهي شخصية تُناقِض الشخصية الاولى تماما : فهي رمز لفئة متنفذة : فِئَتُها : « في الجنة الخلودُ » ، ومبداها انها : « جِنَّةُ عين جبيه نقودُ » .

وسخريته منها ، ورفضه لها ، لانها بسلوكها تساهم في ابقاء الشعب على حاله من الجهل والتخلّف .

* * *

ويبدو الرمز عند عرار ، ثالثا ، في كل امرأة تغزّل بها ، وكلّ قرية ذكرها ، وكلّ وادٍ تَغَنّى به . انها كلها رموز لهذا الوطن ، الذي أحَبَّ كلَّ من فيه ، وما فيه .

١ ـ شعر عرار شعر عمودي ، منظوم على اوزان الخليل ، ما عدا قصيدتين هما :

« مَنْ ؟ » و « يا حلوة النظرة » .

ومن الخطأ الشائع ما نردده من ان كل قصيدة نظمت على وزن من اوزان الخليل فهي قصيدة عمودية ، مع ان الوزن (او البحر) ليس سوى شرط واحد من سبعة شروط حَدَّدها النقّاد العرب القدامى ، وجعلوها المبادىء التي يجب ان يتقيها الشعراء .

وكان المرزوقيّ خير من حدّد مفهوم عمود الشعر ، وذلك في مقدمته لشرح ديوان الحماسة ، في قوله : « انهم (القدماء) كانوا يحاولون : شرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته ، والاصابة في الوصف ، والمقاربة في التشبيه ، والتحام اجزاء النظم والتئامها على تخيّر من الفاظ الوزن ، ومناسبة المستعار منه للمستعار له ، ومشاكلة اللفظ للمعنى ، وشدة اقتضائها القافية حتى لا منافرة بينهما . فهذه سبعة ابواب هي عمود الشعر ، ولكل باب منها عيار (اي مقياس) » . وجاء ابن طباطبا فكتب كتابه المعروف « عيار الشعر » .

شعر عرار عموديّ بهذا المفهوم للشعر العمودي الجيد .

ولسوء حظنا في هذا التعريف لوجدنا كثيرا من الشعر الذي يُعْرَف بأنه عمودي ، ليس عموديا .

* * *

هذه ملاحظات نقدية عامة على شعر عرار ، لعلها تصلح لخطاطا لدراسة موسعة .

ويبقى عرار ، بعد هذا ، شاعرا لم ينل من عناية الدارسين ما يستحقه .

وما زال مجال القول فيه واسعا .

الدكتور محمود السمرة

قضايا تعريب الكيمياء ومشاكلها

للدكتور عادل [illegible]

[illegible]

ان مسألة تعريب الكيمياء جزء من مسألة [illegible] تعريب العلوم ، وخصوصا في المراحل العليمية . و[illegible] القنية اهملَ العلم والفكر ردحا طويلا من الزمن ، فهم [illegible] لتطبيق فكرة التعريب ومعارضين لهـا ، ولكل فريق حجته التي [illegible] بهـا وجهة نظره .

وفي رايـي ان هذه المسألة لا تقبل أنصاف الحلول او الحلـول الجزئية ، فهي إمـا ان تكون تعريبا كاملا شـاملا يشمل جميع مراحل التعليم والدرس ، ويمتـدّ ليشمل جميع الاطـار التي تتناولها العربيـة لغـة ، او ان تظل محاولات مبتورة ، عديمة الجدوى ، ربمـا ادت الى ضرر ان كانت تنحصر في التعليـم دون آخر ، او كانت تتناول [illegible] معيّنة من العلوم،او مراحل محـددة في سلّم التعليـم .

واقـوى الحجج التي تساق تاييدا لفكرة تعريب العلـوم [illegible]

١ ـــ مـن الناحية التربوية المطلقة،يكون استيعاب الطالب [illegible] واشد فعالية ان كانت دراسته بلغتـه الام ، فهو بذلك [illegible] جهده الذهني لفهـم المعضلة العلمية المعروضة ، بدل ان يصرف جانبا غير يسير من جهـده ووقته لفهـم مشكلات اللغـة الاجنبية التي يدرس بهـا ، الى ان يتوصل الى فهـم وتحليل الموضوع العلمي الذي وصفته لـه . وقد ساق الكثيرون براهين لهذه الحجة من نتائج المقارنة بين مجموعتين من الطلاب،احداهما تدرس موضوعا علميا باللغـة [illegible] واخرى تتلقاه بلغـة انجليزية او فرنسيـة .

واكسن الامر في الواقع من البداهة بحيث لا يحتاج الى برهـان ؛ فذلك اذا قدمت موضوعـا علميا لطالب عربي بلغـة عربية سليمة ، وكانـت لديك الوسائل والقدرات على ان تعبّـر عن هذا الموضوع بشكل يخلـو من التعقيدات والابهام في المصطلح والاسم والوصـف ، فمما لا شك فيه عندئذ ان هـذا الطالب سيفهم الموضوع بصـورة اسرع واكمل مما لو قُدّم لـه بلغة اجنبية .

اذا فالامر هـو ان نستطيع وصف الموضوع العلمي بطريقـة تخلـو من التعقيد والابهام ؛ وهذا امـر مهـم ساعود اليه حين احلّل المشاكل والمشاكل التي تكتنف تعريب الكيميـاء .

٢ ـ اما الحجة الثانية التي تساق ، وهي ايضا حجـة لهـا وزنها ، فهي ان الاعتزاز القومي باللغـة العربية يفرض علينـا ان نعرّب العلوم ، وكثير من المحتجين بهـذا يذهبون الى ان تدريس العلوم بالعربية عامل مهـم في سبيل الوحدة العربية ، وكان هذه الامـة تفتقر الى عوامل الوحدة ! واين عامل الوحدة هذا من الديـن الذي تنضوي تحت لوائه ، حيث تقف الملايين كل يـوم تعبد ربّهـا في صلوات موحدة ، تقرأ قرآنـا واحدا ، وتهتف باسم الـه واحد من اعلى مآذن مساجدها وفي معابدها ، وان كانت هذه الأمـة ستتوحد ، فهذا جمهور وحدتها ، واين من ذلك جمهور الجامعات،وهـم قلّـة !

علينـا اذن،وبسبب ذلك،لا بـد ان نقدّس اللغة العربية ونجلّها ، فهي الوعاء الذي صُبّ فيه قرآننـا وسُنّتنا ، وادبنا وشعرنا،وخوالج نفوسنا ، وهي الوعـاء الذي اتسع يومـا ليكون قادرا على استيعاب نشاطاتنا العلمي ابان ازدهار حضارتنا العربية الاسلاميـة ، حين كانت اللغة العربية لغـة العلم العالمية الاولى مـدة تقارب القرنين .

وعلينـا ان نؤمن بأن هذه اللغة التي قامت بهـذا الدور قادرة على القيام بـه مرة اخرى،شريطة ان نجلـو عن صفحتها الناصعة غبار التخلف والاهمال وجمودنـا ونشاطنا العلمي في العصر الحديـث .

ويحضرني هنا قول شاعرنا حافظ ابراهيم متحدثا باسم اللغة العربية :

وسعتُ كتاب الله لفظا وغاية ... وما ضقتُ عن آي به وعظات

فكيف اضيقُ اليوم عن وصف آلة ... وتنسيق اسماء لمخترعات

بيد انه يضيف الى ذلك :

انا البحر في احشائه الدرُّ كامنٌ ... فهل سألوا الغواص عن صدفاتي ؟

نحن بحاجة ، ليس فقط الى الغوص في بحر اللغة العربية لاستخراج مكنونه من الدرّ ، ولكننا بحاجة الى تلقين ابنائنا الناشئة لجعله قلائد تزين صدر اللغة العربية في ميادين العلوم ، ونحن نريدها ان تقتحم ميداننا تخلّفت عنه بترة طويلة ، دون ان تتنكر لماضيها وان يزيد من جمالها ويُغْنيها بالممارسة . لا نريد أن تكون ترجمتنا لعلوم التعليم والنشر بالعربية عائقا يحول بيننا وبين السير في مضمار العلم والثقافة العالمي . ولا يضيرنا ان نذكر ان ما تقدم من الجهود ومحاولات تعريب في عدد من الاقطار العربية ليس على المستوى المطلوب ، فهي تقصّر بنا عن مواكبة اهل العلم في مختلف الاختصاصات دون اعتماد كبير على اللغات ذات الانتشار العالمي . ومن البديهي ان للعلم المعاصر بضع لغات دولية ، والرصيد الهائل من المعلومات موضوعا عليها من المواضيع المطروقة كثيرا على الاطلاق ، والكم المنشورات العلمية التي تظهر عنه في عالم معين ، فاننا نعتقد انه سيخرج دون ريب بنتيجة مفادها ان مجتمع البحوث ذات الدرجة نشرت ضمن عدد محدود من اللغات ؛ وانك إن كنت قادرا على قراءة هذه اللغات ومهما خرجت بزبدة البحوث في ذلك المجال المعين .

وستجد حتما انك ان اتقنت لغتين من لغات العلم الدولية ستتصل الى ما لا يقلّ عن (٧٠٪) مما نشر عن الموضوع . ومع ذلك ربما تحتاج الى معرفة ما يقارب عشرين لغة لقراءة كل ما كتب عنه ، الا ان ذلك امر لا يستحق العناء ، لانك ان قيّمت المنشورات على انفراد ستجد القيّمة منها منشورة باحدى اللغات الدولية . وان

ليس لن تتوصل عالم عربي او سويدي مثلا الى كشف ذي قيمة كبيرة في ذلك المجال ، فان همته الاول سيكون ان يصل به الى جمهرة المشتغلين به ، فنجده ياجأ الى نشره باللغة الانجليزية مثلا ، وفي احدى الدوريات ذات الشهرة العالمية .

من واجبنا ، والحالة هذه ، ان نعمل على دفع لغتنا العربية الى مصاف اللغات الدولية ؛ وهي مكانة احتلتها سابقا . وهذا امر لن يتسنى لنا تحقيقه بقرار نتخذه ارتجالا ، ولن يتسنى لنا الوصول اليه بين يوم وليلة ؛ فاستعداداتنا الحالية لا تجاوز في اغلب الاحيان الحماسة والنية الطيبة . لكن ، كما قيل في الامثال الصينية ، فان رحلة الالف ميل تبدأ بخطوة واحدة ، فلا بد لنا ان نخطو الخطوة الاولى ، واكثنا نريدها خطوة واثقة لا تراجُع ولا نكوص بعدها . واهذا فان من واجبنا استجلاء المصاعب والعقبات ، والاشارة الى الوسائل التي تضمن لنا التغلب على المصاعب وتخطّي العقبات ، حتى نضع بين ايدي اجيالنا القادمة السلاح الذي يمكّنهم من السير بهدى وعلى صراط مستقيم . وفي ما يلي سأمر على بعض القضايا ذات العلاقة الوثقى بتعريب الكيمياء .

المصطلح الكيميائي : ان جهود التعريب لا تثمر دون مؤلفات كيميائية قيّمة باللغة العربية . ومن الطبيعي ان المحاولات الاولى كانت ترجمات من اللغات الاوروبية — سأعود الى الترجمة كقضية منفصلة بعد حين — وقد تمت الترجمات مؤلفات باللغة العربية . جميع هذه المحاولات حتى الآن محصورة ضمن القطر العربي الذي بدأت فيه ، وفي اغلب الاحيان تتكلم لغات كيميائية مختلفة . ذلك ان وضع المصطلح كان حتى الآن اجتهادا فرديا ، او كان يتمّ بالمشاورة مع اقرب محيط الى المؤلف ؛ وانذاك نجد اختلافات كبيرة بين ما يُستَخْدَم في قطر عربي ، وما يُستَخْدَم في قطر آخر . وان استمر الحال على ذلك سنصل الى ما يشبه برج بابل ، حين لم يكن احد يفهم احدا غيره . لكن ذلك لم يمنع جهود مكتب تنسيق التعريب ، ورغم المعاجم التي

اوردت سلسلة من المصطلحات ، فهذه لا تكاد تنسى [illegible]
المدارس الثانوية . وكثيرا ما يوضع المصطلح الكيميائي [illegible]
مسرعة ، فلا يفي بالغرض الذي وضع من اجله ، [illegible]
عربي استعمل هذا المصطلح قد يكون واسع الانتشار ، [illegible]
المصطلح ينشر ويغرس جذوره رغم عدم سلامته .

نخلص من هذا الى ان جهود وضع المصطلح جهود مرتجلة [illegible]
وتؤدي الى فوضى وارتباك ، فكلمات :
(Isomerism, physics, Ion, Atom)

وكثير غيرها لا تعني نفس الشيء في كل البلاد العربية .

ايـن العـلاج ؟ لا شك ان في عقد ندوة لهذا الغرض [illegible] ايجابيا نحو العلاج ، إن خرجنا منها بنتائج محددة لوضع [illegible] على تقديم الوقود الصالح لعمليات الترجمة والتاليف . ولكن يجب ان اذكر ان الكيميائيين ، رغم اتقان بعضهم للّغة العربية ، لا يزالون بحاجة الى عالِم اللغة العربية الذي اعتدنا منه الشعارات الرنانة التي تقول ان النحت والاشتقاق والوسائل الاخرى كفيلة بسد حاجات اهل العلم ؛ لكننا لا نراه يضع جهده في ذلك الى جانب الكيميائي او غيره من اهل العلم . ولا يظنّنَّ احد ان هذه المهمة ذات بداية ونهاية كلاّ ، فهي مهمة مستمرّة متجددة ما دام العلم يتطور ، وما دام العلماء يكتشفون كل يوم جديدا ، ويسمّونه ويصفونه بكلام [illegible] اكان هؤلاء العلماء عربا ام غير عرب .

لهذا فان المطلوب هو ان يقوم علماء الكيمياء واللغة في الاقطار العربية بصلة منتظمة لاستنباط المصطلحات ونشرها وتوحيدها ، [illegible] ان المطلوب ان يتحوّل مكتب تنسيق التعريب الى المقر [illegible] هذا البعد ودفعه نحو النجاح .

التسميات : رغم عدم استطاعتنا فصل ميدان المصطلح عن ميدان التسمية ، **الا ان هنالك بعض الالمام من المركّبات الكيميائية التي**

تحتاج الى ان نضع لها اسماء ، كما ان آلافا جديدة منها تضاف المعارف الكيميائي في كل سنة ؛ والمشكلة التي يخلقها هذا السيل العرم تستدعي من علماء الكيمياء في العالم عقد الندوات والتشاور لوضع الاسماء ، وتنقيح طرق التسمية بصورة مستمرة . فماذا نفعل نحن ؟ هل نأخذ الاسم الاجنبي ونكتبه بحروف عربية ، ام نضع لنا طريقة خاصة بالتسمية ؟ الاتجاه السائد حتى الآن ، والذي لا يجادل احد في انه الافضل ، هو الاول ، مع اصرار الاكثرية على ان يوضع الاسم الاجنبي في كل حالة للاسترشاد به ، ولابقاء الصلة مع اللغات الاجنبية . ولا شك ان هذه الطريقة ستؤدي بالدارس الى ان يقرأ وان يفكر باللغة الاجنبية ؛ لان ادراك مرامي هذه الاسماء يتوقف على فهم ما تنقله مقاطعها الاجنبية كلٌّ بنفسه ؛ فلو كتبنا الاسماء بالفاظ العربي وحده،فاننا دون شك نكون قد قطعنا صلة تلك الاسماء بأصولها ، لتصبح كنبتٍ اجتُثَّ من جذوره ، يتيما مالَه من قرار .

لقد حاولت استيضاح آراء مجموعة من طلاب الجامعة الاردنية حول هذا الامر ، وطلبت منهم الاجابة على الاسئلة التالية :

الرجاء ان تجيب على الاسئلة التالية بوضع دائرة حول الجواب الذي تختاره :

أ ـ ملمسة (٢ ـ ميثيل سايكلوهكسانون) تدلّ على مركّب كيميائي معروف لديك . اذا قرأتها او سمعتها ، فما هي الطريقة التي تنتقل فيها الى ادراك المركّب الذي تدلّ عليه بتخيّل صيغته او كتابتها ؟

١ ـ هل تخطر الصيغة ببالك مباشرة مثلما تتصور طائرة لدى سماع الكلمة او رؤيتها مكتوبة ؟

٢ ـ هل تعود بذهنك للاصل الانجليزي للكلمة
2- Methylcyclohexanone

وتستفيد من مقاطعها الدالة على معناها ؟

٣ ــ هل يتعذر عليك فهم دلالة الكلمة كليا ؟

٤ ــ هل تعتقد ان فهمك لها سيكون سهلا لو كانت قد عُرِّبت لك اولا ، كما جرى في حالة الاسم الانجليزي للمركّب ، رغم ان لفظ كل منها بالعربية لا يدل على ما يدل عليه مقابله بالانجليزية ؟

٢ ــ القضية التي عرضتُ في السؤال الاول مختار لدى كثير من مئات الالاف من المركّبات الكيميائية . في ضوء ذلك ما رأيك للموقف :

١ ــ هل تحبّذ ان تدرس الكيمياء بالانجليزية ؟

٢ ــ هل تحبّذ ان تدرس الكيمياء بالعربية مع لفظ الاسماء بالانجليزية ؟

٣ ــ هل تحبذ ان تدرس الكيمياء بالعربية مع وضع طريقة عربية خاصة بالتسمية ؟

٣ ــ اذا عُرِّبَت الكيمياء وأُخِذَت المصطلحات والاسماء كما تُنْطَق باللغة الاجنبية،وكُتِبَت بحروف عربية ، هل تعتقد ان كتابتها غير مألوفة ستخلق مشاكل ، كأنْ تقسرا الكلمة على وجوه عديدة ؟

١ ــ نعم

٢ ــ لا

وقد حللت اجاباتهم وحصلت على النتيجة التالية :

السؤال الاول :

الجواب	١	٢	٣	٤
النسبة المئوية	١٨٪	٧١٪	١٠٪	١٠٪

السؤال الثاني :

الجواب	١	٢	٣
النسبة المئوية	٥١ر٣٪	١٦ر٦٪	١٦٪

السؤال الثالث :

الجواب	نعم	لا
النسبة المئوية	٨٤٪	١٦٪

من جواب السؤال الأول نلمس اثباتا لما قلناه من ان الطالب مضطرّ العودة بذهنه الى الاسم بلغته الاصلية ؛ فالعملية الذهنية هذه ضرورية للفهم . ورغم ان نسبة الاجابة على السؤال برقم ٣ أو ١ منخفضة ، الا ان ذلك يُعزى الى ان المركّب المختار مألوف للطلاب . ولا شك ايضا ان مشكلة سيواجه الطالب في فهم اسم جديد ، فهو يجد هذه الصعوبة حتى لو كان يدرس باللغة الاجنبية ، فبالاحرى سيجدها، ويشكل اكبر اذا عُرض له الاسم مجرّدًا عن نظيره الاجنبي .

من اجابة السؤال الثاني نجد ان الطلاب ينقسمون بالتساوي تقريبا بين الحبّذين الدرس باللغة العربية ومن يفضلون الدراسة باللغة الانجليزية (٥١٫٣ ، ٤٨٫٦ على التوالي) . الا ان الملاحظ انه، حتى من حبذوا الدرس بالعربية،هناك اغلبية تفضّل وضع الاسماء بطريقة غربية خاصة ، وان كنت لا اجد دليلا على ماهيّة هذه الطريقة ، لا بين الطلاب انفسهم ولا بين علماء الكيمياء ، فهي مسألة فُضّلَ الابهام عن غيرها كما اسلفنا .

من الاجابة على السؤال الثالث تتضح اهمية المشكلة التي تجابهنا حين يتعرض الاسم الكيميائي للتغيير في لفظه،نتيجة قراءة الاسم العربي على وجوه مختلفة،ان لم يكن مشكولا ؛ وهذه مشكلة تتناول المصطلح الناتج بلفظه عن اللغات الاجنبية ايضا ؛ وهي مشكلة لن يتخلصها الدارس الا بتكرار استخدام المصطلح او الاسم بعد سماعهما صحيحين لأول مرة ؛ اذ لا يُعقل ان تُعرَف الجهود الاضافية في الطباعة لشكل كلٍّ من هذه الكلمات .

الرمـــوز والاعـــداد :

هنـــاك خلط كبير في الرموز المستخدمة في اللغـــات التي تُترجمت الى العربية او كُتبت بهـــا ، وليس من الضروري ان يوجد التماثل في الكتاب الواحد ، بل انـــه يظهر على شكل اختلافات بين الكتب ذات الموضوع الواحـــد، والتي تظهر في الدار نفسه ،او في الدار الاخرى .. فالامر هنـــا فيه اختلاف لا يقـــلّ عن الاختلاف في اللغات ، ذلك ان اللغـــات الاجنبية تقدّم مجالا اوسع لاختيار الرموز، من حيث وجود الحرف الكبير والصغير ، وكذلك كتابة الحروف بأشكال مختلفة ، وبخطوط مختلفة (عادي او مائل) ؛ ورغم ذلك فان العرب اختلفوا في الرموز . وفي العربية يضيق المجـــال اذا اضطررنا الى استخدام شكل واحـــد للحرف ، الا ان بوسعنا استخدام الاشكال المختلفة لتقدم مـــادة كافية للرموز ؛ لكن يجب الحرص على ان لا تكون الاشكال المشابهة لبعض الحروف مصـــدرا للتشويش .

وهنـــاك مصدر آخـــر للاختلاف والتباين، وهو يتعلق بالرموز المشاكل التي لا تظهر لنـــا لاول وهلة ؛ ذلك ان هنـــاك اتجاها لاستخدام لوضع رموز عربيـــة للعناصر ، واستخدام الاعـــداد ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ... منهـــا . وفي الحقيقة ان هذه الاعداد ذات اصل هندي ، وليست الاعداد ... 4 ، 3 ، 2 ، 1 فهي الأعداد العربية ؛ ولا يمكن انها كانت تُستخدَم من قِبَـــل العرب ، وقد اخذت بهـــا اقطار عربية كثيرة في الوقـــت الحاضـــر .

الرمـــز الكيميائي لعنصر في اللغات الاجنبية لـــم يُبْنَ على قاعدة تربطه بالاسم المستخدم لـــه في تلك اللغة ، وانما هو كما نعرفه مشتق من اسم قد يكون من اللاتينيـــة او اليونانية او احدى اللغات الاجنبية الحديثة،باخـــذ الحرف الاول ، او هـــذا مع حرف اخر . اذا كنا نريد ان نكتب الكلمـــة الاجنبية بحروف عربيـــة،ونتابع طريقة يسهل ان نتعرّف على المسمى مـــن التسمية ، فكيف نشتق بالرمـــز الانجليزي O، او C ، او Se ، او Ge ، او Na ، او Fe ، ولا سيما انها متشابهة

في التركيب ، وقد يظهر الواحد منها عدة مرات ؛ فكيف اذا كان ممثلا بحروف عربية منقطة ؟ الا يخلق ذلك مجالا لخلط هذه النقطة او التقاطين مع الكترون او زوج من الالكترونيات كما يُرمَز لها مادة ؟

لم ننس من مبادىء التعرف على مركّب النظر الى صورته او صيغته ؟ فهل نساعد على ذلك ان غيّرنا الصورة والصيغة باستخدام الحروف العربية الرموز ؟ والدارس منا مضطرّ الاطلاع على هذه الصيغ ، سواء اكانت بنائية ام جزئية ، وذلك لاستخراج المعلومات منها من المختصرات التي تستخدم الصيغة كمفتاح . الا يكون من الافضل الابقاء على هذه الرموز بدل ان نضطر في كل مرة الى اعادة كتابتها كمحاولة لولى نحو استخدام هذه المختصرات ؟ وما الضير في العودة الى الاعداد العربية إن وُجدنا انها جزء ضروري من هذه الصيغ ؟

اذا كان هدفنا الأول من التعريب ، وباتفاقنا ، هو تسهيل فهم المادة العلمية انطلاقا من المبدا القائل بان الاستيعاب باللغة الام اقوى ، فان اي عامل يساعد على الاستيعاب يجب ان يُبْتَغى عليه ، واي عامل يقف حجر عثرة في سبيل هذا الاستيعاب لا يُجدر بنا التمسك به .

وفي ذهننا يرتبط الابقاء على الرموز ، وهي مالأيّة الاستخدام ، بقرننا باستخدام الأعداد العربية ؛ ولا يضيرنا انها (الرموز والاعداد) تكتب من اليسار الى اليمين ، فهذا امر شكلي لن يضرّ باللغة العربية فهي اكثر عمقا من قدرة الدارس على الاستيعاب ؛ ثم الا تُكتَب بعض الارقام الهندية من اليسار الى اليمين ٦ ، ٩ الى حد ما ، وبعض الارقام العربية الا تُكتَب من اليمين الى اليسار 9, 6, 5, 4

اي ان اتجاه الكتابة ليس مطلقا ، وليس مرتبطا بلغة دون اخرى .

الترجمـــــة :

مـن الحجج التي يذرع بهـا خصوم التعريب عدم توافر المـادة العلمية باللغة العربية ، مقارنةً بما يُتاح باللغات الاخرى من كتب دراسية ، وكتب متخصصة ، ومراجع ومجلات ودوريـــات .

وفي حقيقة نجـد انفسنا مضطرين للاعتراف بهـا ، ليس على مستوى الكَمّ فقط ، ولكن على مستوى النوع ايضـا . ذلك ان هناك بعض التضحية في مدى الاختيار، تفرضها ظروف الفترة الانتقالية حين نضطرّ الى اعتمـاد كتاب معين ، بينما يكون المجال الاوسع مفتوحا امامنا للاختيار لـو درسنا بلغـة اجنبية . ذلك لانه لا بدّ لنـا ان نعترف انـه قبل ان تتّضح معالم الطريق امامنـا التأليف على نطاق واسع ، فـلا بـد ان نلجأ للترجمة باختيار افضل الكتب وتعريبها للعربية . ولا بـدّ ان نلاحظ ان هذه الحركة في الوقت الحاضر نسبية الى ابعد الحدود ، ولذلك فاننا نجابَهُ بتِلّـة الكتب المترجمة ، ونجـد اننـا نُقَصِّر في متابعة التطورات العلمية بالترجمة الدائبة والاستعداد لاضافة كل جديـد .

ومنـذ مـدة طويلة، مثلا، قامت اكثر من محاولة لتعريب كتاب في الكيمياء العضوية ، واستغرقت وقتـا طويلا ؛ وبين وضع الكتاب بين ايدي الطلاب، كان قد عفى عليه الدهـر في بعض اجزائه ، وأتت كتب جديدة ذات مستويات افضل ؛ فهـل كان بامكاننا مجاراة كل جديد ؟ كلاّ . لمـاذا ؟

عمليـة الترجمة بحاجة الى عوامـل مفيـدة :

اولهـا : الجهاز المتخصص الذي يسعى لاختيار الكتاب بأقل عمل الاختصاص ، ثـم يُجري الاتفاقات بشأن ترجمتها ونشرها بشكل لائـق لا يقلّ عن مستوى الكتاب الاصلي . وهـذا الجهاز يجب ان

يكون لدينا الاداريون والرسامين والمصورين ، وان تكون لديه مطبعة ، او ان يكون بالكاد الاعتماد على جهود مطبعة دون تأخير .

وثالثها : المترجمون القادرون على تولي هذه المهمة، والتعبير عن السادة العلمية بلغة عربية جيّدة ؛ ولا بد في نفس الوقت ان يكونوا مؤمنين بالفكرة ، عاملين للتمهيد لها باستنباط المصطلح، وطريقة التعريب، واساليب الكتابة الجيّدة . وانت اذا بحثت عن هؤلاء ستجدهم بصعوبة . ذلك ان معظم جامعاتنا تعتمد في تدريب هيئاتها التدريسية على ارسال الموهوبين الى الجامعات الاجنبية ، فتجد ان الكثير من اعضاء الهيئات التدريسية إمّا عاجزين عن التعبير السليم باللغة العربية كلاما او كتابة ، وإمّا غير مكترثين للأمر، فليس لديهم حماس له ؛ وتجد بعضا منهم ، وهؤلاء ذوو خطر ، وقد تَحوَّل انتماؤهم فكريا وعقائديا نحو الغرب ؛ فهم حتى ان خاطبوك في شأن من الشؤون اليومية تَشدَّقوا بالانجليزية ، واذا عُرِضَتْ فكرة التعريب هزوا برؤوسهم وثلوا بجانبهم ، وكأن الامر اثم او سبّة .

وكثيرا ما يتساءل البعض : هل سيتمّ التعليم باللغة العربية الفصحى، ام ان اللغات واللهجات العامية هي التي ستسود قاعات الدراسات ؟ واذا كان الامر كذلك، فاي جدوى تعود على اللغة العربية من عملية التعريب ؟ الحقيقة ان اللهجات المحلية ليست على تلك الدرجة من القوة ، فهي على طريق الزوال نتيجة لانتشار صورة واحدة من اللغة الفصحى بانتشار الاذاعات والصحافة والمطبوعات العامة في الوطن العربي .

غير ان اللغة العربية الفصحى تعاني على السنة الساسة والعلماء في الاذاعات المسموعة والمرئية ، فان اضيفت لذلك معاناتها في غرف المحاضرات ، فليس العيب في ذلك كامنا في عملية التعريب نفسها ، بل في القصور عن تنمية القدرات الاساسية في اللغة العربية لدى الطالب في مختلف مراحل الدراسة ، حتى اذا ما شبّوا عن الطوق

وساروا رجال سياسة او اعلام او تعليم، نجدهم لا يتقنون لغتهم ولا يحسنون التحدث بهـا .

وثالثهـا : التمويـل : اذا وُجِدَتْ المترجمين المؤهلين [illegible] ان تجـد المـال الكافي لمكافاتهم بشكل مُجْزٍ على حياتهم التي [illegible]

وكذلك يجب توفير المـال الكافي لجميع النفقات اللازمة [illegible] للخروج بالكتاب الى حيّز الوجود ، كما يجب توفير نفقات الطباعة وغيرها . كل هذه الامور تتطلب اموالا طائلة . واستطيع ان اقول من تجربتي مع بعض الهيئات التي تبنّت العملية الترجمة [illegible] العالم كان حتى الآن المكتبة الكاملة التي تتولى دون تردّد الطباعة وانتشارهـا .

ومن طبيعة الاحتياجات اللازمة لعملية الترجمة نجد ان افضل ما يمكن تصوره لنجاحها ان تكون هناك هيئة عربية قومية تقوم بهذه المهمة ، فهي بذلك تكفل انسياب موارد الخبرات والمال من جميع الدول العربية، فتُولَد حركة الترجمة ولادة سليمة قوية ، وتستطيع مواصلة وتنهض على استدامتها بثبات .

التأليـف :

رغم ان الترجمة في المراحل الاولى ضرورية [illegible] تمثل التكنولوجيا ، الا انه ، كما في حالة التكنولوجيا [illegible] فترة يجب ان يصدر عنها، وان نطوّر ما يناسبنا سواء لتلك التكنولوجيا المناسبة لبيئتنا ، او كتبًا علمية ينسجها علماؤنا ، مستفيدين الاسس العقلية لطلابنا ومصادرنا الطبيعية وصناعاتنا، وغير ذلك .

ودون ان اعود من حيث بدأت ، اقول إن متطلبات التأليف لا تختلف اختلافا كبيرا عن متطلبات الترجمة التي [illegible]

على انه في كلا الحالتين — الترجمة والتأليف — يجب ان يجريا على تخطيط واسع ، وبسرعة تواكب ما يحدث من تطور [illegible]

العالم العلمي المتقدم ، حتى لا نجابه بقلة التنوع في المصادر ، وبان تصبح بعض المصادر قديمة قبل ان يتداولها الدارسون ؛ وهذا لا شك كائن إن كانت الترجمة او التاليف جهودا فردية ، او تقوم بها هيئات ضعيفة الموارد ، ونكون بذلك عرضة لعُزلة كلية او جزئية عن تيّار العلم .

ولا يفوتني ان اذكر انه ، لإحكام الصلات بين العلماء العرب والاجانب ، لا بد لهاتين العمليتين ، وخاصة الترجمة ، ان تسيرا في اتجاهين : فنقل احيانا ما يصدر عن علمائنا من مؤلفات ومنشورات علمية الى اللغة الاجنبية ، ان كان لدينا ما نفخر بان يطّلع العالم عليه .

اللغات الاجنبية :

اشرنا في ثنايا هذا الحديث الى ان هناك بضع لغات علمية تزاحم تسود العالم العلمي في الوقت الحاضر . لذلك ، وعلى افتراض العمل الجاد والسير بحركة التعريب بخطى ثابتة ، فلا بد لنا من التوسع في تعلّم اللغات المذكورة ، اذ لا غنى للدارسين عندنا عن الاطلاع على المنشورات العلمية التي تستحيل ترجمتها لكثرتها ، بل لعلهم لا بد مضطرون الرجوع لمصادر الدراسة الاجنبية استزادة للمعرفة . كما انه لهم يجب ان يكونوا قادرين على فهم الحاضرين من الزوار الاجانب الذين تُعتبر زياراتهم ضمن برامج التبادل امرا مرغوبا في التواصل العلمي .

زد على ذلك انه ، حتى نصبح في وضع علمي متقدم يحفز العلماء على تعلم العربية لقراءة ما ننشر من ابحاث ، فلا مناص لنا من حين والحين من مخاطبة العالم العلمي باحدى اللغات العلمية الدولية .

وبعد ، فان قائمة المشاكل التي تقف في طريقنا لا تقف عند هذا الحد ؛ وهي تتضخم بمقدار النقص في استعدادنا للتصدّي للمهمة . ان الاصالة وعلو الهمة في ان لا نتخاذل امام المشاكل ، ووعورة المسالك .

وطبيعـــة هذه المشاكل والقضايا تتطلب أن تنال الاهتمام ، على السـاسة واهـــل النفوذ ، حتى لا نكون كمن يحرث في البحـــر ، فمشاكل المائلة امامنا تتطلب المـــال والتنظيم والتعاون ، والا لبقي تحقيـــق قيـــد انملـــة نحو تعريب التعليم والنشـــر .

انـــي رغم ذلك لا ادعي أن مجرّد التغلب على هـــذه المشكلة سيؤدي الى فيض مـــن الابداع العلمي ، فهناك الكثير من العوامل الاخـــرى لا صلة تربطه بموضوع اللغـــة ، لكن ازالة بعض العوائق على الطريق حافز لنـــا للسعي نحو ازالة غيرها من العوائق والمعيقـــات .

الدكتور عـــادل عوار

مع "ديوان الأدب" لأبي ابراهيم الفارابي

للدكتور ابراهيم السامرائي

(كلية الآداب / جامعة بغداد)

قرأت ما كتبت شيئا مما بدا لي وانا اقرأ الجزء الاول، ثم دونت على ذلك بملاحظات عرضت للجزء الثاني ؛ وهانذا اتصدى الجزأين الثالث والرابع، فاخص مجلة المجمع اللغوي الاردني بهذه الانتقادات .

السؤال : لم اراد الفارابي ان يُعرض الابنية العربية كما جاءت في المعاجم المألوفة ، وان يصنف من ذلك معجما مرتبا لهذه الابنية؛ فلم نراه صنع معجما كسائر معجمات العالمين ؟

الجواب : ان "ديوان الادب" معجم فريد في منهجه ؛ وفرادته هذه جاءته من انه لا يمكنك ان ترجع اليه بيسر : فالابنية مرتبة على نمط خاص من حيث عدّة اصواتها، ومن حيث كونها فعلا او مصدرا او اسما مهموزا او معتلا او صحيحا . ولست ممتحن اشد الامتحان في الاهتداء الى ما تريد من ذلك . ثم انك محتاج الى فهارس تستوفي هذا النمط الذي من الابنية ومرادفها ؛ ولا شك ان المحقق بعد ان انتهى من تحقيق نص الكتاب يعمد الى شيء من ذلك، والا ضاعت الفائدة وضعف التأليف .

اقف هنا في الكلام على الجزأين الاول والثاني إن المحقق قد اصاب في تحقيقه ما يصبو اليه الباحث الجادّ في اخراج النص سليما من الخطأ ، مبلغا بفوائد جمة .

غير انـي تناولت مـادة الكتاب وطريقة عرضها، فوقفت على ذلك وقفات طويلة. وهاانا أُتمّم هذه المسيرة في هذين الجزأين، الثالث والرابع من الكتاب، فاقـول :

١ ــ لـم يكن عمل الفارابي في "ديوان الادب" عملا معجميا يتّصف بالاستقراء الوافي للأبنية، ومـا يندرج في كل بنـاء من الكَلِم . لقد خصّ هذا الجزء بالمضاعف، مبـدا بالأسماء، فكان بنـاء « فَعْل »، بفتح الفاء وسكون العين، فاتحة هذا الجـزء، مرتّبا الكَلِم على حروف المعجم، فجـاء بـ « الحَبّ جمع حبة ، والخَبّ من الرمل ... والرَّبّ معرّفا ... وهكذا في سائر الحـروف » .

اقـول : وفاته ان يذكر في حكـم هذا الترتيب « الأَبّ » .

والأبّ : الكلأ ؛ وقالوا : هو المرعى . قال تعالى : « وفاكهةً وأبًّـا » .

وفاتـه ان يذكر « الخَبّ » ومعانيه، واكتفى بقولـه : « الخَبّ من الرمل »، وهو في تمام معنـاه : حبل من الرمل لاطىء بالارض . ولـم يذكر ان « الخَبّ » الخَدّاع، وهو الجُرْبُز الذي يسعى بين الناس بالفساد .

وفاتـه ان يذكر « البَبّ » : الغلام السمين .

وفاتـه ان يذكر « اللَّبّ » وهو اللبيب ؛ وهو ايضا اللطيف القريب مـن النـاس .

ويقـال : رجل لَبّ طَبّ، اي لازم للأمر ؛ وانشد ابـو عمـرو :

لَبَّـا بأعجـاز المطـيّ لاحقًـا

وفاتـه « الجَتّ » . قال ثعلب عن ابن الاعرابي : الجَتّ هو الجَسّ للكبش لتنظر أَسَمِـينٌ ام لا .

وفاتـه ايضا « الثَّجّ » ؛ جاء في الحديث : تمام الحَجّ العَجّ والثَّجّ . والعَجّ العجيج في الدعـاء . والثَّجّ : سفك دمـاء البُدن وغيرها .

ولـم يشر الى « الدُخّ »،وفي لغـة « الدُخّ » بالضم،وهو الدخان ؛ قـال الشاعـر :

وصار وصلُ الغانيات أَخَّـا

عند سعار النار يغشى الدُخّا

وفاتـه أن يشير الى « الزَخّ »،فهـو السير العنيف .

وقـال في « النَخّ » : أن تُناخ الابـل قريبا من المصدِّق ليُصدِّقها » .

اقـول : ولمـا كان الباب معقودا للأسماء دون الافعال،فعبـارة « الصحاح » هي المقبولة الواجبة ؛ جـاء في « الصحاح » : النَخّ:الابل التي تناخ عنـد المصدِّق ليصدّقها » .

وفاتـه أن يذكر « الصَّخّ »،« وهو الضرب بالحديد على الحديـد، والعصا الصابة على شيء مصمت » .

وتخصيص الضرب بهـذه الخصوصية المعنوية يُخرج الكلمة عن المصدر،وهو « الصَخّ » . والمصادر ممـا ادرجها الفارابي في بـاب الافعـال .

ومـن المهـم ان اشير الى ان المصنِّف حين يذكر الكلمة يُكتفي منهـا في كثير من الاحيان بمعنى واحـد ، وقد يكون هو المشهور الذي يعرفـه الخاصة والعامة . ومـن ذلك قوله في « الخَـدَ » :

« وهو الخـد »،وسكت .

جـاء في « اللسـان » : والخَـدّ والاخدود:شقّان في الارض غامضان مستطيلان . والخَـدّ:الجدول .

وقـد يختلط الامر على المصنِّف فيُدرج المصدر مع الاسماء ويحسبه اسماءكما قـال في « الشَدّ »،اي ارتفاع النهار . وعندي انـه مصدر، لان الفعل في قولهم « شَدَّ النهار » ارتفـع .

وفاتـــه ان يذكر « الصُدّ » ؛ و « الصَدّ » و « الصِدّ » بفتح وضم ؛ الجبل ؛ قالت ليلـــى الاخيلية :

أَنابِغُ لم تنبُغ ولم تك اولاً وكنت صُنيًّا بين صُدَّين مجهلا

و « الصدّان » ناحيتا الشعب او الجبل او الوادي والواحد « صُدّ » .

وقـــد يثبت من المعاني احدها وقد يكون الاغرب، كما قـــد يكون الاشهر كما بيّنّـــا ؛ ومن ذِكرِهِ اغربَ المعاني واهمال المعاني الاخـــرى قوله في « القَـــدّ » :

و « القَـــدّ » : مَسْك السخلة ؛ يقال في المثل « مـــا يجعل قَدُّك مـــن اديمـــك » . وشيء حسن القَـــدّ ، اي حسن التقطيع .

اقـــول : وفاته ان يذكر ان « القَـــدّ » القامة ، وقدر الشيء ؛ وغلام حسن القـــد اي الاعتدال والجسم .

واما اثبات المصنّف في قوله « حسن القـــدّ اي حسن التقطيع » فهو اعلق بالافعال لانـــه يذكّر بالمصادر .

وقال في « النَـــدّ » : وهو « النَـــدّ » ، واكتفى بذلك، والذي جـــاء في كتب اللغـــة : ان « النَـــدّ » التلّ المرتفع، ونوع من الطيب ، كما في « الصحـــاح » .

وقـــد يُتجنّب المصنّف الخلاف وما فيه من اقوال قـــد تحمل على التضاد او غيره، ومن ذلك ما جـــاء في « الهَدّ » . قال المصنف : ويقـــال : اني غير هَـــدٍّ، اي غير ضعيف .

اقـــول : وقال ابن الاعرابي « الهَـــدّ » من الرجال: الجـــواد الكريم، واما الجبان الضعيف فهو « الهِـــدّ » بكسر الهاء لا فتحها .

وفـــات المصنف ان يذكر « وَدّ » وتعني الكلمة اسم جبل معروف . و « الوَدّ » : الوَتِد، بلغـــة تميم .

واكتفى المصنف بقوله : ان « الجرّ » اصل الجبل ، وهو جمع « جُرّة » .

اقول : وفاته ان يذكر انه الحبل الذي في وسطه اللُّؤمة الى المضمدة .

وفاته ان يذكر « العَرّ » بمعنى الجرب، وهو العُرّ والعُرّة بالضم .

وذكر ان « المرّ » هو الحبل، وفاته ان يذكر انه المسحاة ايضا ، وقيل : مِقبَضها .

وما اريد ان اسرف في استدراكي على ما ذكره المصنف في بناء « فُعْل » من المضاعف، فانتقل الى بناء « فُعْلَة » بفتح فسكون من المضاعف ايضا فاقول :

٢ ــ بدأ المصنف بـ « حُبّة القلب » بمعنى ثمرته، وفاته ان يذكر : « بُبّة » وهي حكاية صوت صبيّ . قالت هند بنت ابي سفيان تُرقّص ابنها عبد الله بن الحارث :

لأُنكِحَنَّ بُبَّهْ
جارِيَةً خِدَبَّهْ

وفي « الصحاح » : « بُبَّةُ » : اسم جارية . و « البُبَّة » السمين ؛ وقيل : الشابُّ الممتلىء البدن نعمةً ، وقد حكاه ابو عبيد في « الغريبين » .

وفاته ان يذكر في « حُبَّة » انها واحدة الحُبّ ؛ وانها اسم امراة .

وفاته ان يذكر « الخُبَّة » بفتح وكسر: الطريقة من الرمل والسحاب ، وهي من الثوب شبه الطُرّة .

وفاته ان يذكر « الدُبَّة » وهي التي يُجعَل فيها الزيت والبزر والدهن، وجمعها « دِباب » .

واذا كان المصنف قد ذكر « الرَّبّ » معرِّفًا بانه الخالق ، وربّ الدار: صاحبها؛ فلِمَ لم يذكر « ربّة الدار » صاحبتها !

وفاتـــه ان يذكر « السَّجَّة » وهو صنم كان يُعبَد من دون اللـــه . وبـــه فسّر قوله ــ صلى اللـــه وعليه وسلم ــ : اخرجوا صدقاتكم فان اللـــه قد اراحكم من « السَّجَّة » و « البَجَّة » .

و « البَجّة »:الفصيد الذي كانت العـــرب تاكله في الأزْمة .

وقالـــوا : و « زخَّةُ الانســان وَمَزَخَّته ومِزَخَّته »:امراتـــه ؛ ولـــم يشر الى ذلك المصنـــف .

وفاتـــه ان يذكر « القَلّة » وهي النهضة من علّة او فقر . وفاتـــه ان يذكر « العَمّة » مؤنث العَـــمّ .

واكتفـــي بهذا القدر، وانتقل الى بنـــاء « فُعْل » بضم فسكون، من المضاعف،فاقـــول :

٣ ــ لقـــد فات المصنف ان يدرج « الخُبّ » وهو الغامض من الارض .

وفاتـــه ايضا ان يذكر « الأسّ » وهو الاساس،اي اصل البنـــاء .

وفاتـــه كذلك ان يذكر « الأصّ » وهـــو الاصـــل .

وفاتـــه ان يدرج « السُّلّ »،وهو الـــداء،وفيه ثلاث لغات:الضمّ والفتح ثـــم السُّلال .

وفاته ان يذكر « القُـــلّ »،هو الخسيس الدين ، ومنه قول الاعشى :

ومـــا كنتُ قُـــلًّا قبل ذلك ازَيَّـــا

وننتقل الى بنـــاء « فُعْلَة »،بضم الفاء وسكون العين،من المضاعف، فنجـــد « الجُبَّـــة » .

اقـــول : واجتزا المصنف من معاني « الخُبَّـــة » فذكر الخرقة تُخرِجُهـــا من الثوب فتعصب بهـــا يـــدك .

وفاتـــه ان يقول ايضا : ان « الخُبَّة » الخـــدّ في الارض . « والخَبّة » طريقة لينـــة ميثاء،ليست بحزنة ولا سهلة،وهي الى السهولة ادنى .

وافضل ذكر « الدُبّة » انثى الدب .

وماتـــه « العُجّة » لضرب من الطعام اختلفوا في مادتـــه واجزائه، فقالوا: الدقيق بالسمن، وقالوا شيئا آخـــر .

وقـــد تجـــد عبارة المصنف معوزة، فهو يقول في « الكُزّة »: البعـــر العفن ؛ قال النابغـــة يصف الدروع :

مُلِينَ بكذْيَونٍ وأُبطِنَّ كُـــزَّةً فَهُنَّ وِضاءٌ صافياتُ الغلائلِ

اقـــول : وقد تعجب من مجيء الشاهـــد في الدلالة على المعنى الذي اثبته المصنف، وهو البعر العفـــن . ولكن الحقيقة تنجلي بعبـــارة « الصحاح » الذي زاد على ما ذكره الفارابي بقولـــه : « تُجْلَى بـــه الدروع » ؛ وهنا يتبين قيمة الشاهد وهو قـــول النابغة .

ومـــن ذلك ايضا قوله : « والحُزَّة لغـــة في الحُجزة » .

اقـــول : واذا راينا عبارة « الصحاح » : ان حُـــزّة السراويل، وحُجزتها التي فيها التكّة ، ادركنا تقصير الفارابي في ايجازه المُخِـــلّ .

ومـــن ذلك قوله في : « المُـــزّة »، الخمر . وهي في « الصحاح » : الخمر التي فيها طعـــم حموضة .

وقـــد ياتي بشيء من المناكير مما لا نجده في اي من كتب اللغـــة ؛ ومن ذلك قولـــه : « وهي اللُطّة » .

اقـــول : وليس في « اللسان » او « القاموس » او « الصحاح » او « الجمهرة » شيء من ذلـــك .

واذا كان الكلام على بنـــاء « فُعْلَة » وما جاء منه في العربيـــة ، فاين « الأُمّـــة » وهي كلمة شهيرة تنصرف الى دلالات عـــدة ؟

ثـــم اين « الحُمّة » وتعني معظم الحرّ ؟ واينـــ « السُمّة » وهي حصير يتخـــذ من خوص الغَضَف ؟

وفي « التهذيب » : والمَسَلة شبه مُدْية [illegible] وَتَبْسَط تحت النخلة اذا صرمت ليسقط ما تناثر من الرطب والتمر عليها .

ثم اين « القُمّة » وهي المزبلة ؟

واذا انتقلنا الى بناء « فُعْلي » بضم الفاء من المنسوب المضاعف، وَجَدْنا المصنّف يذكر اربعة الفاظ هي عدة ما جاء على هذا البناء .

٤ — اقول : وليس فيها « العُمّيّ » وهو العام، يقابل القُصْرِيّ، وهو الخاص .

واذا تجاوزنا هذا البناء المنسوب المضموم الفاء الى نظيره المكسور الفاء، نجد ثلاثة الفاظ ليس غير .

٥ — اقول وفاته « عِلّيّ » وجمعها « عِلّيّون » كما في قوله تعالى : « ان الابرار لفي عِلّيّين » .

٦ — وفاته أن يذكر « الحُمّ والصُمّ »، وليس له ان يجتزئ بالمصدرية، فقد ذَكَرَ البُلّ والمُلّ والزُلّ والقُصّ وغيرها، وكلّها من المصادر . وأين « الدُبّ » وهو الشعر على وجه المرأة ؟

٧ — ويعمد المؤلف كثيرا الى الاكتفاء بمجيء الكلمة على البناء الذي يشير اليه، من غير أن يذكر شيئا من دلالته، مع انه يستحق ذلك؛ كقوله في « الحُظَظ » : انه لغة في « الحُظُظ » بضم ففتح وبضمتين .

اقول : وقد وردت بضادين وبظاءين، وبضاد بعدها ظاء، كما في كتب اللغة الاخرى . والحُضُض دواء من ادوية العين . . .

٨ — وناتي الى بناء « فُعَلة » فنجد ستة الفاظ، وليس بينها « هُمَزة » و « لُمَزة » و « ضُحَكة » و « هُزَوة » وكثير غيرها .

٩ — ولم يذكر في بناء « أُفْعول » الا « الأُخْدود »، فاين « الأُنْبوب » ؟

١٠ ــ وفاتــه ان يذكر « الإرزيز » على بنــاء « إفعيل » وهــو الرعدة ؛ و « إزميم » وهو ليلــة من ليالي المحاق .

١١ ــ وفاتــه ان يذكر « المَدَبّ » وهو مكان جريان السيــل . و « المَحَــلّ » وهو اشهر من ان يغفل ذكره . ومثل هذا كثــير .

١٢ ــ قلــت : انــه يوجز والايجاز حيث يجب من البلاغة والاحكام ، فقد قالوا : البلاغة الايجاز . غــير ان الايجاز يصبح مأخذاً على صاحبه اذا لم يُــفِ بالمراد . ومن ذلك قول المصنف في « المِــدَكّ » على « مِفْعَل » مثل « مِبْرَد » : انــه شديد الوطء ، إنّ قوله « شديد الوطء » معوز ، فقد ينصرف « الوطء » الى دلالات عــدة ؛ فاذا قرانا « الصحاح » ووجدنــا فيه : انــه قوي شديد الوطء للأرض ، انتفى اللبس وزال الغموض .

١٣ ــ ومــن ايجاز المصنّف المُخِلّ قوله : « وهو المِخطاط » . ولا يعرف القارىء مــا المِخطاط ، فيستشير مصادر اللغــة ، فيجد الجوهريّ يدرجه في « الصحاح » قائلا : انــه عود يُسوّى عليه الخطوط .

١٤ ــ وفاتــه ان يذكر في بنــاء « فَعّال » المضاعف « الدَقّــاق » و « السَلّال » من اسماء الرجــال ، وكذلك السَفّاح والسَفّاك من القابهــم . ومن اعلامهم « زَبّان » وبــه سمي ابو عمرو بن العلاء ، ومن هذا كثير .

١٥ ــ وفاتــه ان يدرج « الدَبّابَة » في بنــاء « فَعّالة » من المضاعف .

و « الدَبّابَــة » التي تُتّخذ للحروب ، يدخل فيها الرجال ، ثــم تُدفَع في اصل حِصن ، فينقبون ، وهــم في جوفها ؛ سميت بذلك لانهــا تُدَفَــع فتَــدِبّ .

و « حَبّابَة » من اعــلام النساء المشهورة .

١٦ ــ وذكر في بنــاء « فُعّال » ، بضم الفاء مع تشديد العين ، ثلاثة اسمــاء ، اولهــا :

« رجال سُحّاح » اي سمــان .

اقـــول : والضبط في « الصحاح » بكسر السين مع التخفيف ، وفي « القاموس » بكسر السين وبضمّها مع التخفيف ، ومثله في اللسان . ولم يرد في اي منها تشديد الحاء . والذي اراه ان قـــول المصنف « رجال سُحّاح » وهو جمع « ساحّ » لان « فُعّال » مما يطّرد في جمع « فاعـــل » .

ولـــم يذكر « الدُبّاء » وهو القرع،واحدته « دُبّاءة » ولا « المُنّاء » لجنس من الطير،وغـــير ذلك .

١٧ — وفي باب « فاعول » من المضاعف ذكـــر المصنف اربعة الفاظ بداهـــا بـــ « ماجوج » .

اقـــول : والرواية فيه الهمز"ماجوج"،وقُرِىء « ماجوج » بتسهيل الهمزة ايضا ؛ فاذا ذَكَر « ماجوج » فما بالـــه لم يذكر « ياجوج »،وهـــو مثله ويسبقه في الآيـــة الكريمة : « ياجوج وماجوج » !

وذكـــر « الجاسوس » ولم يذكر « الداسوس »،وهو مثله وقريب منه في الدلالـــة .

١٨ — وفي بـــاب « فَعال » بفتح الفاء مع التخفيف مما لحقتـــه الزيادة من حروف المـــدّ بين حرفي تضعيفه،فاتـــه ان يذكر « اليَباب » وهو الارض القفر ، و « الحَزاز » من الرجال،وكذلك الحزيز،الشديد على السَّوق والقتال والعمـــل .

١٩ — وفي باب « فَعول » من المضاعف قال المصنف : « وهو الذَرور » .

اقـــول : وجاء في القاموس : ما يُذَرّ في العين ؛ وعطر كالذريرة .

٢٠ — وذكـــر المصنف : « سنة حسوس،اي شديدة » .

وفي « الصحاح » : انها شديدة المَحْـــل .

٢١ — وجـــاء في « الزَفوف » : انهـــا فرس كان للنعمان بن المنذر .

اقـــول : قد يكون هذا ثابتا،غير ان في « اللســان » : ان « الزُموف » هي النعامة . وقـــد اغفل ذكرها صاحب « الصحـــاح » .

٢٢ ــ وذكـــر المصنف ان « السَّموم » شدّة الحر . والـــذي في « الصحاح » انهـــا الريح الحارة . وقال في « الهُموم » مـــن البحـــار : الكثـــير المـــاء .

اقـــول : وجاء في اللسان : أن « الهَموم » البئر الكثيرة المـــاء . وسحابة هموم،صبوب للمطـــر .

وقـــال أبو عمرو : « الهُموم » الناقة الحسنة المشية ، والقرواح التي تعاف الشرب مع الكبـــار ، فاذا جاءت الدَّهداهُ شُرِبَت معهنّ ، وهـــي الصِغار . والهَموم : الناقة تهم بفيها الارض وتُرْتَع ادنى شيء تجـــده ؛ قال : ومنه قول ابنـــة الخس : خير النوق الهموم الرموم التي كـــان عينيها عينا محمـــوم .

اقول : وقول ابنـــة الخسّ : خير النوق الهَموم الرَموم ، التي كانّ عينيها عينا محموم . اقول : وقول ابنـــة الخسّ يشير الى « الرَموم » التي نَدَّت عـــن الفارابي فلم يذكرهـــا .

٢٣ ــ لقـــد افرد المؤلف بابًا لبناء « فعيل » المضاعف،واغلبـــه من الصفات التي كـــان من منهج المصنف ان تندرج في باب الافعال؛نحـــو : الحبيب ، والربيب، واللبيب، والشحيح، والجديد، واللذيذ، والضرير، والعزيـــز، والخسيس، والخفيف، والدقيق، والجليل، والدميم، والضنين؛ومثل هذا كثـــير في هذا البـــاب .

٢٤ ــ وجـــاء في هذا الباب « اللطيطة » فقـــال المصنف : وهي اللطيطـــــة .

وليس اللطيطة في « الصحاح » او « اللسان » او « القاموس » . وقـــد وُجِـــد في هذه المظانّ : لَطَطتُ الشيء : الصقته ؛ ولطططتُ حقَّـــه : جحدتُه ؛ ولطَّ الستر : ارخاه ؛ ولطّت الناقة بذنبها،اذا جعلته بين فخذيها .

٢٥ — وقال المصنف : « هي البُليلة » .واكتفى بذلك . وهي ريح باردة مع ندى او مطرة ضعيفة،كما في « الصحاح » و « اللسان » .

٢٦ — وجاء الكثير من بناء « فُعال »،بضم الفاء المشاعف، صفاتٍ ونعوتا،ممّا يجب ان يندرج في قسم الافعال .

٢٧ — وفات المصنّف ان يدرج « الطُّفاف » في عدة هذه الالفاظ التي جاءت على هذا البناء .

٢٨ — وفات المصنّف في بناء « فُعالة »،بضم الفاء مع التشعيف، « الطُفافة » ، وهي ما فوق المكيال،ومثلها « الطُفاف » الذي اشرنا اليه .

٢٩ — وجاء من المنسوب على بناء « فُعال »،بضم الفاء،لفظ واحد هو « القُساسيّ »،وذكَرَ المصنّف انه السيف .

اقول : وفي « الصحاح » ان القُساس معدن الحديد بارمينية . و « القُساسيّ » منسوب اليه .

٣٠ — وجاء في بناء « فِعال »،مكسور الفاء من المشاعف،« الجِداد »؛ ذكر المصنّف انه لغة في « الجُداد »،بفتح الجيم .

اقول : والجِداد والجُداد مثل الصِرام والقِطاف،كما في « الصحاح » .

٣١ — ومن ايجاز المصنّف انه ذكر « الصِرار »،بكسر الصاد، وقال : الخيط الذي يُشدّ به ضرع الناقة .

اقول : وزاد في « الصحاح »،لئلا يُرضَعها ولدها ؛ وهذه الزيادة مفيدة وواجبة .

٣٢ — وفي مادة « تِمام »،بكسر التاء،ذكر المصنف : وأنّ تِمام وتَمام (بالكسر والفتح) ، وقَمَرٌ تِمام وتَمام .

اقول : والذي في « اللسان » الكسر وحده:ليل تِمام وليل لِتمام وليلٌ تِمامي .

٣٣ ــ وفاته في بنـــاء « مِفعالة »، بكسر الفاء من المضاعف، « الكِمامة » وهي ما يجعل على مِنخَر الدابّة لئـــلا يؤذيها الذباب، كما في « اللسان » . و « الكِمامة » ايضا وعـــاء الطلع، وغِطاء النَّور، كما في « الصحاح » .

٣٤ ــ وفاتـــه ايضا « الدِلالة »، بكسر الدال، وهو ما يسطـــى للدَلّال او الدليـــل .

٣٥ ــ وجـــاء في بناء « فُعْلَى » المضموم الفـــاء والمضاعف، ثلاثة الفـــاظ هي : « الرُبَّى » ، و « الحُمّى » و « الغُمَّى » .

اقـــول : وفاته شيء كثير، منه : « الحُبَّى » من اعلام الاناث ، و « الدُبَّى » : موضع بالدهناء ليّن يألفه الجراد فيبيض فيـــه ، و « الجُلَّى » للأمـــر العظيـــم .

٣٦ ــ وفـــات المصنف في بنـــاء « فُعْلاء »، بضم فسكون مـــن المضاعف : « الدُبّاء » وهو القرع، واحدته دُبَّـــاءة .

٣٧ ــ وفـــات المصنف في بنـــاء « فُعْلان » من المضاعف : « زُبّان » من اعلام الرجـــال ، وكذلك « بُلّان » .

٣٨ ــ وفـــات المصنف أن يذكر « الحُبْحُبَة » على بنـــاء « فُعْلُلَة »، بفتح الفاء، وتعني جري المـــاء قليلا .

كمـــا فاتـــه « الخُبْخُبَة »، وهي رخاوة الشيء المضطـــرب .

ومثـــل هذا « الدُبْدُبَة » وهي العُجروف من النمـــل . و « الدُبْدُبَة » كلّ صوت اشبهَ صوت الحافر على الارض الصلبة . ومثل هذا « الذُبْذُبَة » وهي تردد الشيء المعلّق في الهـــواء . ومن ذلك « الجُلْجُلَة » للصـــوت عامّـــة . وهذا قليل من كثير مما قَصّر فيه المصنـــف .

٣٩ ــ وفـــات المصنف « الصُرْصُر »، بضم الصاد من مضاعـــف الرباعي . والصُرْصُر، بالضم والفتح، والصُرصور مثل الجُرجور، وهـــي العظام من الابـــل .

٤٠ ــ وقد فاته في بناء « فُعْلُلَة »، بضم الفاء واللام، « البُلْبُلَة » لضرب من الكيزان في جنبه بُلبُل يُنْصَبّ منه الماء .

٤١ ــ وذكر في بناء « فِعِّلِل »، بكسر فسكون من المضاعف : ورجل صِمْصِم اي غليظ .

اقول وزاد صاحب « الصحاح » : ويقال الجريء الماضي .

٤٢ ــ وقد قصّر المصنّف في بناء « فُعالِل »، بضم الفاء وكسر اللام، وقد فاته « البُسابِس » و « الكُباكِب » و « الدُبادِب » و « الحُباحِب » للكثير الصِياح ، وغير ذلك كثير .

٤٣ ــ وقد فاته كثير مما جاء على « فَعْلال »، بفتح الفاء من المضاعف، ومنه « الدَبْداب » و « الرَحْراح »، وشيء رحراح اي فيه سَعة، وغير هذا كثير .

٤٤ ــ وقد فاته في بناء « فَعْلالَة »، بالفتح، « الطَبْطابَة » وهي خشبة يُلعَب بها في الكرة .

ومن هذا ايضا « البَسباسَة » وهي بُقْلَة ، وهي ايضا من اعلام الاناث .

٤٥ ــ وفاته في بناء « فُعْلول » « الطُرْطور » وهو الوغد من الرجال .

وينتهي المصنف من باب الاسماء من المضاعف ويعود الى باب الافعال من المضاعف، فيبدا بـ « فَعَلَ يَفْعُل »، بفتح العين في الماضي وضمّها في المضارع . ويعقبه بـ « فَعَلَ يَفْعِلُ »، بفتح ثم كسر، ثم « فَعَلَ يَفْعَل »، بفتحتين، ثم « فَعِلَ يَفْعَل »، بكسر ففتح، وهو في مجموع هذا يذكر المصادر . ولا تحسبنّ انه يستوفي الكلم او يستوفي الدلالات، فقد فاته الشيء الكثير . وهو يوجز في كثير من الاحيان ايجازا مُخلاً .

وهـو حين يذكر « فَعِل يَفْعَل »، بكسر ففتح، يعرض للنعوت التي وردت على « افعل » من الافعال المضاعف، نحـو: الأَحَصّ والأَشَمّ وغيرهما .

ثـم يدخل في باب الزيادات، مبدا بـ « أَفْعَلَ » من المضاعف، نحـو: أَحَبَّ وأَلَحَّ . ثـم يعقب ذلك بـ « فَعَّل » المزيد، ثم يعرض للمشتقات، كاسم الفاعل واسم المفعول والصفة وغيرهـا ، وينتهي من المضاعف فيعود الى الافعال غـير المضاعفة، ويتبـع منهجه نفسه ، في المجرد والمزيد وما يتصل بهذه كلها من المشتقـات .

ولا بـد من القول ان المصنّف مقصّر غير مستوف لمادتـه في هذه الجمهرة الكبيرة من المـواد .

وهـا نحن نبدا الكلام على الجزء الرابع، والمنشور منـه القسم الاول ؛ ولعلّ القسم الثاني خاص بالفهـارس .

يبـدا هذا الجزء بـ « كتاب ذوات الاربعة » ؛ وقد يخيَّل اليك ان « ذوات الاربعة » هذه تعني الرباعي. فاقول، ليس الامر على هـذا النحو، فهو يأتي بباب « فَعْل »، بفتح فسكون، ممـا آخره واو، كالرَّبْو والنَّحْو والفَرْو والدَّلْو، وغير ذلك . والمصنف على نهجـه لا يستوفي عدّة الكلم ولا يستوفي دلالاتها ؛ وقد يوجز ايجازا يحمل الضيم على المعاني . ثـم انـه يخلط الاسماء بالمصادر، مع ان البـاب مخصوص بالاسماء دون المصادر، التي يَعدّها من بـاب الافعال .

فـاذا انتهى من هذه الالفاظ ذات الواو في آخرها، عـاد الـى الباب نفسه مما آخره يـاء .

ثـم يعرض لما جاء من الباب نفسه من اللفيف الواوي واليائي، كالبَوّ والحَيّ . ويستمر في ابنيـة الاسماء المنتهية باحد الحرفين الواو والياء، كبناء « فَعْلَة » بالفتح، و « فِعْلَة » بالكسر و « فُعْلَة » بالضـم ، و« فُعْل » بالضـم، و « فِعْل » بالكسر، و « فَعَل » بفتحتين، و « فَعَلَة »

بفتحتين، و « فِعَل » بكسر ففتح، و « أَفْعَل » و « أَفْعَلَة » و « أَفْعُول » بالضم، و « أَفْعُولة »، و « أَفْعُلان » بضم الهمزة والعين . و « مَفْعَل » و « مَفْعَلة » بفتح العين، و « مُفْعَل » و « مُفْعَلَة » بضم الميم، و « مِفْعَل » بكسر الميم، و « مِفْعَلَة » بكسر الميم . وهكذا في سائر المشتقات من الاصل المجرد او المزيد ، وكل ذلك مما آخره واو او ياء . ثم عرض للمهموز في الافعال ومصادرها والمشتقات، واتبع المنهج نفسه .

وهكذا ينتهي القسم الاول من الجزء الرابع، والدارس لهذا الكتاب يمتحَنُ اشدّ الامتحان في معرفة الغرض الذي رمى اليه المصنّف، أهو معجم للأبنية ؟ ومعنى هذا ليس من ضير ان يأتي بهذا القدر الكبير من الالفاظ ؛ أم هو معجم للأبنية والكَلِم ؟ واذا كان هذا ، فأين جمهرة من الكلم التي فاتت المصنّف ؟

ولم أُرد ان آتي على ما فات الفارابي من الكَلِم المندرج في ابنيته المختلفة، فيكون للمستدرك الذي اتيت به صفة الاستقراء الوافي ؛ بل اردت ان آتي بنماذج واضحة مما فات المصنف، ومما اخلّ به او قصّر او اخطأ، لاقول إن الكتاب لم تتوافر فيه المعجمية العلمية الدقيقة .

على أن من الحق ان اقول في الختام إن المحقّق قد قدّم من الفوائد ما اغنى الكتاب، فيَسَّره واجزل مائدته . ولا يضير هذا العمل الجادّ هنوات عرضتْ لها في الكلام على الجزء الاول ؛ وهل تعدم الحسناء ذاما ؟

د. ابراهيم السامرائي

تعريب أم اقتباس ؟

للأستاذ عبدالحق فاضل
(بغداد / العراق)

الذي اريد اليه : هو (تعريب) بمعناه القديم أم الحديث ؟

ذلك بأن المعنَيَيْن قد تعارضا اخيرا وتناقضا في هذه الكلمة الواحدة . فقديما قالوا: عرَّبت الاسم الاعجمي واعربته، بمعنى : نطقت به على نهج العرب ، على تعبير المعجم . وبتعبير أوضح : استعملته في عربيتك ونطقته على طريقة لغتك . ومن ثم اطلق اللغويون « المعرَّب » ـ زنة المظفر ـ على الدخيل في العربية . أما اليوم فصاروا اذا اقتبسوا الاسماء الاعجمية نطقوا بها على الاغلب على النهج الاجنب ؛ مثل : تلكس وفولت وهونگ كونگ، حتى حين يكتبونها هونغ كونغ .. اي ينطقونها بالحركات المالة الاجنبية والحركات الاجنبية .

ثم تغير معنى (التعريب) حين استعمله بعض المتاخرين بمعنى الترجمة ، فقالوا: هذا الكتاب تعريب فلان ، او عرَّبه فلان ، اي ترجمه من لغة اعجمية الى العربية . وهذا بطبيعة الحال عكس المعنى السابق الذي يعني اقتباس اللفظ الاعجمي واستعماله في العربية بدلا من ترجمته . والامثل فيما يبدو ، في حالة نقل الكتاب الاجنبي الى العربية ، ان يسمى العمل (تعريبا) اذا عبّر الناقل عن الفكرة باسلوبه هو دون تقيّد بتعابير الاصل ، وان يسمى (ترجمة) اذا التزم باسلوب الاصل وتعابيره .

وانقلب (التعريب) قلبة اخرى يوم استعملوه في قولهم (تعريب التعليم) مثلا، بمعنى ترك اللغة الاجنبية في التعليم واحلال

العربية محلها . ولـو سمعها احـد العرب القدامى لتساءل متعجبا : هل المقصود هو التعليم باللغـة الاعجمية مع نطق الفاظها « على منهاج العرب » ؟ ذلك بأن المعنى القديم قد انقلب في اصطلاح (تعريب التعليم) تماما من (تعريب الاسم الاعجمي) اي استعماله في العربية بمنحاه الاعجمي مع تحوير نطقه بما يلائم اللسان العربـي ، الى طرد اللغـة الاجنبية واحلال العربية محلّهـا .

وبمـا ان هذا المعنى الاخير المستحدث هـو الشائع الدائر على الالسنة والاقلام اليوم ، وهـو الذي يعرفه ابنـاء الجيل الجديد ، فلستُ اجـد مناصا من الاخذ بـه في حديثي هذا ، ولا اجـد مناصا كذلك من ان استبدل بـ (التعريب) بمعناه القديم كلمـة اخرى ترفع اللبس وتزيل التناقض . ولنقل انهـا (الاقتباس) .

* * *

كثـيرون يقترحون علينا اقتباس المصطلحات الاجنبية كما هـي، بدلا من صوغ الفـاظ عربية تؤدي معناها . بعض هؤلاء من اَجِلّـة العلماء الذين لا شكّ في إخلاصهم للعربيـة وإكبارهم لشانها . ومـن حُجَجهم ان العلـم صار يتطوّر بسرعة عظيمة، والمصطلحات تتكاثـر، فكلّ يـوم يولد نحو خمسين مصطلحا في مختلف العلـوم والصنايع في مختلف اقطار العالـم . ومن حججهم ايضا ان اقتباس المصطلحـات الاعجمية يساعد الدارس العربـي على فهمها حين يقرؤها في لغـة اجنبية ، بدلا من الاضطرار الى تعلّمها من جديـد . وثالثـة هي ان العرب قد اكثروا من الاقتباس قديمـا، ولا سيما في عصر الازدهـار الحضاري على العهـد العباسي ، وعَـدَّ بعضهم هذا من امارات ذكاء العرب وحسن تدبيرهـم .

وجوابنـا على كثرة المولود يوميا مـن المصطلحات عند الفرنجة، ان معظمه لا شان لـه بنـا من العلوم التقنية الحديثة التـي لا نعرف عنها شيئا ، او لا نعرف عنهـا الا القليل، والتي سوف نتعلمها ونحتـاج

الى مصطلحاتها بعد ردح من الزمن، لمَلَّـه طويل . كما ان مصطلحات اليوم غير متّفق عليها عنـد مختلف الامم، مثل اتفاقهم على المصطلحات القديمة التي كانوا يختارون الفاظها من اللغـة الاغريقية او اللاتينية، لكيلا تختلط ـ ولا سيما اسماء المخترعات الحديثة ـ بالفاظ لغتهم اليومية من قبيـل telephon بمعنى Voice a far بالانكليزيـة اي : صوت من بعيـد ، و telegraph بـدل script afar اي : كتابة من بعيـد .

بـل ساروا الآن، لكثرة المخترعات وابتكار الادوات يوميا، يتعجّلون تسميتها ، كلّ بلغـة قومه : احيانا يصوغ اسمها الطبيـب المشتغـل بهـا، واحيانا المهندس، او حتى العامل . في معجم النفـط ـ مثلا ـ الذي عُمِلْتُ في وضع مصطلحات عربيـة للكثير من مصطلحاته الانكليزية ، يطلقون (head : راس) على اجهزة القسم الاعلى من البئـر . فهل نسمّيه على مذهب مؤيدي الاقتباس : (هِـد) ؟ انـا آثرت ترجمة المصطلح بدل اقتباسه، فاخترت لـه كلمة (الهامة) لانـي وجدتهـا اوفـى بالمـرام .

واحـدى الادوات يسميها المعجم الامريكي (عنزة) . ويبـدو ان هذه لم تكن مـن وضع عالم او مجمع لغوي ، فلعلّها من وضع احـد العمال، وَجَـدَ راس الاداة او ذيلها او شكلها العـام يشبه العنزة فـي تصوّره . فهل يجب ان نقتبس اسمها (كـوت : goat) ثم ننطقها ـ على منهاج العرب (قـوت) بالفتح ، او (جوت) بالنطـق المصري ؟ (نسيت الاسم العربـي الذي وضعته لهـا) .

واذا كانت اللغـات الافرنجية تتّفق غالبا في الاسماء المصوغـة من الاغريقية او اللاتينية، كالذي المحنـا اليه ، فان بعضها يتغاير حتـى في هذه ، كالالمانيـة التي تخالف اخواتها الاوروبيات في كثير مـن هذه المصطلحات المشتركة . فامـا المصطلحات التي يصوغها كلّ بلغـة قومه فلا يمكن بحال ان نقتبس واحدة منها من لغـة الا لنخالف الاخريات .

لهـذا الإشكال الذي يبتغي انصار الاقتباس ان يُحلّوه للعربيـة قد اخذت تعاني منه جميع لغـات الارض ! حتى الفرنجـة لم يبق لهـم محيـد عن الترجمة ، كل الى لغتـه : الفرنسيون يترجمون الـى لغتهـم المصطلحات المستحدثة في الانكليزية والالمانيـة والروسية ، والانكليز يترجمون الى لغتهـم ما استُحدِث منها في الفرنسية والالمانيـة والايطالية ، الـخ ... ولا سبيل للعربية تسلكه غير هذا السبيل ، مثلهن ، اي الترجمة ، بـل التعريب ـ وان بين الكلمتين لَفَرْقـاً نَوَّهْنـا بشيء منه آنفـا ، وسيعود الينا نموذج منه بعـد ـ

وبالاضافـة الى اختلاف اللغات في الفاظ المصطلحات نذكـر ان اللغـة الواحدة الافرنجية قد تختلف مفرداتها في داخلهـا ؛ فشركات النفـط، مثلا، لا تتشاور فيما بينها حين يستدعي الامـر وضع مصطلح جديد ، بل تضع كلّ واحدة منهـا المصطلح الذي يمنّ لهـا للالـة الواحدة ،او الحالة الواحدة، حين تصادفها في اثناء الحفر او التصفيـة او غير ذلـك .

فـاذا نحن اردنا اتباع قاعدة الاقتباس، فاية لغـة نتبع ، ولكلّ لغـة ، واحيانا لكلّ شركة معجمهـا ؟

امـا الاشادة بذكاء العرب الغابرين لانهم اقتبسـوا الالفـاظ والمصطلحات ، فمن بـاب الاغراء والتشجيع على الاقتباس الـذي قد يدلّ على اي شيء سوى الذكـاء . فالاقتباس مسيّة جميـع اللغـات ، ولا سيّما القاصرة البدائية منهـا ؛ فكلّما زادت اللغـة إملاقاً وقلّت مقدرةً علـى التعبير، كَثُر اقتباسها من اللغـات الاخرى التي تحتكّ بهـا . (وقد يكون للاقتباس اسباب اخرى غير الفاقـة اللغوية ، لا محلّ لها هنـا).

وقـد تكاثرت المقتبسات في عهـد الترجمة العباسي حقا ، لكـن سبب ذلك على الاغلب ضعف لغـة المترجمين، وضآلة بضاعتهم مـن

العربية ـ وقد كان بعضهم من غير العرب الفصحاء ، فشاعت بسببهم مصطلحات اجنبية لم يعرفوا كيف يترجمونها الى العربية ، مثل : الفلسفة ، والجغرافيا ، والاجرومية ، والارتماطيقا ، والطبوغرافيا ، وكثير غيرها ؛ فسيئما جهل المترجم معنى الكلمة الاعجمية (اغريقية او غيرها) او لم يَهْتَدِ الى الكلمة العربية المقابلة لهـا ، أَقْحَمَ الكلمة الاعجمية في ترجمته العربيـة .

لكـن العرب نقّحوا تلك الترجمات فيما بعـد،ووضعوا الكثير من الالفاظ العربية بـدل الاعجمية ، مثل : الحكمة بـدل الفلسفة ، وتقويم البلدان بـدل الجغرافيه ، والحساب بـدل الارتماطيقا ...

ولأمـر ما ثَبَتَ بعض المصطلحات الاعجمية بـدل العربية ، مثل الفلسفة ، والاسطرلاب ، والجغرافيا ، والكيمياء ، وغيرها . لكـن هذه قليلة اذا هي قيست بالمصطلحات العربيـة التي لا تحصى فـي الفلسفة والمنطق والرياضيات والفلك وغيرهـا .

ولـم تد اخذ العلماء العرب عهدئذ كـل المصطلحات الاعجمية كما هي من الاغريقية واللاتينية والهنديـة .. لضاع علينا من لغتنـا هذه العربية خير كثـير .

ولئـن كنت اعاضد (التعريب) واعارض (الاقتباس) فلسـت اجهل صعوبة التعريب ، وما زالت الفـاظ اعجمية تبحث لنفسها عـن صيغ عربية تلابسها ، لانها لم تجـد لدى المجامع ولا الجامعات حتى اليوم ما يقابلها من العربيـة ، وبعضها لن تجد لها ما يقابلها الا بعـد زمـن طويـل .

عُمِلْـتُ في مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي (التابع لجامعة الدول العربية) ـ في الربـاط ـ اثني عشر عاما ، ومارستُ تعريـب المصطلحات في بعض المعاجم ، وكتبـت دراسات عن بعضها (دون توقيع) ، فوجدت ان العقبة الكبرى في طريقي هي انـي احس بوجود

كلمة عربية تؤدي المعنى المراد بالمصطلح الاجنبي ، لكني لا اتذكرهـا .
امـا الكلمات المعجمية التي اعلم انـي لا اعرفها فما اوفرها عددا !
وما مرّت بـي مناسبة من هذا القبيل الا اشتدّ شعوري بحاجتنـا الماسّة الى معجـم للمعاني الى جانب هاتـه المعاجم الكثيرة للالفاظ .
فعندما كتبتُ (في مجلـة اللسان العربي) دراسة عن معجم (الطيران المدنـي) ، مثلا ، عَرَضْتُ لـي انواع من الغيوم والرياح والتحليق في الطيران والاسفاف فيه ، اعلـم ان اسماءها موجودة في العربية لكنـي لا اعلـم كيف اجدها . كذلك كتبتُ عن المعجـم العسكري الموحّـد دراسة وجيزة ، تمنّيت في اثنـاء تحبيرها لـو كان تحت يدي معجـم للمعاني يتناول كـل مفردات الهجوم والدفاع وتقسيم الجحافـل والكراديس ، وكل مـا يتعلق برتب القادة وغيرهم من جنود وعرفاء وما الى ذلك . ومثل هذا يقـال عن معجم النفـط ، والجغرافيـا ، والتاريخ ، والفلسفة ، وكل معجـم يضعه المعرّبون في علـم النفس ، والتربية ، والاقتصاد ... فلكل من هذه المعاجـم وغيرها من معاجـم الاختصاص ذخيرتها المكنوزة في مستودع اللغـة العربية الشديد الغنى .
لكن كيف نعثر عليهـا ؟

مـن فضلك لا تقل لي ارجع الى (مخصّص) ابـن سيدة .
انـه معجم جليل الشأن حقا ، ومؤلفه البحر عبقري حقا ـ لكنه قديم ، لم تكن اشتقات اللغـة العربية قد جُمعت عند تأليفه ، في القرن الثالث الهجري ، وخاصة في الاندلس ، ولان المؤلف ؟ فقد ظهرت معـدده ، ولا سيما في المشرق ، مفردات كثيرة لا وجود لهـا فيه . ثم ان القارىء يتوه فيه في تفاصيل لا يحتاج اليها عن كـل لفظة ، تفيد الدارس اللغوي لكنها ترهق القارىء المستعجل ، الذي همّـه ان يستعرض الالفـاظ الدائرة حول المعنى المطلوب دون دخـول في تشعّبات اشتقاقاتهـا ومختلف معانيها . يضاف الى ذلـك ان (المخصص) لا يستوعب كـل المواضيع ، فضلا عن ان تبويبـه غير عصري ، وفهرسته غير دقيقـة ولا واضحـة .

ولـو تيسر لجيلنا معجم للمعاني يجمع كل ما يتعلق بالضوء في مكان ، وكل مـا يتعلق بالاحلام في مكان آخـر ، وكل ما يتعلق بالجهاد والنضال في مكان ثالث ، وكل ما يتعلـق بالدرس والحصاد في رابـع وخامس ... لامكننا في معظم الحالات ان نجـد الكلمة العربية المطلوبة مقابل المصطلح الاعجمي ، بالدقـة احيانا ، مما سبق للعـرب ان استعملوه واودعوه معاجمهـم ؛ لكننا لا ندري كيف نعثر عليـه .

ازجـي بعض الامثلة من معجم صغير ترجُمْته عـن الانكليزيـة والفرنسية باسم « معجـم صيانة الطبيعة » (١) واجهتني فيه مصطلحات اعجمية لا نستعمل اليـوم في فصحانا مقابلاتها العربية . نذكـر منهـا falconry (fauconnerie بالفرنسية) ويشرحهـا المعجم بقوله إنهـا « استخدام طيور كاسرة للصيد » . فأيـة الكلمتين الاوروبيتين نختار اذا اردنـا الاقتباس بدل التعريب او الترجمة ؟ هـذا، ولكل لغـة اوروبية اخرى كلمتها التي تؤدي لاهلها هذا المعنـى . افليس الامثل ان نؤثر كلمتنـا العربية التي استعملها العرب قديمـا بالفعل لهذا المعنـى وهي (التَصقُّر) ؟

ثـم هناك مصطلح relict (وهو بالفرنسية : relicte) يُعرِّفه المعجم بأنـه « نوع او سلالة من نباتات او حيوانات متخلفـة من فصيلة سالفة اكبـر » . فما الداعي الى الاخذ بالمصطلح الاجنبـي وعندنا في العربية (الخالفة) وهي معجميا « الأمـة الباقية بعد الأمـة السالفـة » ؟

كذلـك dust storm (بالفرنسية tempête de pousserie) .. كثيرا ما يستعمل المعاصرون من كتّابنـا العرب مقابلها (عاصفـة ترابيـة) بينما لدينا في العربية كلمة واحدة تؤدي هذا المعنـى هـي (السافية) اي « الريح التي تحمل التـراب » .

---

(١) نشر المعجم باغنيه الاوروبيتين مع ترجمته العربية في مجلة (اللسان العربي) . المجلد (١٢ ـ ج ١ ـ ص ٢٠٦) لسنة ١٩٧٢ .

ثم mass mortality (بالفرنسية (mortalite massive .. بأية صيغة اجنبية نقتبسها ؟ بعضهم يترجمونها لفظيا بكلمتي (الموت الجماعي) . ويقول المعجم المذكور بين قوسين (في الروسية مصطلح خاص « زامور Zamor » للموت الجماعي في الاسماك بسبب عوز الاوكسجين او التسمم) . ومعنى هذا انه ليس لديهم في الانكليزية والفرنسية كلمة واحدة تؤدي هذا المعنى لهم . فما الداعي الى اقتباس المصطلح الاجنب ـ الروسي او غيره ـ او ترجمته بكلمتين وعندنا في العربية (السَوَاف) ـ زنة الطَوَاف ـ اي : « الموت يقع في الابل او الماشية » ؟

ما علينا الا ان نبحث في لغتنا فنجد حاجتنا من الالفاظ المعبّرة عما نروم بالدقة او بما يقاربها . وسنجد انها في كثير من الاحيان اغنى حتى في المصطلحات ، وادق من الاجنبية . من ذلك مثلا eulitteral (بالفرنسية Zone eulittrale) ، يعرّفها المعجم بانها « المنطقة تَغْرَق دوريًا لوقوعها بين حدود تَغَيُّر مستوى الماء »،اي تقع بين مستوى صعود المدّ او الفيضان وهبوطهما . بينما هذه الكلمة الاجنبية لا تؤدي كل هذا في لغتهم ، وانما هي تعني لغويا عندهم (الساحلي) فحسب . وما كل ارض ساحلية يصيبها الغرق دوريا على هذا النحو ، لكنهم استعملوها لانهم لم يجدوا في لغاتهم كلمة واحدة تؤدي هذا المعنى الطويل . فهنا لم (اترجم) لفظ المصطلح المغاير لمعناه اللغوي بكلمة (الساحلي) او ما يماثلها . بل (عَرَّبته)،اي وضعت مقابله الكلمة العربية التي تؤدي بالدقة هذا المعنى ، وهي (الرَقَّة) ـ زنة البَطّة ـ ومن معانيها : « الارض يغمرها الماء وينضب عنها » على تعبير المعجم ؛ وهي مستعملة في الدارجة العراقية ايضا بهذا المعنى ، وربما في دارجات اخريات كذلك .

على ان ثمة مفردات عربية كثيرة اعرفها لكني لا اتذكرها عند الحاجة اليها . واكثر مما اتذكر او لا اتذكر من المفردات التي اعرفها ، هي المفردات التي لا اعرفها . فهنا تتجلى من جديد فائدة معجم

للمعاني ، مصري ، يتمّ فيه جرد كلّ معاجمنا العربية وكتب اللغة المعتمدة ، وفرزها بحسب معانيها ، ليقدّمها لنا مصنفة مبوبة مفهرسة ؛ وما علينا عندئذ ، حين يجابهنا مصطلح اجنبي لا يحضرنا مقابله العربي ، الا ان نفتح معجمنا ذلك على الباب المطلوب . حتى اذا لم نجد المعنى المروم بذاته جاهزا ، فان مفردات المعاني المتصلة به أو القريبة منه، تساعدنا على صياغة المصطلح العربي بالصورة التي تلائمنا وتفي بحاجتنا . وفي هذا مساعفة، اية مساعفة، للمشتغلين بالتعريب ، تقفز بحركة التعريب ووضع المصطلحات قفزة كبيرة الى امام والى اعلى ، في هذه الفترة التي يجتاز فيها وطننا العربي ازمة تعريب ، ونهضة تعريب ، معا . وعندئذ يتيسر العمل حتى لغير اللغويين من المشتغلين في هذا المضمار .

هذا المعجم — حلّال المشاكل التعريبية — موجود ، لكنه غير مطبوع ، كان قد ألّفه اللغوي الذي يكاد يكون مجهولا في هذا الجيل ، وهو المرحوم سالم خليل رزق ، منذ عام ١٩٣٣ ، بعد ان عمل فيه اكثر من عشرين عاما . ثم فارق هذه الدنيا ولم تكتحل عيناه برؤية انجازته تؤدي وظيفتها في خدمة هذه اللغة التي أحبّها وهام بها ، بدليل انه بذل كل هذا الجهد الشاقّ في سبيلها ، وبدليل تسمية معجمه (لآلىء العرب) .

كمثال بسيط اذكر ان من يعمل في تعريب المصطلحات — ولا سيما من غير اللغويين المتبحرين في العربية — قد يتحيّر اذا جابهته بالانكليزية كلمات تعني الكتابة ، وقد ورد كل منها في معنى اصطلاحي خاص، مثل :

putting down, graph, scription, writing, booking, recording, ... فاذا لم يكن ممن يعرف الى جانب (الكتابة) : التسطير ، والتحبير ، والتدبيج ، والتحرير ، والتسجيل ، والتدوين ، والتقييد ... فما عليه الا ان يفتح (لآلى العرب) في الباب المختص ليجد امامه

اكثر من ثلاثين كلمة تعني الكتابة بمختلف انواعها ، وبينها الكلمات الآنفة (٢) .

* * *

لكني لا اناصر التعريب بسبب ما تقدم فقط من ثراء العربية وقدرتها على الاكتفاء بنفسها ، ولا لانها كانت الإمام والقدوة في المصطلحات العلمية إبّان ازدهارها حضارةً وثقافةً ، ولا اعتزازا قوميا ، ولكن بدافع علمي خالص ، عالميّ ، أيضا .

ذلك بأني صرت اعتقد — بعد طول تأمل في هذه العربية ومقارنة لها مع غيرها — انها هي أم اللغات الآريات ، بالاضافة الى الساميّات والحاميّات ، كما اعلنتُ مرارا ؛ بل انها أم لغات اخريات ايضا لم يتيسّر لي بعد إعداد دراسات وافية عنها . وجدت في الانكليزية مثلا ان كلمة river (نهر) يعود رسّمها (= جذرها الصوتي) الى قول العربي الاقدم (هو ووو) محاكاة لصوت هبوب الريح ، وان two (اثنين) تعود الى قوله (طو) محاكيا صوت انكسار الغصن ، وان logic (منطق) ترجع الى قول الطفل العربي (لغ لغ لغ) ، وان (sonata) نوع من المعزوفات) ترجع الى قول الفروج العربي (صو صو صو) (٣) ... ولا يقتصر هذا على الانكليزية طبعا،فهو ينطبق على الآريات بوجه عام وبعض لغات اخريات كالذي مرّ التنويه به .

معنى هذا ان اللغويين الاوروبيين لا بدّ لهم من درس العربية باصولها وفروعها ليتعرفوا على المنشأ الذي انبثقت منه مفردات لغاتهم ؛ لانها — اي العربية — ما زالت بقية تحتفظ وحدها بين

---

(٢) من حسن الحظ ان وزارة الثقافة والاعلام العراقية قد اخذت على عاتقها ، برعاية السيد رئيس الجمهورية ، نشر هذا المعجم .

(٣) فصّلنا ذلك وامثاله في كتابنا « مغامرات لغوية » .

اللغـــات الراقية بالكثير من الجذور اللغويـــة الاولى التي ضاعت من جميع بناتها الساميّات والحاميّات والآريّـــات .

والمصطلحـــات الأجنبية الوفيرة التي اخذت تنهمر علينـــا ـــ اذا اقتبسناها بدلا من تعريبهـــا ـــ افسدت نقـــاء هذه العربية ، وعكّرت صفو معاجمها ، خَلْطًا بين دخيل واثيـــل .

الاقتبـــاس اسرع طريقة فعلا واسهلها لتوسيع اللغـــة ، لكـــنْ لتضييع اصالتها ايضـــا ؟ فالانكليزية اليوم اغنى لغـــات الارض،لانها دأبت على اختطاف كـــل مصطلح او لفـــظ اجنبي يعرض لهـــا ، دون ان تحاول اشتقاق صيغة لهـــا من مفرداتها ، حتى غدت اوفـــر اللغات ثروة،واوفاها بحاجـــة الانسان والباحث المعاصر . لكنها ـــ كلغـــة ـــ من افقـــر اللغات ايضا اذا بحثنا فيها عن المفردات الانكليزية الاثيلـــة . وليس ثمة لغـــة انكليزية في الحقيقة ، لانها كلها خليط من اللغـــة المحلية (الوازية) والسكسونية (الجرمانية) والفرنسية والاسكتلندية ولغـــات اوروبيات اخريات . ثـــم جاء عهد الاقتباس ـــ الاستعماري ـــ مـــن كل لغـــات الناس .

* * *

المصطلحـــات التي اجدني مترددا بين تعريبها واقتباسها هي التي يرجع لفظها الآري الى رس عربـــي . اذكر من امثالها ما يأتـــي :

تلفزيـــون :

وهـــي اهـــم الكلمات الاعجمية ، العربية الاثل ، التي تواجهنـــا الآن ، لشيوعها في كـــل اقطار الوطن العربي . وكنت اقترحت لفظـــة (المِشْواف) تعريبا وترجمةً لاسم هذا الجهـــاز (television) المركب من vision (رؤيـــة) و tele (من بعيد) . امـــا (المشواف) فمن التشوّف الى الشيء،اي التطلع اليـــه ؛ و (الشَّوّاف) من الناس : الحديد البصر ، والشّيفة (زنّـــة السيدة) والشينان (زنـــة

السيّدان) : طليعة القوم الذي (يشتاف) لهم ، اي يستطلع حركات العدو . فمعنى (المِشْواف) مطابق لمعنى (التلفزيون) اي الرؤية من بعيد ، او بالاحرى اداة الرؤية من بعيد ، وهي ادق واصوب ، وقد استحسن اللفظة غير قليلين ، واستعملوها في احاديثهم ، لكنهم غير كثيرين ايضا .

غير ان صيغة (التلفزيون) هي الجارية على الالسن في كل مكان ، وبعضهم صار يشتقّ منها ، فاطلقوا (التلفاز) على الجهاز ، و (التلفزة) على فن البث منه ، و (تُلُفِّزت) المسرحية : اعدتها للاذاعة بالتلفاز ، فهي (متلفَّزة) .

ويرجع مصطلح التلفزيون (television) ، فيما يخيّل لي ، الى اثل عربي قديم . اما tele فلعلها من قول العربي تلى فلانٌ : تخلف .. وتلى فلانًا : سبَقَه وتَقَدَّمه .. وتلا بعد موته : تأخر وبقي .. واتلاه : سبقه او اخّره . واصل المعنى تلاه : تبعه . وهذا يتسم عن قابلية الكلمة للتطور والانحراف عن معانيها ، شان الكثير من الالفاظ العربية . ثم ان كثرة ما نجده من الالفاظ العربية متسربة من اللغات الاعجمية ، تدعونا الى البحث في العربية عن اصول الالفاظ الاوربية التي لا يعرفون لها اثلا في اللغات الاخريات . لهذا لا نستبعد ان تكون (tele) هذه التي تعني البعد ، منحدرة من فعل (تلى) بمعنى التخلّف والتأخر عن القوم ، لشدة اتصاله بمعنى البعد منهم . والمسافة بين هذين المعنيين اقرب مما بين المعنى الاصلي (الاتساع) والمعاني المتفرعة منه ولا سيما (السبق) — المناقض للاتباع — في العربية نفسها .

واما (vision) بمعنى الرؤية فاصلها من اللاتينية . وهي من (viso) اي وجه ، بالايطالية . ومرادفها (face) ينطق (فاجِه) بالجيم المثلثة . وهذه صلتها بصيغة (وجه) العربية اوضح من ان تطلب ايضاحا . ومن viso او نحوها صيغت (visit)

بمعنى الزيارة . والصلة بين الزيارة والوجه نجدها في العربية ايضا ، حيث اشتقوا من الوجه (المواجهة) بمعنى الملاقاة والزيارة عند المحدثين . اما المعجم فيقول ان (المواجهة) تعني اللقاء وجها لوجه . و وجّه (بالتشديد) الى فلان : ذهب اليه (وهذا يعني زاره بطبيعة الحال) .

فعلى هذا يكون (التلفزيون) بشقيه (tele vision) من العربية اشلا . وسؤالي هو : هل نقتبس هذه الكلمة كرامة لنسبها العربي العريق ، أم نعرّبها .. بالمشواف او غيره ؟

سوناتا :

لها معناها الموسيقي العالمي المعروف . ويرجع رسّها (جذرها الصوتي) الى حكاية صوت الفرّوج (صو صو صو) الذي منه قال العرب صاى الفرخ : اي صات . ومنه اشتقوا : صاء ، ثم صاح ، ثم صات وصوّت .. ومن (الصوت) تظهر في الانكليزية shout sound . ومن قبل ظهرت في اللاتينية بصورة sonitum sono . ومن هذه الاخيرة صيغت سوناتا sonata

جيولوجيا :

هي بالانكليزية geology ، مركبة من الكلمتين الاغريقيتين : (gé) (ارض) و logia (كلام) التي الحقوها ببعض الاسماء بمعنى (العلم) ؛ فيكون من مصطلحنا هذا : (علم الارض) ، وقد عرّبوه بـ (علم طبقات الارض) . وكنت شخصيا اطلقت على هذا العلم اسم (الأرضانيّات) قياسا على (الأحيائيّات) بمعنى علم الاحياء . والنسبة الى الارضانيات (ارضاني) فنقول المسح الارضاني والعهود الارضانية بمعنى المسح الجيولوجي والعهود الجيولوجية .

ان كلمة (logy) المنحدرة من الاغريقية لوغيا : (logia اي الكلام ، ترجع باصلها العربي الى (لغة) .

وامـــا gé فتعني بالاغريقية الارض ، كمـــا تقدم . وتقول المعاجم التاثيلية ان الاسم الاقدم للأرض في الاغريقية هو (gaia) .. وهنا نتذكر في العربية (الكاع) اي الارض ايضـــا ، بالنطق المدوي والعراقي ، والدارج في اقطار المعربـــة (الجزيرة العربية) بوجه عـــام . و (الكاع) فصيحها (القاع) وهو ممجمبًـــا : الارض السهلة المستويـــة ، على حين ان صيغة (الكاع) في الدارجات العربيـــة يعني كما في الاغريقية الارض اطلاقا دون تحديد ، وهـــو المعنى العربي الاقدم فيما نعتقد . وربما كانت صيغة (قيعة) اقرب الـــى الاغريقية (gé) ، وقـــد وردت في الآيـــة « كسراب بقيْعة يحسبه الظمآن مـــاء » اي كسراب بارض . لهذا لا اجدني اتفق مع المعاجم التي تعتبر (القيعة) صيغـــة جمع فقط للقاع ، بينمـــا وردت في هذه الآيـــة بمعنى الارض الفردة ؛ وليس من المعقول ان يكون معنى الآيـــة : « كسراب (باراض) يحسبه الظمـــآن مـــاء » .

ثـــم هناك (القاعة) وهي مجمعيا : ساحة الدار ، لكنها كانـــت تعني الارض بعامة ايضا،فيمـــا ارى ؛ اي ان صيغة (القاعة) المؤنثة ترادف (القاع) المذكـــر ، مثل مرادفة المـــاءة للمـــاء،او النعمة للنعم والليلـــة لليـــل .

لهـــذا يغلب على الظن ان (gé) اثلهـــا (قيمة) و (gaia) اثلهـــا (قاعة) ـــ بمعنى واحد . اي ان الكلمة العربية دخلت الاغريقية بصيغتيهـــا .

وامـــا نطق القاف كافا مخففا فعادة عربية قديمة ؛ وقـــد جـــاء الاسلام وقريش وحدها تنطق القاف قافا قرآنيـــا،كما لا تزال تنطقـــه بعض الدارجات متخلفا من القبائـــل القرشية ومن تأثرها . امـــا سائر القبائل العربية فكانت ومـــا زالت تنطقه كافا خفيفا . (وبعض الدارجات تنطقه جيما او همـــزة) ..

فعلى هذا وذاك تكون الجيولوجيا : geology (المؤلفة اثلا من (كيه : gé) و (لوغيا : logia) كلمة اعربية (= عربية قدمى) اثيلة بمادتها، اعجمية بصيغتها . وهي كلمة اخرى اجنبي مترددا بين اقتباسها بثوبها هذا الاوروبي وتعريبها بصيغة الارضانيات، التي كنت اقترحتها واستعملها بعض اللغويين .

تلفون :

هذه الكلمة الاجنبية قاومت مدة طويلة بعد انقراض زميلاتها الاخريات، مثل (تلغراف : telegraph) الذي صار يدعى (برقية) و (غرامافون : gramaphon) الذي عُرِّبَ بصيغة : حاك .

بالرغم من أن بعض الاقطار العربية عرّبت (التلفون) باسم (الهاتف) بقيت اقطار اخرى محتفظة باسمه هذا الفرنجي، واشتقت منه (تَلْفَنَ يُتَلْفِن) ؛ على حين أن (الهاتف) بالرغم من عروبته لا يصاغ منه (هتفت لفلان) بمعنى تلفنت . كما أن تسميته العربية هذه تعوزها الدقة اللغوية ، فمن حقه ان يدعى (مهتوفا به) ، اما (الهاتف) فالانسان المتكلم بالجهاز لا الجهاز نفسه . وكان الصواب ان تؤخذ له احدى صيغ اسم الآلة : مِهتاف ، مِهْتَف ، مِهْتَفة ، هاتوف ! . .

لكن صيغة (الهاتف) هذه المغلوطة معنى ومبنى ، طفقت تطارد (التلفون) من قطر الى قطر ، الى ان تبنّاها الاكثرون، حتى في العراق الذي بقي حينا من الدهر متمسكا باللفظة الاجنبية . واحسب ان هذا سيكون مصيره في بقية ارجاء الوطن العربي .

و (التلفون : telephon) مركب، كما هو معلوم، من (tele) التي سبق انا تاثيلها و (phon) : صوت ، التي يقابلها في اللغة الاعرابية (= العربي الاقدم) هو (الفوه) أي الفم الذي تنطقه الدرجة الغربية بالضم (فم) وبعضهم يمدّه على عادة

المغاربة في مـــد بعض الحركات : (فوم) .. وهي ظاهرة نطقية متخلّفة من عـــادة اعربية لبعض القبائل القُدْمى . وقد استعملت العربه (الفوه) بمعنى الكلام في قولهم،فـــاه يفوه فَوْهًا ، اي نطق .. وتفاوَهُ القـــوم : تكلّموا . وليس بمستبعد أن تكون (فون : phon) تحريفا يسيرا من (الفوه) بالضم : فـــم ، او (الفَوه) بالفتح : مصدر لفعل "فـــاه يفوه"، اي ينطق .

تكنولوجيـــا :

technology .. امـــا (لوجي logy) فقد تعمدتنا عنها ، وامـــا (تكنـــو : techno) فأصلها الاغريقي (تخنـــه : techné) اي الفـــن . واصلها العربي هو (التِّقْن) زنة الفِكْر ، اي الطبع،في مثل قولهم:« الفصاحة مِنْ تِقْنِـــه»،اي من طبعه »،فهي على هذا تعني الملكة والفطرة ــ اي الموهبة او ما اليها . وهي من (الاتقان) : الإحكام . والرجل (التِّقِن) زنـــة الشَّرِس ، هو « المتقن الأشياء،الحاذق فـــي العمـــل » .

اذن فـــ (التكنولوجيا) ايضا عربية اصـــلا . ولكن [illegible] بها فـــلا ينبغي ان نفرّط بصيغة (التِّقْنِيّات) و (التِّقْن) وانفسنا نقتصر في استعمال (التكنولوجيا) على المُواطـــن التي لا تفي (التقنيات) بالتعبير الدقيق عنها ، فيمـــا اذا جابهتنا مثل هذه المواطـــن .

بنزيـــن :

هـــذه الكلمة الاعجمية ترجع كذلك الى اصـــل عربي ، لكنها غير خالصة النسب في العروبة ولا هي قديمة ، ولا سلف لها في العالمين بمعناها الاصلي . فهي من مولّدات العهـــد الاسلامي اولا،ومنحوتة من كلمة عربية واخرى اعجمية،ثانيا . وذلك الاصل هو (بـــار جاوه) وهو نوع من الصمغ العطر كان يجلبه التجار العـــرب من [illegible] ولا علاقة لـــه بالبنزين المستعمل وقودا للسيارات وغيرها [illegible]

الفرنسيين سموه (بنجوان : benjoin) بعد حذف لام (لبان) ظنًّا منهم، فيما يظهر، انه لام التعريف (في لغتهم) . وعنهم اخذه الانكليز بنفس الكتابة (benjoin) لكنهم نطقوه على طريقتهم (بنجوين) ، ثم جعلوه (بنزوين : benzoin) . ثم تطور معناه ايضا حتى صار (بنزين : benzin) .

جغرافيا :

اما هذه فلا مجال الآن لمناقشة الاحتفاظ بصورتها الاغريقية هذه او تعريبها بلفظ عربي مبين ، لانها شاعت وفرضت نفسها بالرغم من ان العرب سبق ان عرّبوها باسم (تقويم البلدان) ثم اختصروها الى بلدانيات .

وهي من الاغريقية (gé : ارض + graph : كتابة) اي علم الكتابة عن الارض .

اما (كيه : gé) فقد اتلناها عند كلامنا عن (الجيولوجيا) ؛ واما (كراف : graph) بمعنى الكتابة فيخيل لنا انها من العربية ايضا .

ذلك بان العرب قالت خربش شيئا : خَلَّطه (بالتشديد)، وهي من قولهم خربش الكتاب (اي المكتوب) : افسده . وهذا المعنى مستحدث في الكلمة، سبقه معنى التقريب في الكتابة بين الكلمات والسطور، الذي عدوه إفسادا بالقياس الى المباعدة بينها تَطَلُّبًا للوضوح والرفاهة . وهذا المعنى المصاغ من الكلمة نجده في قولهم: قَرْمَدَ كتابا : كتبه دقيقا وقارب بين سطوره ، ؛ وبنفس المعنى قالوا: قَرْمَط الكتاب . ومن هذه الفصيلة قولهم، خَرْفَصَ في المشي : قارب خطاه ، وفي الكلام : قاربه . واصل المعنى في كل هذا هو الافساد ، في لفظ (خربش) المشتق من (خَرَّب) . وعند انتقال المعنى الى الكتابة صار يعني التقريب بين الكلمات والسطور، باعتبار ذلك نوعا من الافساد . وليس ببعيد ان

فكسون graph الافريقية بمعنى الكتابة تعريبا تطوريا لكلمة (خرمش) أو (خرّب)، بمعنى الكتابة المتقاربة اولا، ثم الكتابة مطلقا . وقد رأينا أن التحريف كان أكبر في كلتا الكلمتين لفظا ومعنى في داخل العربية الأم .

فاصطلاح (الجغرافيا) هذا الذائع على الالسنة ، الراسخ في المدونات العربية ، لم يعد في الامكان تعريبه، اي استبدال لفظة عربية به ، حتى لو قرّرنا طرد امثاله من المصطلحات الاجنبية التي يرجع نسبها البعيد الى العربية .

فونوغراف :

وقد وردت بصيغتي (phonograph) و(gramophon) ، وكلتاهما تتألف من مادتي phon (صوت) و (graph) (كتابة) اللتين تتقدم قائيلهما — بمعنى تسجيل الصوت . أما هذا المصطلح فقد انتزع مذ شاع بدله (الحاكي) ، ولم نعد نقرأ لاحد تعبير (الفونوغراف) أو (الغرامافون)، كما انتزع (التلغراف : telegraph) الذي حلّت محلّه (البرقية) . ولم يعد بالامكان احياؤه حتى لو اردنا ؛ اي انه اصبح (معرّبا) بالمعنى الحديث للتعريب ، وشأنه عكس شأن (الجغرافيا) مثلا — المعرّبة بالمعنى القديم .

على أن الانكليزية ايضا اهملت المصطلح بصيغتيه، وصارت تدعو الحاكي الحديث باسم (بيك اب : pick-up) الذي شاع في الدارجات العربية ولغات اخرى .

متر :

مَتَرْتُ الحبل : مددته . ومعلوم انهم كانوا يقيسون مساحات الاراضي بالحبل ، ومن هنا نشأ (المتر : meter) وفعل (measure) اي يقيس طولا او ثقلا او حجما او اي شيء — في الفرنسية والانكليزية من طريق اللاتينية .

و (المتر) ايضا اصبحت عربية ، بل عالمية ، ولم يعد بالامكان الاستبدال بها ، لو اردنا .

* * *

لا حاجة بي — بعد الذي تقدّم — الى اعادة القول إني من انصار التعريب ، ضد اقتباس الالفاظ الاعجمية المحض . لكن تساؤلي هو كما قلت : ما هو موقفي من هذه الاسماء الاجنبية التي يكشف لنا التاثيل عن محتدٍ لها في العربية عريق ؟ هل نرفضها ؟

ام نقبلها ، لا اقول مباهاة بها بين الأمم ، لكن اعزازا لها ، وتكرمة لنسبها العربي ، وتدليلا علميًّا على امومة العربية لكثير من اللغات ؟

فهذا الامر الذي لا ازال اراني مترددا فيه .

عبد الحق فاضل

من مزالق الترجمة بين العربية والفارسية

للدكتور يوسف حسين بكار

(جامعة اليرموك ، الأردن)

— ١ —

الترجمة بين العربية والفارسية قديمة جدا ، اذ كانت البهلوية (الفارسية الوسطى) ، ثم الفارسية الاسلامية (الدرية الحديثة) من اكبر منابع الترجمة ومصادرها الى العربية . وقد اثبت ابن النديم — فيما اثبت من فهارس — « فهرسا » ، بأسماء المترجمين من الفارسية الى العربية ، من مثل ، ابن المقفع ، والحسن بن سهل ، وآل نوبخت (١) ونشط الدكتور محمد محمدي ، في الستينات ، ايام كان مستشار ثقافيا لايران ببيروت ورئيسا لقسم اللغة الفارسية وآدابها بجامعتها اللبنانية ، في جمع « ما نُقِل من الآثار الادبية الفارسية الى اللغة العربية في القرون الاسلامية الاولى ، وخاصة في اوائل العصر العباسي ، مما امتزج بالادب العربي حتى اصبح جزءا منه » (٢) ، واصدر الجزء الاول من « الترجمة والنقل عن الفارسية — في القرون الاسلامية الاولى » الذي افرده لكتب « التاج » و « الآيين » (٣) بعد أن جمع

---

(١) الفهرست ، ص ٣٠٥ . تحقيق محمد رضا تجدد ، طهران ١٩٧١ .

(٢) محمد محمدي : الترجمة والنقل من الفارسية ١ : ٢ ، منشورات الجامعة اللبنانية ببيروت ١٩٦٤ .

(٣) هكذا تتناقلها المصادر العربية ، وقد كانت تعرف باسم « آيين نامه » في الادب الفارسي الساساني . و « آيين » لفظة فارسية بهلوية معناها القاعدة ، او الطريقة ، او القانون ؛ قال المسعودي في « التنبيه والاشراف » : « ويسمى آيين نامه كتاب الرسوم » . واستعملها العرب في كتاباتهم شكلها الفارسي .

(محمد محمدي : المرجع السابق ، ص ٢٣٠ وما بعدها) .

ما تناثر منها في المصـــادر العربية الاسلامية بشتى انواعهـــا .

واخـــذت حركة النقل والترجمة تقوى في الاعصر الاسلامية التالية ، ولم تعـــد محصورة في ترجمة الآثار الفارسية وحدها الى العربيـــــة ، انما امتدت جهود المترجمين الى ترجمـــة بعض الآثار العربية الـــى الفارسية ، مـــن مثل : « تفسير الطبري » و « تقويـــم الصحـــة » ، و« الشاهنامة » و « تاريخ بخـــارى » .

واما في الاعصر الحديثة ، فاتسعت حركة الترجمة بين اللغتين اتساعا كبيرا ؛ اذ ترجـــم العرب عددا من امهات كتب تراث فارس ، من مثل : « بوستان » سعدي الشيرازي و « كلستانة » ، و « ديـــوان حافـــظ الشيرازي » و « رباعياته » ، و « مثنـــوي » مولانا جلال الدين الرومي ، و « شـــاهنامة » الفردوسي ، و « جامع الحكمتين » و « سفرنامة » لناصر خسرو ، و « رباعيات الخيام » (لهـــا اكثر من عشرين ترجمة عربيـــة بالفصحى والعامية) ، و « قابوس نامـــة » (كتاب النصيحة) ، و « سياست نامـــة » (كتاب السياسة) ، و « عطار نامـــة » ، و « سندباد نامـــة » ، و « بختيار نامة » ، و « تاريخ البيهقـــي » ، و « جامـــع التواريـــخ » .

وترجمـــوا عددا لا يستهان بـــه من مؤلفات الايرانيين المعاصرين وآثارهم . وممن تُرجم لهـــم مثلا : الدكتور زادة شفق ، علـــي دشتي ، صادق هوايت ، حسين قدس نخعي ، رشيد ياسمي ، ابـــو القاسم حالت ، ايرج ميرزا ، بروين اعتصامي ، والدكتور غلامحسين يوسفي (٤) .

---

(٤) لمعرفة مزيد من ترجمات العرب المختلفة من الفارسية ، راجع :

١ — يوسف بكار : جهود عربية معاصرة في خدمة الادب الفارسي ، مجموعة سخنرانيهاي دومين كنكره تحقيقات ايراني ، جلـــد دوم ، مشهد ١٣٥٢ شمسي (١٩٧٣ م) ، ص ٤٢٧ — ٤٦٨ ، وترجمته الفارسية : ادبيات فارسي در كشورهاي عربي ، للدكتور جعفر شعار .

سخن ، دوره ٢٣ ، شمارهاي ٦ و ٧ و ٨ ، سال ١٣٥٢ شمسي .

اما الايرانيون فترجموا عددا من مصادر تراثنا العربي ، وعددا آخر من آثارنا المعاصرة ؛ وهو — على اية حال — اكثر مما ترجمنا لهم من اعمال معاصرة . ومن كتب تراثنا التي تُرجمت الى الفارسية في العصر الحاضر : تاريخ الطبري ، مروج الذهب ، تاريخ اليعقوبي ، الاخبار الطوال ، سني ملوك الارض والانبياء ، تقويم البلدان ، مقدمة ابن خلدون ، رحلة ابن بطوطة ، ورحلة ابن فضلان .

ومن المعاصرين العرب الذين تُرجم لهم شيء او اشياء من آثارهم واعمالهم الى الفارسية (٥) : قاسم امين ، عبد الوهاب عزام ، جرجي زيدان ، طه حسين ، احمد امين ، زكي محمد حسن ، مصطفى الشاطىء ، محمد ابو زهرة ، محمد عبد الغني حسن ، جورج جرداق ، سيد قطب ، محمد مندور ، نزار قباني ، عبد الوهاب البياتي ، محمد الفيتوري ، غسان كنفاني ، ندوى ملوقان ، محمود درويش ، سميح القاسم ، وتوفيق زياد .

=

٢ — يوسف بكار : الفارسية وآدابها في البلاد العربية ، نشريه دانشكده ادبيات ومعارف اسلامي دانشگاه مشهد ، شمارهٔ ١٢ ، پائيز ١٣٥٢ شمسي (١٩٧٤ م) ، وترجمته الفارسية : زبان وادبيات فارسى در كشورهاى عربى ، للانسة ملهمة شريفي .

سخن ، دوره ٢٦ ، شمارهاى ٩ و ١٠ ، سال ١٣٥٧ شمسي (١٩٧٨ م) .

٣ — الدكتور طلعت ابو فرحة : اضواء على الدراسات الفارسية في مصر ، في كتاب : جوانب من الصلات الثقافية بين مصر وايران (ص ١٩٦ — ٢٢٦) ، القاهرة ١٩٧٥ .

٤ — نصر الله مبشر الطرازي : الكتاب الايراني في مصر ، في الكتاب السابق اعلاه (ص ١٤٥ — ١٨٤) .

(٥) راجع ايضا : مرتضى آيت الله الشيرازي ، جولة حول الروابط المعنوية بين ايران ومصر والكتاب المصري في ايران ، في كتاب : جوانب من الصلات الثقافية بين مصر وايران (ص ١٨٥ — ١٩٧) .

— ٢ —

ليس عبثـــا ان يُعنَى العلماء والباحثون ، من هوراس * الى زماننا هذا ، بالترجمة ، وان ينشطوا في التقنين لهـــا ، وتقعيد قواعدها ، وتبيين اهميتها ودواعيها ، ووضـــع الشروط لمـــن يتصدون لها على انها « فـــن » كغيرها من الفنون . غير انـــه بات معروفا ايضا ، ان الترجمة لم تعـــد تنحصر ، فقط ، في دائرة « الفـــن » الدقيق الذي لا يستطيعه الا اولـــو المقدرة والبراعة عن طريق الممارسة ، انما جاوزتها ، كسائر العلوم اللغويـــة ، الى دائرة « العلوم الوصفية » لوضـــوح الجانب « الوصفي » فيها .ومن هنـــا انبثقت الدعوة وجـــاء التخطيط الى « علـــم للترجمة » ، من غير انكار لمـــا فيها من عناصر فنيـــة ، على يـــد يوجين . ا. نيدا Eugene A. Nida في كتابه « نحـــو « علـــم للترجمة » * . وبهذا اضحت الترجمة ، كالنقد تماما ، تجمـــع بـــين « الفنيـــة » و « العلميـــة » .

ان حركـــة الترجمة الحديثة النشطة من العربيـــة الى الفارسية وبالعكس ليست بدعـــا بين مثيلاتها من اللغات الاخرى واليهـــا ؛ فهي تخضع لكل مقومات الترجمة وشروطهـــا ، كما ان زُمَـــر المترجمين المنتمين لها عرضة لما يتعرض لـــه غيرهم من المترجمين من صعوبـــات ومشـــاق ومزالق . وقد تكون مزالـــق الترجمة ومشكلاتها بين العربيـــة والفارسية اكثر من غيرها ، لمـــا بين اللغتين من تداخل وتشابك وتشـــابه وقرض ، وان لـــم تجمعهما اسرة لغويـــة واحدة،فيما هو معروف .

ولقـــد قُيّض لي ، من خلال اقامتي في مدينة مشهـــد الايرانيـــة (١٩٧٠ — ١٩٧٨) لتدريس العربية وآدابهـــا في جامعتها ، ان اتعلـــم الفارسية ، ثـــم ازاول تدريس الترجمة،واجرب حظي فيها عمليـــا من الفارسية الى العربيـــة،بترجمة « سياست نامـــة »،لنظام الملـــك

(*) Horace.

(*) Towards A Science of Translating.

وقد ترجمه ماجد النجار الى العربية ، ونشرته وزارة الاعلام العراقية . بغداد ١٩٧٦ .

الطوسي ، وبعض الابحاث والمقالات الاخرى * ومن العربية الى الفارسية (مع صديقي الاستاذ الدكتور غلامحسين يوسفي) بترجمة « قِصّتي مع الشعر » ** لنزار قباني، و « مختارات من الشعر العربي الحديث* ** كما قيض لي ان أطلع على كثير من ترجمات الايرانيين عن العربية ، وترجمات العرب عن الفارسية . كل هذا ، يَسّر لي ان اكتشف ، من كثب ، بعض المشكلات والمزالق التي قد تعترض المترجمين من العرب والايرانيين ، والتي لم يسلم كثيرون منهم من تيارها .

— ٣ —

لعل من اهم ما يركّز عليه في الترجمة عامة ، المعرفة التامة او الجيدة ، على الاقل ، باللغة المنقول منها والمنقول اليها سواء بسواء . فقديما اوجب « جاحظنا » على الترجمان « ان يكون بيانه في نفس الترجمة في وزن علمه في نفس المعرفة ، وينبغي ان يكون اعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول اليها حتى يكون فيهما سواء وغاية » (٦) . ويزيد وديع فلسطين الامر وضوحا بقوله « ولا بد لفهم المتن المراد نقله من اجادة اللغة التي كتب بها ، ومعرفة دقائقها وقواعدها وآدابها وشواذّها وشواردها . ولا بد قبل النقل من اجادة اللغة التي يُنقَل اليها النصّ » (٧) .

---

* — من مثل : « العالم المنشود في بستان سعدي الشيرازي » و « سمات الادب الفارسي المعاصر » للدكتور غلامحسين يوسفي ، و « الخيام الشاعر » لعلي دشتي .

** — منشورات طوس ، طهران ١٩٧٧ .

*** — الكتاب معد للطبع .

(٦) الحيوان ١ : ٣٨ ، المطبعة الحميدية ، القاهرة ١٣٢٣ هـ .

(٧) فن الترجمة في الادب العربي ، ص ٢٧ نقلا عن : مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، يناير ١٩٦٢ .

وقد اكّد « اتين دوليه Etienne Dolet » (١٥٠٩ — ١٥٤٦) ، الذي يُعَدّ واضع اول نظرية للترجمة ، هذا الشرط اللازم في بحث له عن مبادىء الترجمة ، وجعله واحدا من مبادىء خمسة اساسية للترجمة ، فقال:« لا بد ان يكون المترجِم على معرفة رفيعة تامة باللغة التي يترجم منها ؛ وان يمتلك بنفس الشكل معرفة رفيعة باللغة التي يترجم اليها » (٨) .

هذا الشرط من ابرز المزالق التي تواجه المترجمين من عرب وفرس معا ، فضلا عن عدم تمكّن اغلبهم من اللغة التي ينقل منها خاصة ؛ فان جمهرة من الالفاظ العربية التي دخلت الفارسية واستوطنتها واتخذت فيها معاني مغايرة لمعانيها الاولى ، او اشتهرت بمعانيها الرائجة المشهورة ، قد اضحت لبعض المترجمين الايرانيين حقائق مسلّمة ، صَرَفَتْهم حتى عن استشارة « معجمات » اللغة ، مع انها من واجبات المترجم في احسن الاحوال . يقول يوجين نيدا : « يتمثل اول واوضح مستلزم يحتاجه اي مترجم بامتلاكه لمعرفة كافية بلغة المصدر ؛ فلا يكفي ان يكون المترجم قادرا على فهم (المغزى العام) للمعنى ، او ان يكون ماهرا في استشارة القواميس (فمن المفروض انه سيفعل ذلك حتى في احسن الاحوال) ... ان ما هو اهم من ذلك معرفة المترجم بموارد لغة المصدر ، وسيطرته الكاملة على لغة المتلقي ... ، التضلّع الشامل بلغة المتلقي ليس له بديل . ان اغلب الاخطاء المتعددة والخطيرة التي يقع فيها المترجمون ، تنشأ في المقام الاول من افتقارهم الى المعرفة الشاملة بلغة المتلقّي » (٩) .

وكذا الامر بالنسبة للمترجم العربي الذي يجابُه بسيل من الفاظ العربية التي اتخذت في الفارسية معاني غير معانيها في لغتها

---

(٨) يوجين نيدا : نحو علم للترجمة ، ص ٤٥ ، ثم انظر ايضا : ٢٨٥ — ٢٦٥ .

(٩) نحو علم للترجمة ، ص ٢٦٢ — ٢٦٤ .

الأم . وليس مبالغة ان يقال إن النصب والمعاناة المتأتيين عنها اكثر مما يتأتى من جانب مفردات الفارسية نفسها .

ان ما اشار اليه هؤلاء الثلاثة يُصْدَق على ما نجده عند بعض المترجمين الفرس والعرب من اخطاء واوهام . وهذه بعض النماذج :

١ — كان المرحوم محمد رضا تجدد آخر من حقّق « الفهرست » لابن النديم (طهران ١٩٧١) ، وهو الذي ترجمه الى الفارسية أيضا ؛ وطُبعت الترجمة مرتين الى الآن ، وهي لا تخلو من هنات مثلما لا يخلو الاصل العربي من اخطاء كثيرة » (١٠) . فلقد اعتاد ابن النديم أن يصف الكتاب الذي كان يراه بنفسه بأنه « **كبير** » او « **لطيف** » اي « صغير » وفقا لحجمه . يقول في الكلام على ابن سعدان « ... وله من الكتب : كتاب الخيل ؛ رايته . **لطيف** » (ص ٨٧) ، ويقول في اخبار محمد بن داود الجراح : « وله من الكتب ... كتاب (الشعر والشعراء) . **لطيف** » (ص ١٤٢) ، ويقول في اخبار جعفر ابن حمدان الموصلي : « فاما كتبه الادبية ، فهي : ... كتاب محاسن اشعار المحدثين، **لطيف** » (ص ١٦٦) ، ويقول في الحديث عن يحيى بن ابي منصور الموصلي : « وله من الكتب : ... كتاب الطبيخ ، **لطيف** » (ص ١٦٦) .

لكن ، ما الذي فعله المرحوم تجدّد حين ترجم الكتاب الى الفارسية ؟ ! لقد ترجم لفظة « **لطيف** » في كل المواردالسابقة،بمعناها المعروف في الفارسية : « خوب » او « نازك » * ، والاكثر شيوعا في العربية : جميل ، انيق ، جيد . فكانت ترجمة المثال الاول : « ازكتابهاي

« ١٠ » راجع في نقد الكتاب : يوسف بكار ، نظرات في فهرست ابن النديم ، مجلة كلية الالهيات والمعارف الاسلامية — جامعة مشهد ، العدد الخامس ، شتاء ١٣٥١ شمسي (١٩٧٣ م) .

(*) توجد هذه اللفظة في عدد من اللهجات العربية المحلية بالمعنى نفسه . ومن الطريف ان المحقق فسرها بالعربية بقوله « ونزك كلمة فارسية بمعنى الناعم » (ص ٢٨٤ ، الحاشية ٩) .

اوست : كتاب الخيل كـــه **بسيار خوب است** » (١١) ، وترجمة الثانـــي « وايـــن كتابها ازاوست : ... **كتاب** (الشعـــر والشعـــراء) . **نازك** اســـت » (١٢) ، وترجمة الثالث « **وكتابهاي ادبـــي** او بدينقرار است : ... كتاب محاسن اشعـــار المحدثين . **نازكست** » (١٣) ، وترجمة الاخير « وايـــن كتابها ازاوست : ... ، كتاب الطبيخ . **نازك است** » (١٤) .

فلـــو استشار المحقق ـــ المترجم المعجمات العربية واستنجد بهـــا ، على الاقل ـــ لوجـــد ان لفظة « صغير » من معاني كلمة « لطيف » (١٥) ، وهو ما كان يعنيه ابـــن النديم مقابل لفظة « كبـــير » ، كقوله في الكلام على ابن عبد الحميد الكاتب : « ولـــه من الكتب : كتاب اخبـــار خلفاء بني العباس . **كبـــير** » (ص ١٢٠) ، وترجم اللفظة في مواطنهـــا السابقة وغيرها بلفظة « كوچـــك » الفارسية ، ليس غير .

واريـــد ان لفظة « ملطّفة » التـــي تلقانا بكثرة في المصـــادر الفارسية التاريخية من مثـــل « سياست نامـــة » و « تاريخ البيهقي » ، ومعناها الرسالة الصغيرة التي تكتـــب في الحالات الفوريـــة ، أُخِذَت من الاصل العربي « لُطُـــف » نفسه ، لان المعجمات العربية لا تذكرها .

٢ ـــ في ترجمـــة الاستاذ الدكتور جعفر شعار لبحثي « جهـــود عربية معاصرة في خدمـــة الادب الفارسي » ، ترجم لفظة ((نفـــر)) فـــي هذه العبارة « قـــام (**نفـــر**) **من اساتذة معهد اللغات الشرقية بجامعـــة القاهرة بترجمة كتاب (تراث فارس)،الذي كتـــب فصوله اساتذة مـــن المستشرقين** » بشخص واحـــد ، وهو معناها في الفارسيـــة وفي بعض

---

(١١) الفهرست ، ص ١٢٣ (الترجمة الفارسية) ، الطبعة الثانية ، طهران ١٣٤٦ شمسية .

(١٢) المصدر السابق ٢١١ .

(١٣) المصدر السابق ٢٤٦ .

(١٤) المصدر نفســـه ٢٤٧ .

(١٥) انظر مثلا : ابن منظور ، لسان العرب . مادة (لطـــف) ، والدكتور حسين نصار : المعجم العربي ١ : ٤١ دار مصر للطباعة ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٦٨ .

لهجاتنا المحليـــة . قال « **يكي ازاستادان** (معهـد اللغات الشرقية) در دانشـگاه قاهره بـــه ترجمه كتاب (تراث فارس) برداخته است » ، بيـــد ان المعنى اللغوي الصحيح للفظة مو؛جماعـــة الرجال من ثلاثة الى عشرة (١٦) . فالترجمة الصحيحة اذن « **چندتن ازاستادان** ... »

والحـــق ان مترجمي القـــرآن الكريم الى الفارسية تـــرجموا اللفظة عينها في قولـــه تعالى « قـــل اوحي الي انـــه استمع نفر من الجن ، فقالوا : انـــا سمعنا قرآنا عجبا » (١٧) ترجمة صحيحة . وهذه ترجمـــة الآية الكريمة « بگـــو : وحى آمده كـــه گروهي ازپريان استماع (قرائت مـــن) كردند وگفتند : مـــا قرآن شگفت آور شنيديم » (١٨) .

٣ ـــ يستعمـــل العرب ، في العصر الحاضر ، الاصطلاحات « اغراض الشـعر » و « موضوعات الشـعر » و « فنون الشعر » بمعنى واحد ، وهو ما لا يعرفه اكثر الايرانيين ، ان لم يكونوا جميعهم ، من هنا وَهـــمَ الدكتور محمد رضا شفيعي كدكني في ترجمة لفظ الاغراض بمعناها المعجمي « اهـــداف » في ترجمته مقدمة مختارات الدكتور محمـــد مصطفى بـــدوي « مختارات من الشعر العربـــي الحديث » .

جـــاء في مقدمة الدكتور بدوي « ومـــا زالت موضوعات هؤلاء الشـعراء هي **الاغراض** التقليديـــة من مديح للحكام ، وتشريف للاخوان ، وتاريـــخ للمناسبـــات ... » (١٩) .

---

(١٦) لسان العرب ، مادة (نفر) .

(١٧) سورة الجن ، آية (١) .

(١٨) القرآن الكريم ، ترجمة ابي القاسم پاينده ، الطبعة الثالثة ، طهران ١٣٥٤ شمسي ، وترجمة المكتبة الاسلامية ، طهران ١٣٢٦ شمسي ، ١٣٧٧ هـ .

(١٩) مختارات مـــن الشعر العربـــي الحديث ـــ المقدمة ، ص ج ، دار النهضة ، بيروت ١٩٦٦ .

وترجـــم الدكتور كدكني العبارة كالتالي « موضوعات شعرى اين گروه نيز ، همان **هدفهـــاي** كلاسيك بود ، از قبيل مديح حاكمان ، وتقريظ براى دوستان ، وتاريـــخ مناسبات » (٢٠) .

٤ ــ لســـت ادري لماذا ترجـــم صديقنا الدكتور ابرهيم الدسوقي شتا لفظة « **لحـــاف** » في قول صادق هدايت « **لحاف را جلو چشم نگـــه ميدارم** » (٢١) بلفظة ((**غطـــاء**)) : « ووضعت الغطاء على عيني » (٢٢) ، مـــع ان اللفظة من الالفاظ العربيـــة التي دخلت الفارسية ، وهـــي اخف من « الغطاء » ؟ فاللحاف غطاء ، ولكـــن ليس كل غطاء لحافـــا .

٥ ــ وردت في فصل « خيام شاعر » (الخيام الشاعر) مـــن كتاب « دمى باخيام » ، وهـــو الفصل الذي ترجَمْتُه الى العربيـــة ، الجملة التاليـــة ،« كشيدن رباعيات اصيل خيام از ايـــن (**بازار مكاره**) كارآسانى نيست » (٢٣) . وقـــد ترجمتها بهذا النحو « ان استلال رباعيات الخيـــام الاصيلة من (**سوق المكارة**) هذه ، ليس بالامر الهـــين » .

اقـــول ، لقد اغرتني لفظة ((**مكـــارة**)) العربية في هذا الاصطـــلاح الفارسي المركـــب ((**بازار مكاره**)) ، فترجمته كما اثبتُّه اعلاه ، وهـــي ترجمة مفهومة ولا غبـــار عليها لدى القارىء العربـــي ، غير أن معناه الدقيق ، الذي اطلعت عليه فيما بعـــد في المجمعات الفارسية المعتبرة ، يوحي ، فيما يبدو لـــي ، بترجمته بلفظة « معرض » ؟ لان معنـــى (بازار مكاره) : « السوق التي تقام عدة ايـــام مرة في السنة ، وتجلب اليها البضائع من اقطـــار مختلفة للعرض والبيـــع ايضـــا » (٢٤) .

---

(٢٠) دكر كونيهاي شعر معاصر عرب ، كتاب الفبا ، جلد سوم ، طهران ١٣٥٢ شمسي ، ص ١٨ ــ ٢٨ .

(٢١) زندهٔ بگور ، ص ١١ ، الطبعة السابعة ، طهـــران ١٣٤٤ .

(٢٢) قصص من الادب الفارسي المعاصر ، ص ٩٩ . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهـــرة ١٩٧٥ .

(٢٣) دمى باخيام ، ص ٧ . امير كبير ، طهران ١٣٤٤ .

(٢٤) انظر مثلا : محمد معين ، فرهنگ فارسى ــ بازار ، ودهخدا : لغتنامه دهخدا ــ مادة (بازار) ايضـــا .

— ٤ —

ومما يندرج في موضوع اللغة ، ما يعرف بالتراكيب اللغوية التي يُعَدّ التغلب عليها في اي لغتين من أهم وظائف المترجم ، الذي يُشْتَرط فيه « أن يكون ملمًّا الماما كاملا بمعاني تراكيب الجمل ، ففي هذا المجال الخاص ، غالبا ما يُظْهِر المترجمون ضعفهم الكبير ، ومع انهم يمكن أن يفهموا بشكل جيد تماما معاني الكلمات والعبارات منفردة ، فغالبا ما ينتثرون بشكل شنيع الى التقييم الاساسي للمعاني والابنية اللغوية » (٢٦) .

هذا الامر ، من اهم مشكلات الترجمة بين العربية والفارسية خاصة ، لكثرة ما بينهما من فروق في الخصائص الاصيلة من حيث التراكيب والمجازات ، والتذكير والتانيث ، والإفراد والتثنية ؛ وكلها تدخل في دقائق اللغة وقواعدها التي يتحتم على المترجم أن يتقيّد لها ؛ ولكن ما اكثر ما ينزلق فيها المترجمون !

ومن أمثلة هذا المزلق ، ما وقع فيه الدكتور شفيعي كدكني ايضا في ترجمة النص التالي من مقدمة الدكتور مسكوب : « لم يكد ينصرم القرن التاسع عشر الا وتبدو ظهر ضرب جديد من الشعر يتميز بشيء من التعارض والتوتر بين الشكل والمضمون » (٢٧) ، اذ اختلط عليه معنى « لم يكد ينصرم » ، فكانت ترجمته « هنوز قرن نوزدهم به پايان نرسيده بود كه نوع تازه اى از شعر به ظهور پيوست ... » (٢٨) والصحيح « مدتي از قرن نوزدهم نگذشت بود كه نوعي جديد در شعر عربي پديد آمد ... » .

---

(٢٥) يوجين نيدا : نحو علم للترجمة ، ص ٢١٢ .

(٢٦) المرجع السابق ، ص ٤٦٦ .

(٢٧) مختارات من الشعر العربي الحديث ، ص و .

(٢٨) دكتر كزنيهاي شعر معاصر عرب ، كتاب الفبا ، ص ٢٧ .

ومن اخطر المزالق التي قد يساق اليها المترجم غفلته عن « لغة عصر » ما يترجم . وبديهي ان ما يُتَوَخّى من لغة واسلوب واصطلاحات في ترجمة مثل : « تاريخ البيهقي » و « الشاهنامة » و « سفرنامة ناصر خسرو » و « سياست نامه » و « رحلة ابن بطوطة » غير ما يُتَوَخّى في ترجمة « قصتي مع الشعر » و « الايام » و « قلمرو ادب سعدي » (آفاق ادب سعدي) و « دمي باخيام » (وتفة مع الخيام) لعلي دشتي .

مراعاة روح العصر في لغته واساليبه واصطلاحاته ومفرداته واجبة اذن ؛ لذا ابقيتُ الالفاظ والمصطلحات العربية التي افاد منها صاحب « سياست نامه » كما هي لتناسب الفترة التي أُلِّف فيها الكتاب ، ولم أحاول ان استعيض عنها بالفاظ واصطلاحات عصرية ، وإن هُجِر كثير من تلك الالفاظ وترك منذ زمن بعيد . ومن الامثلة عليها : المحتسب ، المستوفي ، الشحنة ، العسس ، وخريطة * . وقد راعى مترجما « تاريخ البيهقي » هذا الصنيع ، فقال احدهما « وقد تعمدنا أن نترك الالفاظ العربية التي وردت في الكتاب كما هي : لكي تعبّر عن مدلولاتها في العصر الذي كُتبت فيه » (٢٩) . بيد انهما جانبا هذا الشرط في ترجمة اصطلاح « گشادنامه » (نامه سرگشاده) بالاصطلاح المعاصر « كتاب مفتوح » (٣٠) . وقد ترجمتُه بـ « رسالة مفتوحة » في « سياست نامه » .

واذكر اننا حين ترجمنا (الدكتور يوسفي وانا) المقطع التالي من قصيده (عيد ميلادها) لنزار قباني (٣١) :

(*) الخريطة : كيس من قماش . وما زالت تستعمل في انحاء من الاردن وفلسطين .

(٢٩) يحيى الخشاب : مقدمة ترجمة تاريخ البيهقي ، ص ٢٩ . الالجلو المصرية (دون تاريخ) .

(٣٠) يحيى الخشاب وصادق نشأت : تاريخ البيهقي (الترجمة العربية) ، ص ١٢٨ .

(٣١) مختارات من الشعر العربي الحديث ، ص ١٤٩ .

باي شيء أَفِـدُ

اذا يَهِلُّ الأَحَـدُ

بخاتـــمٍ ؟

بباقـــةٍ ؟

على النحـــو التالي اولاً :

با چه هديه اى بروم ؟

وقتي روز يكشنبه فرارسد

با انگشترى ؟

بادسته گُلـــي ؟

رأى الدكتور يوسفي انـــه من الافضل ان نترجم « بخاتم » الى « **با انگشتر** » بدلا من « **با انگشترى** » لان الاول هو المستعمل في الوقت الحاضر . وهكذا كـــان .

— ٦ —

لـــم يكن اعتباطا ان تقسم الترجمة ، مـــن حيث الطريقة والكيفية ، الى انواع من اهمهـــا الترجمة (اللفظية) ، والترجمة بالمعنى (المعنوية) . ان الترجمة الحرفية لا تتيسر في كـــل الاحيان ، خاصة في ترجمـــة المصطلحات والامثال والمجازات ؛ وهنـــا تكمن الحيرة ويكون المزلـــق ؛ الحيرة في ترجمة هذه الاشياء كما هي من اللغـــة الاجنبية ، مهما يكـــن وقعها في الذوق العربـــي ، أو وضع ما يقابلها في العربيـــة مما يؤدي معناها الاصلي دون تقيّـــد بحرفية ما يترجم (٣٢) . ومن الشق الاول — اي الترجمة الحرفية — تنبعث المزالـــق التي يدعو اكثرها الى الضحك ؛

---

(٣٢) انظر ايضا : محمد عبد الغني حسن ، فن الترجمة في الادب العربي ، ص ٥٦ و ٥٩ . الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ، القاهـــرة ١٩٦٦ .

وتقود في احيان كثيرة الى البتر والتشويه والحذف الـذي لا مندوحة من تفسيره الا بعجز المترجم وجهلـه .

اقـول هذا ، لان للفارسية مجازات واصطلاحات غريبة علينـا كل الغرابة ، وربما لا نجـد مثلها في اللغات الاخرى . ولقـد سُئلتُ مـرة ان اترجم المثل الفارسي « **گُل پشت ورو ندارد** » ، فاحترت فـي امري ، اترجمه ترجمة حرفية لا مـاء فيها ولا رونق ، فاقول « **ليس للورد ظهر ولا بطـن** » !! ، ام ابحث عن معادلة لـه في عربيتنا ؟ وكان مـن الطبيعي ان ابحث عـن المعادل ، غير انني لم اجده في تراثنا الضخـم من الامثال الفصيحة . ومن يدري ، فربما انني انـا الذي لم استطع الاهتداء اليه . حينئذ انعطفت الى امثالنـا الشعبية ، فاهتديت الـى المعـادل الدقيق ، وهو المثل « **كُلّك وَجْه** » الذي يستعمل في الحـالات عينها التي يستعمل فيها المثـل الفارسي . وينطبق هذا الكلام ايضـا على المثـل الفارسي « **كبوتر باكبوتر بازبا باز** » اذا ما ترجمناه ترجمـة حرفية سقيمة « **الحمامة مع الحمامة ، والبازي مـع البازي** »وبركنـا المثـل الرائع « **ان الطيور على اشكالها تقـع** »الذي لا يعدو المثـل الفارسي قيـد انملة . هذا ما فعلناه (الدكتور يوسفي وأنـا) بالمثل العربي نفسه الذي ضَمّنه عبد الوهاب البياتي المقطـع الآتي من قصيدته « سـوق القريـة » (٢٢) :

وبنادق سود ، ومحراث ، ونـار

فخبـز ، وحدّاد يراود جفنه الدامي النعاس .

« **ابـدا على اشكالها تقع الطيور**

والبحر لا يقوى على غسل الخطايـا والدموع

اذ ترجمناه بمعادله الفارسي السابق « **كبوتر باكبوتر ، باز با باز** » .

ومـن المترجمين العرب الذين انساقوا في **حماة التيار الحرفي في**

---

(٢٢) مختارات من الشعر العربي الحديث ، ص ١٩٦ .

ترجمة **الامثال** ، المرحوم الدكتور ابرهيم الشواربي ، الذي اثبت في أحد كتبه (٢٤) طائفة من الامثال الفارسية ، وترجم اكثرها ترجمة حرفية مع أن لها في العربية نظائر واشباها تكاد تكون ترجمة لها . فقد ترجم المثل « **صبر مفتاح كارها است** » بـ « **الصبر مفتاح الامور** » وعزف عن المثل العربي « **الصبر مفتاح الفرج** » ؛ كما ترجم المثل « **صدا از يكدست بر نيايد** » بقوله : « **اليد لا تصفق وحدها** » وترك مقابله الدقيق « **يد واحدة لا تصفق** » .

أما مترجم « رحلة ابن بطوطة » الفارسي ، فقد راعى نوع الترجمة الذي ندعو اليه ، حتى في الامثال العربية غير المتداولة كثيرا ، وسلك سبيل الترجمة المعنوية والبحث عن المعادل في ترجمة المثل « **صدقهم سنّ بكره** » (٢٥) في نص ابن بطوطة : « ثم ان التّوبة وصلت يوما الى الشيخ شهاب الدين ، معتقد التوبة ليلة التوبة ، وعزم اصلاح حاله مع ربه ، وقال في نفسه ان **قلت لاصحابي** انني قد تُبْتُ قبل اجتماعهم عندي ظنوا ذلك عجزا عن مؤونتهم . فاحضر ما كان يحضر مثله قبل من مأكول ومشروب وجعل الخمر في الزقاق . وحضر اصحابه ، فلما ارادوا الشرب فتحوا زقا ، فذاقه احدهم فوجده حلوا . ثم فتحوا ثانيا فوجدوه كذلك ، ثم ثالثا فوجدوه كذلك . فكلموا الشيخ في ذلك ، فخرج لهم عن حقيقة امره ، **وصدقهم سن بكره** ... » « رحلة ابن بطوطة ، ص ٣٨٧ » .

فترجمه ، وما أحسن ما ترجمه ، بقوله « شهاب الدين **راز خود بر آنان فاش ساخت** ... » (٢٦) . اي خرج لهم شهاب الدين عن سرّه .

---

(٢٤) القواعد الاساسية لدراسة الفارسية ، ص ٢٢١ ـ ٢٢٦ ، مكتبة الانجلو المصرية ، الطبعة الرابعة ١٩٦٤ .

(٢٥) راجع قصة هذا المثل مفصلة في : لسان العرب ، مادة (صدق) .

(٢٦) سفرنامه ابن بطوطة ، ص ٣٦٥ ، ترجمة محمد علي موحد ، طهران ١٣٣٧ شمسي (١٩٥٨) .

— ٧ —

ومن المشكلات التي تعترض المترجم عن الفارسية ، مسألة رد المترجمات الفارسية عن العربية الى اصولها الاولى . ففي المصادر الفارسية المختلفة مترجمات كثيرة من القرآن الكريم ، والاحاديث الشريفة ، واقوال الصحابة والخلفاء المشهورة ، والشعر والكلم المعروف . واحسب ان الدقة والامانة معا توجبان على من يترجم اثرا فارسيا فيه اشياء مما ذكر ، ان يسعى الى البحث عن نصوصها العربية الاولى،وإن يكن في استطاعته ترجمتها بلغته الخاصة ، وهو ما قد يضطر اليه اذا ما اعيته الحيلة ، واضناه التقصي والاستقراء والتنقيب دون جدوى .

واعترف صادقا انني بذلت جهدا كبيرا في استنطاق كتب الحديث من صحاح وغيرها ، والبحث في معجماتها ، وخاصة « المعجم المفهرس لالفاظ الحديث الشريف » للاهتداء الى نص ترجمة الحديث : « **داد كنندكان را اندر بهشت سراها باشد از روشنايي ، با اهل خويش ، با آن كسها كه زير دست ايشان باشند** » (٢٧) الذي استشهد به نظام الملك مرويا عن ابن عمر ، رضي الله عنهما ؛ فذهبت جهودي ادراج الرياح . وانصعت بآخرة الى ترجمته بلغتي الخاصة : « **للمقسطين و ذوي قرباهم ومن هم تحت ايديهم قصور من نور في الجنة** » . وليست هذه المشكلة خاصة بالترجمة من الفارسية الى العربية فقط ، انما تلقانا في كل لغة اجنبية استشهد بها صاحب الاثر بنصوص عربية وترجمها الى لغته دون ان يثبتها . ولقد عانى منها نفر من المترجمين العرب ، فتغلب عليها بعضهم ، واخفق آخرون احيانا . يقول الدكتور ابراهيم امين الشواربي،مترجم كتاب (A Literary History of Persia) للمستشرق الانجليزي ادوارد براون (A. G. Browne)

« اعتمد براون في تاليف كتابه على كثير من المراجع الشرقية ، واستشهد ، بالطبيعة ، بالمالفات العربية والفارسية والتركية ، ولكنه

---

(٢٧) سياست نامه ، ص ٨٧ ، تحقيق الدكتور جعفر شعار ، طهران ١٣٤٨ شمسي .

لم يستطع ، في الغالب الاعم ، أن يورد لنا شواهده في صورتها الاصلية في هذه اللغات ، واكتفى بايراد ترجمتها الى الانجليزية . ولم يكن من المستساغ عقلا او المقبول منا أن أعود فأترجم هذه الترجمات الى العربية ، لان الترجمة عن ترجمة ـ لا شك ـ تضلل المترجم ، وتبعده عن الاصل . ومن أجل ذلك التزمت تنسي باتباعات الشواهد العربية بنصّها الذي وردت به في الكتب العربية ، اللهم الا اذا كان الكتاب مخطوطا ، وليست له نسخة في دُور كتب ! » (٣٨) .

وكان المرحوم عادل زعيتر شيخ المترجمين العرب قد واجه مثل هذا . يقول في مقدمة ترجمته لكتاب « ابن رشد » لارنست رينان الفرنسي : « وهنا ننبّه القارىء الى أن العلامة رينان اقتطف كثيرا من العبارات العربية الموجودة ، فأعدنا معظمه الى أصله العربي . وأما الذي لم نتوصل الى نصه العربي بسبب فقدان الاصل غالبا ، فقد ترجمناه من الفرنسية ... » (٣٩) .

وابتُلي محمد عبد الغني حسن بكثير من هذا في ترجمة كتاب « المرأة والدولة في فجر الاسلام » للباحثة العربية المتأمركة « نابة أبوت » (نابية عبود) الذي نشره عام ١٩٤٣ (٤٠) . ومن يرى أن هذا الامر ناتية واحدة من نواحي صعوبات الترجمة من غير العربية الى العربية ، ولكنها ليست صعوبة في الترجمة ذاتها ، بل هي صعوبة فيما حول النص المترجم ومحاولة ارجاعه الى اصله (٤١) .

ومن مزالق ما حول النص التي تعترض المترجم عن الفارسية ايضا ، كثرة التحريفات والتصحيفات والاخطاء في الاصول العربية

---

(٣٨) تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي ـ المقدمة ، ص س . مطبعة السعادة ، القاهرة ١٩٥٤ .

(٣٩) ابن رشد والرشدية ، ص ٧ . القاهرة ١٩٥٧ .

(٤٠) فن الترجمة في الادب العربي ، ص ٨ .

(٤١) المرجع السابق ، ص ٩ .

في المؤلفات الفارسية ، في الآيات والاحاديث ، والاشعار والاقوال المأثورة ، والاعلام والاماكن والكتب ، لاسباب قد يعود اكثرها الى تلاعب النُسّاخ وجهلهم — او جهل اكثرهم — ، والى توانـي المحققين وتقصيرهم، وعدم معرفتهم الجيدة بالعربية وتراثها .

وكتاب « سياست نامه » اكبر شاهد ودليل على ما اقول ، لان فيه تحريفات وتصحيفات واوهاما كثيرة ، فسام معظمها عن امين المحققين والمصححين ، والمترجمين غير العرب ايضا ، مع انه طُبع اكثر من خمس طبعات مختلفة في ايران وخارجها ، كان آخرها طبعة الدكتور جعفر شعار التي تَرجَمْتُها الى لغة الضاد ؟ فقد حُرِّفَت فيه لفظة « الحق » في قوله تعالى :« يا داود انا جعلناك خليفة في الارض ، فاحكم بين الناس بالحق » (٤٢) الى « العدل » (٤٣) ، وصُحِّفَت « وتصدق » في الآية الكريمة « وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين » (٤٤) الى « فتصدق » (٤٥) ، واضحى اسم زعيم الديالمة « اسفار بن شيرويه ورداوندى » ، فيما اثبته المسعودي (٤٦) وابن الاثير مثلا (٤٧) ، اضحى « سيّار شيروى ورداوندى » (٤٨) ، وحُرِّف اسم كتاب الاسماعيلية « البلاغات السبعة » الذي نص عليه ابن النديم (٤٩) الى « بلاغة

---

(٤٢) سورة ص ، آية ٢٥ .

(٤٣) سياست نامه ، ص ٢٧٦ .

(٤٤) سورة يوسف ، آية ٨٨ .

(٤٥) سياست نامه ، ص ٩٠ .

(٤٦) مروج الذهب ٤ : ٢٧٤ وما بعدها . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٤٨ .

(٤٧) الكامل في التاريخ ٨ : ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٨٩ — ١٩٧ ، ٢٢٨ ، ٢٦٧ .طبعة صادر ، بيروت ١٩٦٦ .

(٤٨) سياست نامه ، ص ٢٢٨ .

(٤٩) الفهرست ، ص ٢٤٠ .

السابـــع » (٥٠) . وغير هذا كثير في اشيـــاء اخرى لا حاجة لذكرها (٥١) .

انيجـــوز للمترجم ، والحال هذه ، ان يمسكت ـ اذا ما عرف ـ عن مثل هذه التصحيفات والتحريفات والاوهام التي وجدت ، فيزيد الطين بلـــة ويشارك المحققين فيما انزلقوا اليه ولـــم يكتشفوه ؟ ! وهل كان علينا ان يحتدم الجدال بين المهتمين بالترجمة حـــول « تخصص » المترجـــم فيما يترجم ، او « معرفته » بـــه ؟ احسب انّ لا ، لان مقدرة المترجم وسعة اطلاعه ومعرفته تبـــرز واضحة هنـــا ! وهو ما يدل على ان الترجمة ليست نقـــلا وحسب ، فيما يتصور الكثيرون ، بل هي ، فيما يذهب صاحب « المقتطـــف » الدكتور يعقوب صروف ، « صعبـــة واصعب من التاليـــف » .

* * *

وبعـــــد ،

افـــلا تستحق مقولـــة الايطاليين « الترجمة خيانة » او « المترجـــم خائـــن » (٥٢) مزيدا من التفكير والتقديـــر ؟

اوليس يوجين نيـــدا محقا في قولـــه (٥٣) : « فان مهمة المترجـــم مهمـــة صعبة في الاساس ، ومهمـــة لا يشكر عليها في اغلب الاحيـــان . فاذا ما ارتكب غلطة انتُقِـــد بشدة ، ولكنه لا يُمتَدح سوى امتداح تافـــه عندما ينجح في عمليـــة ... » ؟ ! .

د. يوسف بكّار

---

(٥٠) سياست نامه ، ص ٢٥٢ .

(٥١) راجع التفاصيل في : يوسف بكار ، نظرات في سياست نامه ، نشريه دانشكده الهيات ومعارف اسلامي مشهد ، العـــدد (٢٤) ، خريف ١٣٥٨ شمسي (١٩٧٨) .

(٥٢) Tarduttore Traditore نقـــلا عـــن :

الدكتور محمد عوض محمد : فن الترجمة ، ص ٢٦ . معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ١٩٦٩ .

(٥٣) نحو علم للترجمـــة ، ص ٢٠٢ .

دراسات في النظم والعقائد الاباضية

للدكتور عوض خليفات
(الجامعة الاردنية)

١ ـ تمهيـــد *

الولايـــة كلمة مشتقة من الفعل "وَلِـيَ"، ولها معان مختلفة (١) ، منها المحبـــة ، والمناصرة ، والمؤازرة ، والقرب . والبـــراءة تعنـــي ضد هذه المعانـــي ، اي:الجفوة،والبغض ، والعداوة ؛ وهذه المعانـــي هي التي تعنينـــا في هذه الدراسة الاولية لنظام الولايـــة والبراءة عند اتباع المذهب الاباضي . وقد استعمل العـــرب الكلمتين لتدلاّ علـــى المعاني الآنفة الذكر منـــذ الفترة الجاهلية ، واكتسبتا مع مرور الزمـــن دلالات اجتماعية وسياسية ودينيـــة . وسنحاول في هذه اللمحة ان نوضح هذيـــن المصطلحين حتى اصبحـــا ـــ بمدلولهما الفقهي ـــ من اهـــم الدعامات التي ارتكز عليها المذهـــب الاباضي في مسيرته منـــذ القرن الاول الهجري حتى يومنا هـــذا .

كانـــت القبيلة هي الوحدة الاساسية في المجتمـــع العربي البدوي ، وافرادهـــا متكافلون ، متآزرون ، يتولى بعضهم بعضـــا ، وعلى كل فرد منهم نصرة اخيـــه ظالما كان او مظلوما ؛ فاذا وقـــع لاحدهم سوء سارع الجميع لمد يـــد العون والمساعدة له،بحكم هذه الولاية العصبية . ويصف احـــد الشعراء هذا الحال فيقـــول :

(*) اشكر الاستاذ محمد المغربي الذي اعارني بعض المخطوطات،والذي اشار علي بكتابة التمهيد لهـذا البحث . كما اتوجه بالشكر الجزيـل للاستاذ الدكتور عهد المزيز الدوري لما اسداه لي مـن آراء وملاحظات قيمة .

لا يسألون اخاهم حين يَنْدُبُهم في النائبات على ما قال برهانا (٢)

ويقول شاعر آخر :

اذا استُنْجِدوا لم يسألوا من دعاهُمُ لايّة حرب ام باي مكانِ (٣)

كانت هذه المساعدة القبلية مشروطة بوجوب التمسك بعادات القبيلة وتقاليدها واعرافها ومعتقداتها ، أما اذا ظهر من الفرد خلاف ذلك ، فان قبيلته تنبذه ، وتتبرأ منه،فيصبح طريدا او مخلوعا ، وقد يصبح مملوكا . ويحدث التبرؤ من الشخص وخلعه لاسباب متنوعة ، كأن يخرج على إجماع القبيلة ، او يَقْتُل احد افرادها،ولا يقبل ذوي المقدور الدية ؛ او ان يقتل شخصا ينتمي الى قبيلة اخرى بينها وبين قبيلته حِلف او عهد او جوار ؛ او يصبح سيّء الخُلُق،مذموم السمعة والسيرة ، او يضحي مبذّرا مدمنا على شرب الخمر ، وغير ذلك مما يقدح بسمعة القبيلة ومكانتها . ويبدو أن معاملة القبائل العربية لافرادها المنبوذين كانت الاساس الذي تَطوّر عنه هذا المبدأ الذي عرف بـ « البراءة » (٤) .

ولما بُعِث الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم استُخْدِمت قبيلتُه ، قريش،هذا المبدأ ضدّه ، اذ وجدت في دعوته خروجا عن اعرافها وتقاليدها ومعتقداتها،فدعت الى نبذه والبراءة منه . وتعرّض الرسول عليه السلام ـ تبعا لذلك ـ لكثير من الاذى والاضطهاد ، ولم تلبث قريش أن قاطعت الرسول وبني هاشم الذين حموه ملبقا لمبدأ الولاية بالعصبية . وعقد القرشيون عهدا فيما بينهم علّقوا نصوصه في جوف الكعبة،لتأكيد قداسته ووجوب التقيّد به . وقد تعاهد القرشيون على مقاطعة الرسول وبني هاشم،وعدم التعامل معهم ، فلا يؤاكلونهم ولا يشاربونهم ولا يبايعونهم ولا يناكحونهم ولا يكلّمونهم ، وبقوا على هذه الحالة قرابة ثلاث سنوات (٥) .

وعندما هاجر الرسول الكريم الى المدينة المنورة ، جعل مبدأ الولاية والبراءة في خدمة الدعوة الاسلامية ، فكوّن الجماعة الاسلامية

التي عرفت باسم الامـــة وجعل افرادها اوليـــاء بعضهم من دون الناس ؛ وبذلك احلّ رابطة الديـــن والعقيدة محل رابطة الـــدم والنسب . واصبح المسلم اخـــا المسلم ووليّه . واوجب الاسلام على كل فـــرد ان يُحبّ اخاه في اللـــه ويناصره ويساعده ، كما اوجب على كل فـــرد من الامـــة البراءة من اعداء اللـــه ورسوله . وبهذه الوسيلة اصبـــح جميع افراد الامـــة وحدة متجانســة متكافلة متضامنة ، وبذلك استطاعـــوا ان يصمدوا امـــام التحديات ، وهي كثيرة ، وينشروا دعوتهم،ويحرزوا النصر المبين . امـــا اذا احدث احـــد افراد الامـــة الاسلامية حدثا يضرّ بالاسلام واصحابه ، او قصّر في اداء واجباته الدينيـــة الاساسية، فان الرسول، عليـــه السلام،لم يتردد في الدعوة الى البراءة منـــــه وبغضـــه ومقاطعتـــه (٦) .

مثـــال ذلك ما حدث للثلاثة الذين تخلفوا عن الجهـــاد في غزوة تبوك ، وهـــم،كعب بن مالك،وهلال بن امية ، ومرارة بن الربيع ؛ فقـــد امر الرسول المسلمين بـــأن يقاطعوهم ولا يتكلموا معهم حتـــى ضاقت عليهم الارض بما رحبت ؛ ثم انزل اللـــه كلمته فيهم بالتوبة عنهم،فعـــاد المسلمون الى ولايتهـــم وموادعتهم (٧) .

وقـــد اتخذت الفرق الاسلامية فيما بعد ــ على اختلافها وتنوّعها ــ من هذا المبـــدأ وسيلة للتبرؤ من اعدائها . وكانت كلّ فرقة تزعـــم بانها وحدها التي تمثل الاســـلام الصحيح كما جاء بـــه محمـــد،صلوات اللـــه وسلامه عليه ، وبالتالي فان لهـــا الحق في ان تتبرأ من مخالفيها باعتبارهم ضالّين حادوا عن الطريق القويـــم . وعلى هذا الاساس قـــام الثوار ضدّ عثمان بن عفان،رضي اللـــه عنه،بالتبرؤ منه ثم قتله، لانه ــ حسب زعمهم ــ حاد عن الصواب،وخالف سنّـــة الرسول الكريم وسنّة الخليفتين الراشدين من بعده . وتبـــرأ المحكمة من علـــي بن ابي طالب ــ كرّم اللـــه وجهه ــ بعد قبوله التحكيم لانه ــ طبقـــا لوجهة نظرهم ــ حكّـــم الرجال في امـــر من امور اللـــه،وبذلك خلع نفسه من منصب الخلافة الذي بايعه المسلمون عليـــه .

والحقيقة ان الامثلـــه في هذا الشان كثيرة ولا مجال لهـــ
اوردناه من امثلـــة يكفي للتدليل على وجود هذا المبـــدا عند العرب منذ فترة سحيقة ؛ ولم يكن الاباضيـــة مبتدعين في هذا المضمـــار ، ولكنهم اعطوا لهذا المفهـــوم اهمية خاصة،وبعدا سياسيا ودينيا دقيقـــا لا نجـــد لـــه شبيها عند اتباع الفرق الاسلامية الاخـــرى .

لقـــد التفت ائمـــة الاباضية ومشايخها منذ البداية لأهمية هـــذا المبـــدا،وضرورة استخدامه في سبيل تطويـــر حركتهم ونشر دعوتهم ؛ ولا نبالغ اذ قلنـــا : ان هذا المبـــدا كان من اهـــم العوامل التي ادّت الى الحفاظ على وحـــدة الجماعة الاباضية وتماسكها عبـــر العصـــور .

بدات الحركة الاباضية سرية ، واتخذت من البصرة مقرًّا لهـــا ؛ وكان ذلك خلال النصف الثاني مـــن القرن الاول الهجري والنصف الاول من القرن الثاني الهجـــري، حيث كان الامويون يتربعون على عـــرش الخلافة الاسلامية ، وكـــان ولاتهم في العراق ـــ مثل زيـــاد بن ابيه،وابنه عبيد الله،والحجاج بن يوسف الثقفي ـــ يشتدّون في ملاحقـــة اتبـــاع الفرق الاسلامية المناوئة للحكـــم الاموي ، ومنها الخوارج ؛ فـــرأى الاباضية ان يسيروا بدعوتهم بحذر شديد متجنبين المعارضـــة المسلحـــة ضد الحكم القائـــم . وفي الوقت نفســـه أوجدوا الوسائل الكفيلـــة لنشر دعوتهم في الامصار الاسلاميـــة،فاستعملوا التقيـــة الدينية،واوجدوا تنظيما سريا دقيقا ـــ كانت الولاية والبراءة احـــد عناصره ـــ ســـاعد في نجـــاح الحركة وتحقيق اهدافهـــا (٨) .

لقـــد نظـــر الاباضيون الى الحكم الاموي على انـــه غير شرعي، واعتبروا الخلفاء الامويين جبابرة مستبدّين ، ولذا لا بـــد من ايجاد حكـــم اسلامي صحيح على غرار ما كان موجودا زمـــن الرسول الكريم والخليفتين ، ابي بكـــر وعمـــر . وحتى يتمكن الاباضية من الوصـــول الى هذا الهدف ، راوا انـــه لا بـــد من اعادة تحديد مفهوم الأمـــة الاسلامية على اسس جديدة تتفـــق والمعتقدات الاباضية ، وعلى كـــل

من يريد الانضمام لهذه الجماعة ـ الامة ان يعلن الولاية لكل اتباع الحركة الاباضية جملة وافرادا ، وان يتبرأ من اعدائهم ومخالفيهم ، مشركين كانوا ام موحدين . وتورد المصادر الاباضية امثلة كثيرة في هذا الشأن ، منها ما يذكره ابو سفيان حول اعتناق ابي النظر ، مسلم بن عمر بن المسيب بن زهير الضبي للمذهب الاباضي . لقد كان ابو النظر صفريا من اصحاب شبيب ، وفرّ من الحجاج،ونزل البصرة ، فدعاه الاباضية لمذهبهم وقالوا له : « ندعوك الى ولاية من قد علمته يقول الحق ويعمل به (اي الشخص الاباضي) والى براءة من قد علمته يقول بخلاف الحق ويعمل به ، والوقوف فيمن لا تعلم حتى تعلم » . ففعل ابو النظر ذلك، واصبح من مشايخ الاباضية المرموقين (٩) . وقد اصبحت هذه الدعوة قاعدة هامة نادى بها ومارسها الاباضية في كل زمان ومكان ، بحيث لا يُقبَل في الجماعة الاباضية احد الا بعد ان يعلن انه وليٌّ وليّهم وعدوّ عدوّهم (١٠) . واصبح مبدأ الولاية والبراءة فرضا دينيا واجبا ، على كل اباضي ان يتقيد باحكامه وشروطه طبقا للقواعد التي وضعها وطبّقها مشايخ الاباضية الاوائل . وقد قسام علماء الاباضية ومفكروهم بتدوين هذه القواعد والاحكام ، الفوا الكتب التي تبحث في هذا الموضوع ، بحيث اصبح للاباضية نظرية خاصة في هذا الشأن لا نجد لها مثيلا عند اتباع الفرق الاسلامية الاخرى * . وسنستعرض في الصفحات التالية قواعد الولاية والبراءة ـ كما اوردتها المصادر الاباضية ـ مستعينين بامثلة عملية واضحة حيثما تقتضي الضرورة

(*) من هذه الكتب : الجيطالي ، قواعد الاسلام ، عمرو بن جميع ، عقيدة التوحيد ، شماخي ، شرح عقيدة التوحيد ، السالمي ، مشارق انوار العقول . بالاضافة الى كتب اخرى تحوي فصولا خاصة من الولاية والبراءة يلحظها القارىء في هوامش هذا البحث .

٢ — الولايـــة

الولايـــة عند الاباضية تعني المحبة والمودة والمؤاخاة والمصافاة والمناصرة والثناء ووجوب الترحم والاستغفار للمسلمين (اي الاباضية) . وتَجْمَع هذه المعاني كلّهـا عبارة الحب في اللـه وفي العقيدة الاباضية (١١) . والولاية واجبة على كـل اباضي لاخيـه في المذهب اذا كان محققا لاوامر اللـه ، قائما بواجباته الدينية على اكمل وجـه ، آمرا بالمعروف ، ناهيا عن المنكـر ، ممتنعا عن كل ما حـرّم اللـه (١٢) .

وللولايـة قواعد واحكام يمكن اجمالها بمـا يلـي :

١ — ولايـة الجملة : وهي فريضة على كل مكلّف عندمـا يصل الى سن البلوغ (الخامسة عشرة للذكور والثانية عشرة للاناث) . وعلى المكلّـف ان يوالي جميع المسلمين الاباضية من غير قصد الى احـد باسمه . والعمل بهذا المبـدأ توحيد ؛ والترك لـه ، او الجحود ، او الجهل بانـه فرض، يُدخِل صاحبه في دائـرة الشرك (١٣) .

٢ — ولايـة المعصومين ، وتشمل ولاية الانبيـاء والرسل والملائكة وغيرهم من اوليـاء اللـه المذكورين في القـرآن الكريم، سواء بالاسم او بالوصف . وهي على نوعـين : ولاية الجملة ، وولاية الافراد . امـا ولاية الجملة فتشمل جميع الانبيـاء والرسل ، وكذلك الجماعات التي ورد ذكرها او وصفُها في القـرآن الكريم ؛ مثل اهـل الكهف ، واصحاب الاخدود واشباههم . وولاية الافـراد على نوعين : مسمّى ، مثـل آدم وابرٰهيم ومريم بنت عمران وغيرهم ، وغـير مسمّى مثل مؤمن آل فرعون ، وولاية هـؤلاء جميعا توحيد ، والبراءة منهم شرك (١٤) .

٣ — ولايـة الاشخاص ويقصد بها ولاية الافـراد من اصحاب المذهـب الاباضي ، وهي عبارة عن حـق متبادل بين اتباع العقيدة الاباضية . ويجب أن تتوافـر في الشخص الذي يتولاه الاباضيـة الشـروط التاليـة :

١ ـ أن يكون اباضيا في القول والعمل .

٢ ـ أن تكون سمعته جيدة وتصرفاته مرضية .

٣ ـ أن يكون المكلّف مقتنعا بأن الشخص المتولى يستحق الولاية .

ويمكن التحقق من توافر هذه الشروط بالوسائل التالية :

١ ـ الخبرة بالشخص المتولى على انه موافق للاباضية في القول والعمل .

٢ ـ الشهرة التي لا تُدفَع ، اي ان يكون مشهورا بالخير ، فمن عرفه لا يعرف عنه الا الخير والفضيلة .

٣ ـ ان يُشهد على احقيته في الولاية شخصان اباضيان عدلان .

ويكتفي بعض العلماء بشهادة شخص واحد عدل (١٥) . ويبدو ان الاباضية كانوا احيانا يقبلون شهادة المراة . وتذكر المصادر الاباضية امثلة كثيرة تشير الى صحة هذا الراي ، منها ما يورده الشماخي من ان ام عمروس ، احد علماء الاباضية في جبل نفوسة ، اوصت اليه في المهد واستخلفته ، فلما كبر وقضى وصية والدته وجد فيها الحج ، اي الطلب منه ان يحج عنها ويدعو لها . فسأل عمروس اقرانه من الاباضية عن احقية والدته في الولاية ، فلم يجد من يتولاها به (اي يشهد بانها كانت اباضية المذهب ومن اهل الولاية) الا امراة،فتولاها بها ، وحج عنها ودعا لها واستغفر » (١٦) .

واذا تحققت ولاية الشخص،فعلى من يتولاه ان يضمر له الحب في الجنان ، ويعلن الترحم والاستغفار له باللسان ، « فمتى ما ظهر من احد الوفاء بدين الله قولا وعملا ، فعلى من شاهد ذلك منه ولايته ، واعتقاد الحب له ، والاستغفار له ، وتحريم بغضه وشتيمته وغشه وغيبته وسوء الظن به .. » (١٧) .

وتشمل ولاية الاشخاص الانواع التالية :

أ — ولايـــة ائمـــة الاباضية ، وتعتبر فريضة على كل اباضـــي يعيش في القطر الذي يوجـــد فيه الامام ، كما انهـــا فريضة على اي اباضي آخر يسمع بوجود الامام . وتنسحب الولايـــة ، في هذه الحالة على جميع الاباضية الذيـــن يعيشون في ظلـــه وينشوون تحت سلطانه ويسمى هؤلاء : أهـــل العدل والاحسان ، كما تسمى بلادهم : دار العدل والحق . ويسمي الاباضية هذه الولاية بـــ « ولاية البيضة » اي العاصمة او مركـــز الحكم . وفي ذلك يقول الجيطالي . « ولايـــة البيضة هي ولاية الامام العادل ، امـــام المسلمين (الاباضية) ومن اتبعه على طاعة اللـــه ، الا إن ظهر من احـــد ما يبرا بـــه منه ، وذلك ان كل دار يكون اهلها الغالبون عليها هـــم العاملون بما جاء بـــه التنزيل ، المتبعون لمـــا شرعه الرسول عليه السلام ؛ الناهون لمـــا نهى عنه الشرع ، الداعون الى السنّة والعمل بهـــا ، الرادّون للبدعة على مـــن جـــاء بها ، غير متجانفين للأقارب ، ولا متعصبين على الاجانب ؛ يتولاهم الانسان ويسميهم اهـــل العدل والاحسان ، وينسب الدار اليهـــم فيسميها دار العدل والحـــق » (١٨) .

ويقول الامام افلـــح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم : « اذا كان امام المسلمين (الاباضية) عدلا فكل مـــن جرت عليه طاعته ، ورضي بحكمه ، ولم يظهر منـــه خلاف المسلمين ، فهو عندهم في حكمهم من الولاية ، يتولونه بعينـــه ، ويتولون جميع من في البيضة جملـــة وتصـــــدا » (١٩) .

ويرى الاباضية انه لا يجوز التجاهل او الجهل بوجـــود الامـــام ؛ فمعرفة الامام واجبة على كـــل من يعيش في البيضة . ولا يجوز ابضـــا لاي فـــرد اباضي ان يتبرا من احـــد الائمة بشهادة الشهود ، على خلاف الاشخاص الذيـــن يُتَوَلَّون ويُتَبَرّا منهم طبقا للشروط التـــي شرحناها آنفـــا ، ومنها شهادة العدول . وشرح الجيطالي هـــذه القاعدة ويقول : « امـــا ائمة الدين والهدى ، وقادات المسلمين من اهـــل المروؤة والتقى ، فانهم يتولون عند اصحابنا بغير حجة لانهم بمنزلة الديانة ..

وليست بمنزلة ولايـــة الاشخاص وبراءتها . الا ترى انـــك تنتقل عن ولاية الاشخاص وبراءتها بشهادة الامنـــاء ؟ وليست كذلك ولايـــة الائمـــة،لانك لا تنتقل عليها بالشهـــود وان كثـــروا » (٢٠) .

ب ــ ولايـــة الخارج من الشرك الى الاسلام . يتولى الاباضية الشخص الذي يعتنـــق الاسلام ، ويشهد ان لا الـــه الا اللـــه وان محمـــدا رسول اللـــه ، ويعلن وحدانية اللـــه تعالى وقدرته ، ويبتعد من المعاصي والكبائر . ويـــرى بعض علماء الاباضية ان المستجيـــب للدعوة الاسلامية لا يتولى حتى يبـــرأ من الجبابرة،اي الحكام والسلاطين غير الاباضية ، واذا لـــم يفعل ذلك فانهم يتوقفون عن الحكم عليـــه (٢١) .

جـ ــ ولايـــة الخارج من مذهب اهـــل الخلاف الى مذهب اهـــل الصواب : اي ولايـــة المسلم الذي كان يتبع مذهبا اسلاميا معينا ثـــم اعتنق المذهب الاباضي . وهذه الولايـــة على وجهين : ولاية المتدين ، وولاية غير المتدين . ويقصد بالمتدين الشخص العالم المجتهد المتبحـــر في شؤون الديـــن ، الذي يستطيع ان يعطي رايـــا فقهيا،او يُصدر فتوى في شان من شؤون الديـــن . وفي هذه الحالة فعلى الشخص ان يعلن توبته عن آرائـــه الخاطئة ، اي التي لا تتفق مع المذهـــب الاباضي ، ويعلن ايضا ان مبادىء الاباضية وعقائدهم هي وحدها التي تمثـــل الاسلام الحق . واذا فعل ذلك فعلى الاباضية حينئـــذ ان يتولوه ويعتبروه واحـــدا منهـــم (٢٢) .

واذا كـــان المخالف متدينا ، ولكنه صاحب بدعة،اي انـــه ينادي برأي مخالفة للعقائد الاباضية ويدعـــو الناس لاعتناق آرائـــه،واستجاب لـــه عدد من الناس ، ثم راى خلاف ذلـــك وأراد ان يتوب ويعتنق المذهـــب الاباضي ، في هذه الحالة يجب عليه ــ قبل ان يتولاه الاباضية ــ ان يذهب الى اصحابه ومـــن استجاب لدعوته ، ويخبرهم ان ما دعاهم اليه ضلال ، وانـــه تاب الى اللـــه وعاد الى رشده ، واعتنق المذهب الصحيح (الاباضي) . بعـــد ذلك تُقبَل توبتـــه ، ويتولاه الاباضية كواحـــد منهـــم (٢٣) .

امـــا اذا كان المخالف متدينا وكان صاحب بدعـــة ، ودعا اليها الناس فأضَلَّ بهـــا خلقا كثيرا ، بحيث يصعب عليه الاتصال بهم ليخبرهم عن توبتـــه ، ويعلمهم ان ما دعاهم اليه كـــان ضلالا ، فعليه في مثـــل هذه الحالة ، ان يتـــوب ، ويعمل جاهدا للدعوة للمذهـــب الاباضي ؛ عند ذلك تُقبَل توبتـــه ويتولاه الاباضية (٢٤) .

امـــا المخالف غير المتديّن ، او ما تسميه المصادر الاباضية بالمخالف المقلّـــد ، فان الاباضية يتولونه بمجرد توبتـــه ، واعلان انضمامه اليهـــم واعتناقه لمبادئهم ؛ وعليه في هـــذه الحالة ان ينطق العبـــارة التالية مخاطبا بهـــا الاباضية : « انـــا منكم ، ولِيُّ وليِّكم ، وعدوُّ عدوِّكم » (٢٥) .

٤ ـــ **ولايـــة الاطفال** . يتولى الاباضية الاطفال المولودين لاشخاص من اتباع حركتهم ، على ان يتوفر في الطفل احـــد الشروط التاليـــة :

١ ـــ المعرفـــة لدى الجماعة ان الطفل وُلِـــد على فراش ابيه . ومعنى ذلك التيقن من ان الطفل ولـــد لأب اباضي .

٢ ـــ اقـــرار الأب الاباضي ان الطفل ابنـــه اذا حضر . ويرى بعض العلماء ان شهـــادة الأب غير كافية ، بـــل يجب ان تتوثق بشهادة رجـــل اباضي آخر عدل ؛ وبعضهم اشترط شهادة رجلين اباضيين عدلين .

٣ ـــ شهادة الامنـــاء الموثوقين (الاشخاص العدول) بان شخصا اباضيا معينا لـــه اولاد ؛ عند ذلك تتحقق ولايتهـــم ، حضورا كانـــوا ام غيابـــا .

امـــا **الاطفال المخالفون** فان الاباضية يتولونهم حتى يبلغوا الحلم ، ثـــم يجري عليهم حكـــم الوقوف . فاذا ظهر منهم الوفـــاء للمذهب الاباضي تولوهم ، وان ظهر منهـــم خلاف ذلك تبرأوا منهـــم ، وحكمهم في ذلك حكـــم آبائهم من الموحدين المخالفـــين .

أمـــا أطفال المشركين فان الاباضية يتوقفون عن الحكـــم عليهـــم حتى يبلغوا الحلـــم ، فاذا أسلموا بعد ذلك واتبعوا المذهـــب الاباضي فانهـــم يتولـــون .

أمـــا أطفال العبيد الذين يملكهم شخص متولى،والموالي الاطفال اذا أعتقهـــم المتولى،ففيهم قولان : أحدهما يقول بوجوب توليهـــم ، والآخر يقضي بالوقوف حتى سن البلوغ ؛ فاذا بلغوا واتبعوا الطريـــق القويم والمذهب السليم (الاباضي) فعند ذلك يتولـــون .

أمـــا الطفل الذي يولد لامرأة مشركة اعتنقت الاسلام وتولاهـــا الاباضية،فولايتـــه واجبة . اما اذا ولـــد الطفل لابوين مسلمين،أحدهما اباضي والآخر غير اباضي،فـــان الاباضية يتوقفون عن الحكـــم عليـــه حتى سن البلوغ . فـــاذا اعتنق المذهب الاباضي تولوه،وان لـــم يفعل تبراوا منه . ويـــرى بعض العلماء ان ولاية الطفل الذي وُلِـــد لأب اباضي واجبة،باعتبار ان الولايـــة تورث من الاب دون الأم .

ومـــن أصيب بعاهة الجنون في سن الطفولة فحكمه عندما يكبر حكـــم الطفل ، اذا كان ابوه ممن لهم حـــق الولاية فانه يتولى،وان كان مشركـــا او منافقا وقف عنـــه .

واذا ارتـــد الشخص المتولى من الاسلام الى الشرك فان اولاده الاطفال يبقون في منزلتهم من الولايـــة (٢٦) .

٢ — البـــــراءة

البـــراءة عند الاباضية تعني عكس الولايـــة تماما ، اي العداوة والمنابذة والبغض ووجوب الشتم واللعنة للكافر ؛ وعـــدم الترحم عليه أو الاستغفار لـــه . والبراءة فريضة على كل مكلف في حال البلـــوغ كالولاية « حذو النعل بالنعل » (٢٧) .

وكما أن الولاية قواعدها واحكامهـــا فان للبراءة ايضا قواعـــد واحكاما يمكن اجمالها كالآتي :

١ — بـــراءة الجملة : وتعني وجوب البـــراءة من المشركين بشكل عـــام ؛ فعلى كل اباضي — تبعا لذلك — ان يبرا من اعداء اللـــه من الاولين والآخرين، من الجن والناس اجمعين الى يـــوم الدين ، معروفين او غير معروفين ، احياء كانوا ام امواتـــا . فالبراءة من الكافرين توحيد ، والترك لشيء من ذلك شرك ، والجهل بان الله أَمَـرَ بها شرك ، والانكار لوجوبها وفرضها شرك ايضـــا (٢٨) .

٢ — بـــراءة الحقيقة او براءة اهـــل الوعيـــد ، وتعني وجوب البراءة من اولئك الذيـــن توعّدهم اللـــه في كتابه العزيز ، وهـــم المذمومون في القرآن، والموصوفون بالاساءة والعصيان (٢٩) وهـــم قسمان : جملة وافراد . ومن امثلة الجملة قـــوم نوح ولوط وعاد وثمود، واصحـــاب الرس وغيرهم ممن ذكرهم القـــرآن بالسوء . اما الافراد فهم نوعـــان : مسمى مثل هامان وقارون وفرعون ، وابي لهـــب . وغير مسمى مثل الذي حاج ابرهيم ، وحمّالة الحطب ، وامراة لوط وغيرهـــم .

وبكلمـــة فان البراءة من جميع من نص اللـــه عليهم باسمائهم واوصافهم والقابهـــم من الرجال والنساء المنعوتين بالاساءة توحيـــد ، وولايتهـــم شـــرك (٣٠) .

٣ — بـــراءة الاشخاص . يعتقـــد الاباضية بوجوب البراءة من كل شخص مشهور بارتكـــاب الآثام والكبائر ؛ وهؤلاء نوعان : الاول يشمل اولئك الذيـــن يرتكبون الكبائر ؛ والكبيرة عندهم هي الخطـــا الذي يوجب الحـــدّ في الدنيا والعذاب في الآخرة، مثل الزنـــا ، وشرب الخمر ، والتولّي يـــوم الزحف، واشباه ذلك . والثاني يشمل اولئـــك الذيـــن يرتكبون الصغائر ويصرون على الاستمرار في الخطـــا رغم تنبيه اقرانهـــم لهـــم (٣١) .

وتجب البراءة من الشخص اذا تحقق فيه احـــد الشروط التالية :

١ — أن يعترف الشخص انـــه اقترف احدى الكبائر ، او انـــه استمر في ارتكاب الصغائر مدعيـــا ان هذه الامور لا تتعارض مـــع مبـــادىء العقيـــدة .

٣ ـ ان يشاهد الشخص وهو متلبس باقتراف احدى الكبائر، مثل الزنا وشرب الخمر وأشباه ذلك .

٣ ـ أن يشهد رجلان اباضيان عدلان ممن تقوم بهم الحجة في الولاية والبراءة على أن شخصا ما يستحق اللعنة والبراءة (٣٢) . ويبدو من مطالعة المصادر الاباضية أن هذه القاعدة قد وُضِعت في وقت مبكر جدا من عمر الدعوة الاباضية ؛ اذ تروي المصادر أن جابر ابن زيد (ت ٩٣هـ) سمع رجلين من أصحابه يتحدثان حتى ذكرا رجلا فلعناه . فقال جابر : « لعن الله من لعنتما ، قالا : كيف تلعن رجلا لم يثبت عندك لعنه ؟ فقال : واي ثبات اثبت من اجتماعكما على لعنه ! » (٣٣) .

٤ ـ الشهرة التي لا تُدفَع ، أي أن يكون الشخص معروفا بالسوء مشهورا به ؛ اذ ان المشهور بالشر يُبْرَأ منه بغير شهادة (٣٤) .

والبراءة من الاشخاص تكون على وجوه يمكن ذكرها كما يلي :

أ ـ البراءة من السلطان الجائر ؛ اي البراءة من الحكام المخالفين . ولا تشمل البراءة جميع من ينضوي تحت لواء السلطان ، لان بعضهم قد يكون من أصحاب المذهب الاباضي، ولكنهم اخفوا معتقدهم على سبيل التقية الدينية حتى لا يبطش بهم السلطان واعوانه . والحقيقة ان الاباضية في طور الكتمان كانوا دوما يعيشون تحت حكم « الجبابرة »، ومن هنا كانت البراءة وقفا على السلطان ومن ثبتت طاعته له بقناعة واخلاص . وتسمى دار السلطان دار الجور والظلم (٣٥) .

ب ـ البراءة من المرتد من الاسلام الى الشرك . وفي هذه الحالة يستتاب المشرك ثلاثة ايام ، فان لم يعد الى صوابه ورشده فيجب أن يجاهد ويقتل ، ولكن لا تُسبَى له ذرية، ولا يغنم له مال (٣٦) .

جـ ـ البراءة من الخارج من مذهب اهل الحق الى مذهب

اهـل الخلاف ؛ اي البراءة من كل شخص يرجع عن المذهب الاباضي الى اي من المذاهب الاسلامية الاخرى . امـا اذا تمادى هذا الشخص ولم يكتف بترك المذهب الاباضي ، بل اخـذ يطعن في اهله ويعيب عليهم ، فعند ذلك يوجب الاباضية قتلـه . يقول الجيطالي : « فمن خرج من مذهب اهـل الحق الى مذهب اهـل الخلاف ، فتولى ائمتهم ، وتبـرا من ائمـة المسلمين (الاباضية) كان واجبـا على المسلمين (الاباضية) بغضه وعداوته ، وخلع ولايتـه ، حتى يتوب ويرجع الى المسلمين (الاباضية) فيتولّى وليّهم ويعادي عدوّهم . وان خرج من مذهب المسلمين وخالفهم وطعن في مذهبهم ، وعابه منهم ، فقد حلّ قتله باي سبب وصلوا الى اهلاكه وقتلـه » (٢٧) . وقصة خردلة التي ترويهـا المصادر الاباضية من اوضح الامثلة على ذلك ، فقد جـاء شاب اباضي الى الامام جابر بن زيـد ، وسأله عن افضل انواع الجهاد ، فقـال الامام،قتـل خردلة . وكان الشاب لا يعرفه،فاراه اياه رجل من الاباضية ، فضربه بخنجر مسموم فمـات،وقبض على الشاب الاباضي واتي بـه الى الوالي فقتلـه . وكان خردلة من الاباضية ، ولكنـه خرج عليهم واخـذ يطعن في دينهم ويدلّ على عوراتهم ، فاستحلّ جابر بن زيـد دمـه ، وتـمّ قتله على النحو الذي ذكرنـاه (٢٨) .

د ـ البراءة من الاباضي المبتدع ، اي الذي يقول براي ديني او فكري مخالف لمـا يعتقده علماء الاباضية وفقهاؤهم ، ويدعـو الناس اليه ، مثال ذلك ما يرويـه المؤرخ ـ الامام ابـو سفيان من ان شخصـا اباضيا من مشايخ الكوفة كان يقول بالقدر،ويدعى حمزة الكوفـي،وقد جاء الى الامام ابي عبيدة في منزله ، فقال الامـام : « من جـاء بك الى [illegible] وإلَى مَن اذهب يا ابا عبيدة ؟ اني اريـد ان اذكرك بعض هذا الامر . قـال فعليك بمنزل حاجب (الطائي) قال : وما اصنع بـه ولـ[illegible] حاضرا ؟ قـال : فاني آتيك هناك ، قـال : فخرجا حتى اتيـا منزل حاجب . قـال : فدخلا : البيت ، فتكلما كلاما كثيرا . فكان آخر مـا سُمع من ابـي عبيدة ان قال:يـاحمزة على هذا القول فارقت [illegible] ،

قال : فخرج ابو عبيدة ، ثم كلمه حاجب . قال : فكان هيبته من حاجب اعظم من هيبته من ابي عبيدة؛ قال : فقال حمزة : انما اخذت هذا الكلام (اي القول بالقدر) من عند المسلمين (الاباضية) قال : فقال له حاجب ، لم تدرك احدا الا وقد ادركته ولقيته الا جابر فمن اخذت هذا القول ؟ قال : منك اخذته . قال : فقال له حاجب فاني ارجع عنه ،فارجع عنه كما رجعت . قال : فقال ، ارفق بي يا ابا مودود،واقبل مني ما اقول لك . قال : هات . قال : اقول ما اصابك من حسنة فمن الله،وما اصابك من سيئة فمن نفسك ؟ فالحسنات من الله والسيئات من العباد . واقول : لا يكلف الله نفسا الا وسعها . قال : فقال له حاجب : اما من غيرك فمقبول منه هذه الجملة،واما منك فانا اعرف مذهبك فيه اولا . قال : فخرج حمزة من عنده . قال : فسئل عنه حاجب فقال : ارفقوا بحمزة ولا تقولوا فيه الا خيرا ؛ قال : فمكث بذلك ما شاء الله،ثم بلغهم انه مشى الى النساء فكلمهن في ذلك ، والى الضعفاء . قال : فلما بلغ ذلك ابا عبيدة وحاجبا ، امر ابو عبيدة حاجبا ان يجمع له الناس،فمشى اليهم واعلمهم ووعدهم ، فاجتمعوا ولا يعلمون ما يريد ابو عبيدة وحاجب . قال : فتكلم المتكلمون وحاجب ساكت لا يتكلم ! قال : فلما تكلم حاجب حمد الله واثنى عليه ، ثم قال : ان حمزة وعطية والحارث (الشخصان الاخيران وافقا حمزة في مقالته) احدثوا علينا احداثا،فمن آواهم او جالسهم فهو عندنا الخائن المتهم . قال : فتفرق الناس وطردوهم من المجالس ولم يقربهم احد (٣٩) .

وقبل ان ننهي حديثنا عن البراءة واحكامها يجدر بنا ان نشير الى ان علماء الاباضية يوجبون استتابة الشخص قبل التبرؤ منه ، فان تاب بقي على ولايته،وان لم يفعل تبرأوا منه ؛ ويرى بعض المفكرين الاباضية ان البراءة لا تتم الا بعد طلب التوبة ثلاث مرات،فاذا اصر الشخص على معصيته وجبت البراءة منه (٤٠) .

٤ — الوقـــوف

الوقـــوف يعني الامساك من امضاء حُكـم — بحق ولاية شخص او مجموعة او البراءة منهـم — لعدم توافر الادلـة والمعلومات اليقينية التي توجب الولايـة او البراءة . ويرى الاباضية تبعا لذلـك — ان الناس ثلاثة فرقاء : فريق عُلِـم منه الخير ، وهو الموالاة في الديـن والعمل ، وهذا هو الولـيّ المستحق للولاية . وفريق عُلِـم منه الشر ، وهو المخالفة في الديـن بالقول والعمل ، وهذا هو المخلوع المستحق للبراءة والعداوة ؛ وفريق ثالث لم يُعْلَم منه شر او خير ، وهو الموقوف عنه حتى يثبت عليه مـا يوجب الولاية او البراءة (٤١) .

والموقوف عنه صنفـان :

١ — كل شخص بالِـغٍ لا يُعْرَف منه كفر ولا ايمان . فالفرض فيه الوقوف عن الحكـم عليه حتى يُعرَف حاله من خسير او شر ، فيستحق حينئذ الولاية او البراءة ؛ ومن امضى فيـه حكما ، سواء بالولاية او البراءة ، بغير علـم ، فهولاشك مشرك هالـك (٤٢) .

٢ — اطفـال المشركين والمنافقين . وهؤلاء يجب الوقوف عن الحكم عليهم حتى يبلغوا الحلـم ؛ فاذا شوهد منهم الايمان والصلاح فانهـم يُتَوَلَّون ، وان شوهد منهم الكفر والضلال فيُتَبَرَّا منهـم (٤٣) .

ويشـير العلماء الاباضية الى اشكال مختلفـة من حالات الوقوف مـن اهمهـا :

١ — وقوف الديـن ، او ما يسميه البعض وقوف السلامة . ويعني ذلك الوقوف عن الحكم علـى شخص غير معروف عنـه خير او شر ، كفر او ايمان ، وهـذا اشمل انواع الوقوف (٤٤) .

٢ — وقوف السؤال . وهـو ان يقوم شخص اباضي بعمل سيىء ، ويعرف عنه بعض اقرانه ذلك ، فعند ذلك يجب التوقف عن الحكم عليـه

حتى يسألوا اهل العلم والمعرفة من مشايخ الاباضية عن طبيعة ذلك العمل وكيفية الحكم فيه . مثال : أن يرى الشخص متوليا له على معصية مثل الزنا ولا يدري ما قول المسلمين (الاباضية) فيه . فيأتي اليهم ويقول :ما تقولون في رجل ممن تتولونه رأيتموه يزني ؟ (ولا يحق له ان يقول رأيت فلانا بالاسم ، لانه اذا فعل ذلك برىء منه لكونه رمى متولًى لهم بكبيرة) فاذا اخبروه انه يُبرا منه برىء منه ، أما قبل السؤال وسماع الجواب من العلماء والمشايخ فانه يتوقف عن الحكم عليه (٤٥) .

٣ ــ وقوف الاشكال . ويعني الوقوف عن الحكم على المتولّيْن ، اذا قُتل احدهما الآخر ولم يُعرف المحقّ من المبطل ؛ مثال ذلك ما جرى للحارث بن تليد الحضرمي وعبد الجبار بن قيس المرادي اللذين تَزعّما الحركة الاباضية في شمال افريقية بعد مقتل رئيسهم عبد الله بن مسعود التجيبي نحو عام ١٢٧ هـ . وقد وُجِدا مقتولين وسيف كل منهما مغمد في جثة صاحبه . ولما لم يتمكن الاباضية من معرفة الباغي منهما على الآخر ، فقد رجح لدى العلماء الوقوف على الحكم عليهما . واصبحت هذه الحالة مثالا يحتذى به في الحكم على قضايا مشابهة (٤٦) .

٥ ــ اهمية الولاية والبراءة في تطور الحركة الاباضية

يرى الباحث أن لنظام الولاية والبراءة الاثر الاكبر في تطور الحركة الاباضية واستمرار بقائها الى وقتنا الحاضر ، ويمكن اجمال اهمية هذا النظام في التاريخ الاباضي في النقاط التالية :

١ ــ لقد ساعد نظام الولاية والبراءة اتباع الحركة الاباضية على اقامة مجتمع متماسك متلاحم قائم على المحبة والاخوّة والمساعدة . ولما كانت الولاية عند الاباضية فرضا واجبا فاننا نرى الاباضي ــ تبعا لذلك ــ يقدّم اخاه في العقيدة على اخيه في النسب . وتشير المصادر الاباضية الى امثلة متعددة تؤكد هذا المبدأ ، منها ما يرويه الامام

المؤرخ الاباضي ، ابـو سفيان الذي يذكر ان شخصا اباضيا يدعى المعتمر بن عمارة جـاء الى ابي عبيدة مسلم بن ابي كريمة التميمي ثاني ائمـة الكتمان في البصرة خلال القرنين الاول والثاني الهجريين ـ وقال لـه : انك لأحبُّ الي من ابي . فقال ابـو عبيدة : « هكذا ينبغي لـك يـا معتمر أن تكون ، لانك بذلت لي ما لم تبذل لـه ، اي الولاية » (٤٧) . وهناك امثلة اخرى كثيرة في هـذا الصدد منها ما يرويه ابـو سفيان ان ابـا الحر ـ احد مشايخ الاباضية في الحجاز في القرن الثاني الهجري ـ كان في المسجد جالسا في حلقة لـه ، فقدم اخوه الحسن من العـراق . فاقبل يريده حتى جـاء الى الحلقة فسلم على اخيـه ، ولكن ابا الحر لم يقم من مجلسه ، واكتفى بأن اخذ بيـد اخيه وهو جالس ، على الرغـم من انـه لم يره منذ فترة طويلة ! وبينما هـم كذلك ، اطلَّ رجل اباضـي من اهل عمان ، فلما نظر اليه ابـو الحر ، هبَّ قائما وخرج من الحلقـة ، فتلقاه وعانقه وقبَّل صفحتي عنقه ، ورحّب بـه ترحيبا كبيرا . فتأثر اخوه لمـا رآه ، وعاتب ابـا الحر على الاستقبال الفاتر الذي ابداه نحـوه ، مقارنة بما فعل مع ذاك الاباضي العماني . فقال ابـو الحر « مودة هذا (اي الاباضي العماني) على غير مودتك ! لان مودة هذا على الديـن والولاية ، امـا مودتك فعلى النسب » (٤٨) .

ولـم تقتصر المودة والمحبة بين اتباع الحركة الاباضية على مثل هذه المظاهر التي اشرنـا اليها ، بل تعدتها الى النواحي العملية الاخرى ، فقد كان الاباضية الاغنياء يتسابقون في مـدّ يـد العون للمتولي الفقير منهم . وهناك امثلة كثيرة في هـذا الشأن تزخر بها المصادر الاباضية ، منها ما يقوله ابـو سفيان : « سمعت بعض مشايخ من ادركت يقولون : انـا لنذكر اذا دخل شعبان ، إن كان الفقراء من المسلمين (الاباضيـة) لتاتيهم الاحمال بالسويق والتمر وما يصلحهم لشهـر رمضان ، ولا يعلمون من بعث بهـا . ياتي الرجل بالجمال حتى يقف بـه على باب الدار فيقول : ادخـل ، فيكتب في خرقة كلـوا واطعموا » (٤٩) . ويروى ان شخصا من الاباضية يدعى ديال بن زيد « كـان يستأجر الاكسية مـن

البرد الشديد .. بالف درهم او اقل او اكثر ، وليس عنده منهـا شيء ، وانما يتكل على اللـه ، وعلى المسلمين (الاباضية) ثم يفرقها بـين الفقـراء،ويجمع ثمنها بعد ذلك من اغنيـاء المسلمين (الاباضيـة) وكرمائهم » (٥٠) . وكـان الداعية الاباضي ، ابو الخر ، موسرا جـدا ، وتنيه غلّته سنويا « فيقسمها نصفين ، فيفرق نصفها في فقراء المسلمين (الاباضية) وفي معاونتهم » (٥١) . ولـم تقتصر الموالاة بين اتباع المذهب الاباضي على الاحياء منهم،بل تعدتها الى الاموات . فاذا كـان الميـت متولى لهم ومات وعليه دَين،فان اصحابه يتسابقون في دفـع الدَين عنه . يقـول ابـو سفيان : « مـات حاجب وعليه ديـن مئتـان وخمسون الفـا او اكثر (دراهم) قال : فدخل قرة بن عمر وجماعة من المسلمين ليغسلوه ... فقال لهم قرة : يـا قوم ، ما تقولون في ديـن هذا الرجل ؟ فابتدر ثلاثة رجال،وقرة رابعهم،وضمنوا دينـه . ودخل الفضل بن جندب،وكـان من خيار المسلمين (الاباضية) وكـان موسرا فاخبروه ، فقال لهـم الفضل : دينه عليّ دونكم حتى اعجز عنـه ، ولا يبقى لي مـال » (٥٢) .

وهكـذا فان نظام الولاية وما يوجبه من مساعدة ومؤازرة ومؤاخاة قد جعل من الجماعة الاباضية اسرة واحدة متماسكة متضامنة،تسيطـر على افرادها روح المحبة والمـودة والتفاني في خدمة العقيدة والمؤمنين بها .

٢ ــ لقـد ادى نظام الولاية والبراءة الى ان يتّخـذ الاباضيـة موقفا متحفّظاً جـدا من الصحابة الاوائـل ، فانكروا ان بعضهم مبشّر بالجنة ، وكفّروا آخرين كفر نعمة وليس كفر شرك ، وتبرأوا منهـم ؛ كما فعلوا مع عثمـان وعلي وطلحة والزبير (رضي اللـه عنهـم) وغيرهـم (٥٣) .

٣ ــ ساعـد نظام الولاية والبراءة الاباضية في شمال افريقيـة على المحافظة على عقيدتهم رغـم التحديات الكثيرة التي تعرضوا لهـا منذ سقوط الدولة الرستمية الاباضية على ايدي الفاطميين نحو عام ٢٩٧هـ .

وبدلا من التغاذل والياس والخضوع لمخالفيهم فقد انسحب الاباضية الى مناطق نائية، واستغلّوا مبدا الولاية والبراءة الى ابعد الحدود، واقاموا مجتمعات اباضية متماسكة، تسودها المحبة وتسيطر عليها روح الجماعة .

وانشاوا هيئة العزابة التي تشبه في مهماتها وسلطاتها مهام مشايخ البصرة في طور الكتمان، ابّان القرنين الاول والثاني الهجريين (٥٤) . وكانت العزابة تقوم بالإشراف الكامل على شؤون المجتمع الاباضي طيلة عدة قرون . وكان شيوخ العزابة يطبقون الاحكام على جميع الافراد « دون ان يشذ منهم شاذ ، او يتكبر عليهم متكبر » . وكان سلاحهم في تنفيذ احكامهم مبدا الولاية والبراءة . ولولا هذا المبدا لظهر التمرد عليهم والاستنكار لهم (٥٥) .

د. محمد خليفات

الهوامش :

(١) حول مزيد من التفاصيل عن معاني الولاية ، انظر ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، بولاق ، ١٣٠٧ هـ ، ج ٢٠ ، ص ٢٨٧ وما بعدها .

(٢) ابو تمام ، **الحماسة** ، ج ١ ، ص ٩ (نقلا عن يوسف خليف ، **الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي** ، ص ٩٢ ، ملاحظة رقم (١) .

(٣) المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٦٤ .

(٤) يوسف خليف ، **الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي** ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ٨٦ — ١٠٣ .

(٥) ابن هشام ، **السيرة** ، تحقيق مصطفى السقا وزملائه ، القاهرة ، ١٩٥٥ ، ج ١ ، ص ٣٥٠ .

(٦) ترد في القرآن الكريم آيات كثيرة تأمر المسلمين بموالاة بعضهم بعضا والبراءة من اعدائهم وان كانوا اقرب الناس اليهم . مثال ذلك قوله تعالى : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » . سورة التوبة آية ٧١ ، وقوله تعالى : « لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ، ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون » سورة التوبة ، آية ٢٣ .

(٧) في شأن هؤلاء الثلاثة قال الله تعالى : « لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤوف رحيم . وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه . ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله تواب رحيم » سورة التوبة ، آية ١١٦ — ١١٧ .

(٨) حول التنظيم السري الاباضي في القرنين الاول والثاني الهجريين انظر كتابنا : نشأة الحركة الاباضية ، ص ٨٦ وما بعدها .

(٩) شماخي : سير ، ص ١١١ — ١١٢ .

(١٠) جيطالي ، **قواعد الاسلام** ، المطبعة البارونية ، ١٢٩٧ هـ ، ص ٤٧ .

(١١) شماخي ، شرح عقيدة التوحيد ، القاهرة ، ١٣٥٣ هـ ، ص ٤٨ ، ٦٤ ، ٨٢ — ٨٤ ، عمرو بن جميع ، عقيدة التوحيد ، القاهرة ، ١٣٥٣ هـ ، ص ٦٦ ، جيطالي ، قواعد الاسلام ، ص ٤٣ — ٤٤ .

(١٢) جيطالي ، قواعد ، ص ٤٣ .

ص ٦٤ ، جيطالي ، قواعد ، ص ٤٣ .

(١٣) شماخي ، شرح عقيدة التوحيد ، ص ٦٥ ، عمرو بن جميع ، **عقيدة التوحيد** ، ص ٦٤ ، جيطالي ، قواعد ، ص ٤٢ .

(١٤) جيطالي ، قواعد ، ص ٤٤ .

(١٥) شماخي ، **شرح عقيدة التوحيد** ، ص ٧٢ ، جيطالي ، **قواعد** ، ص ٤٤ ، ٥٢ .

(١٦) شماخي ، **سير** ، ص ٢٢٨ ، أنظر مثلا آخر ص ٢٣٢ .

(١٧) جيطالي : **قواعد** ، ص ٤٨ — ٤٦ .

(١٨) المصدر نفسه ، ص ٤٤ — ٤٥ .

(١٩) الامام الملح ، **جوابات** ، ق ٢ ، ص ٥ (نقلا من نسخة بمكتبة الشيخ يملكها الشيخ محمد المغربي) .

(٢٠) جيطالي ، **قواعد** ، ص ٥٤ .

(٢١) المصدر نفسه ، ص ٤٦ ، شماخي ، **شرح عقيدة التوحيد** ، ص ٧١ — ٧٢ .

(٢٢) جيطالي ، **قواعد** ، ص ٤٧ .

(٢٣) المصدر نفسه .

(٢٤) المصدر نفسه ، ص ٤٨ .

(٢٥) المصدر نفسه ، ص ٤٧ .

(٢٦) من ولاية الاطفال انظر ، جيطالي ، **قواعد** ، ص ٥٠ — ٥٣ ، شماخي ، **شرح** ، ص ٧٥ .

(٢٧) جيطالي ، **قواعد** ، ص ٥٦ ، شماخي ، **شرح** ، ص ٤٨ ، علي يحيى معمر ، **الاباضية في موكب التاريخ** ، ج ١ ، ص ٨٦ .

(٢٨) جيطالي ، **قواعد** ، ص ٥٦ — ٥٧ ، عمرو بن جميع ، **عقيدة التوحيد** ، ص ٧٤ — ٧٥ .

(٢٩) عمرو بن جميع ، **عقيدة التوحيد** ، ص ٧٥ .

(٣٠) شماخي ، **شرح عقيدة التوحيد** ، ص ٧٥ ، جيطالي ، **قواعد** ، ص ٥٨ ، عمرو بن جميع ، **عقيدة التوحيد** ، ص ٧٦ .

(٣١) السالمي ، **مشارق انوار العقول** ، القاهرة ، ١٣١٤ هـ ، ص ٢٧٠ وما بعدها ، ص ٣٧٨ — ٣٨٠ .

(٣٢) المصدر السابق ، ص ٣٨٠ ، جيطالي ، **قواعد** ، ص ٦٢ — ٦٣ .

(٣٣) الدرجيني ، ج ٢ ، ص ٢١٣ ، شماخي ، **سير** ، ص ٧٣ .

(٣٤) جيطالي ، **قواعد** ، ص ٦٣ (من ابي المؤثر) .

(٣٥) المصدر نفسه ، ص ٥٨ .

(٣٦) المصدر نفسه ، ص ٥٩ .

(٣٧) المصدر نفسه ، ص ٦١ .

(٣٨) شماخي ، **سير** (ص ٧٥ — ٧٦ ، المعارتي ، **العقود الفضية** ، ص ١٠١ — ١٠٢ .

(٣٩) الدرجيني ، ج ٢ ، ص ٢٤٤ .

(٤٠) المصدر السابق ، ص ٢٨١ (عن أبي سفيان) ، جيطالي ، قواعد ، ص ٦٣ — ٦٤ .

(٤١) جيطالي ، قواعد ، ص ٦٩ .

(٤٢) المصدر نفسه .

(٤٣) البسالي ، مشارق ، ص ٢٨٢ وما بعدها .

(٤٤) المصدر نفسه ، ص ٢٧٢ .

(٤٥) المصدر نفسه ، ص ٢٧٢ ، جيطالي ، قواعد ، ص ٧١ .

(٤٦) أبو زكريا ، السيرة ، مخطوط ، ورقة ٩ ، البرادي ، الجواهر ، ص ١٧٠ ، شماخي ، سير ، ص ١٢٥ .

(٤٧) الدرجيني ، ج ٢ ، ص ٢٤٥ .

(٤٨) المصدر نفسه ، ص ٢٧٢ .

(٤٩) شماخي ، سير ، ص ١١٤ .

(٥٠) المصدر نفسه ، ص ١١٤ .

(٥١) المصدر نفسه ، ص ١٠١ .

(٥٢) الدرجيني ، ج ٢ ، ص ٢٥٠ .

(٥٣) القلهاتي ، الكشف والبيان ، مخطوط ، ورقة ٨٥ — ١٠٦ ، الازكوي ، كشف الغمة ، مخطوط ، ورقة ١١٢ وما بعدها ، البرادي ، الجواهر ، ص ٥٣ وما بعدها ، شماخي ، سير ، ص ٣٠ وما بعدها ، انظر كتابنا ، نشأة الحركة الاباضية ، ص ٥٧ — ٦٣ ، ١٧٢ — ١٨٠ .

(٥٤) يقوم المؤلف باعداد بحث عن نظام العزابة سوف ينشر في مجلة المؤرخ العربي التي تصدرها الامانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب في بغداد .

(٥٥) علي يحيى معمر ، الاباضية في موكب التاريخ ، ج ١ ، ص ١٠٨ — ١٠٩ .

الباحثون الايطاليون ودراسة التاريخ العربي

للمستعرب الايطالي الأستاذ أومبرتو ريتسيتانو

ترجمه عن الايطالية : عيسى الناعوري
(الأمين العام لمجمع اللغة العربية الأردني)

تمهيـــد

هـــذه المراجعة الموجزة لمشاركـــات الباحثـــين الايطاليين في حقـــل (التاريخ العربي) خاصـــة ، لا تشمل الاشارة الى المؤلفـــات ذات الطابع السياسي والديني ، لان ذلك اكثرُ اتصالا بموضوع الاســـلام بحدوده الواسعة ـــ والدراسات الاسلامية تدخل في نطاق ما يدعى باسم ((الاستعراب الاسلامـــي)) ، الواسع الاستعمال ـــ غير ان وجود فصل في هـــذا البحث حول (الدراسات الاسلامية) ، كان القصـــد منه ان يُحول دون اي تحديـــد لا ارادي قد يقع عند الحديث عن حضارة ـــ كالحضارة العربية الاسلامية ـــ كثيرًا ما يتعذّر معهـــا فصل المسيرة التاريخية عن تطوّر العقيـــدة ونموّهـــا .

وبالنسبـــة الى الاساس الذي سرنا عليـــه في تقديم المعلومات هنا ، نذكر انـــه ، من اجل ترتيب افضلَ لهذا البحث ، كان لا بـــدّ من التضحية بالتسلسل التاريخي للمشاركات الفردية المختلفة ، لمحاولة اتباع تسلسل الفترات التي اثرنـــا تحديدها زمنيًا ؛ واعني ان تلك الفتـــرات التي تبدأ بالعهد الجاهلي ، ثم تمـــرّ بالنبي محمـــد ، وخلفائه الراشدين الاربعة ، والخلافة الامويـــة ، ثم العباسية ، الـــى سقوط الخلافة في

بغداد عـام ١٢٥٨ ، قد تلاها الانحطاط ، او الركود ، الذي غلب على العـرب حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، حين بدأت في بعض الاقطار العربية ، الافريقية والآسيوية، تباشير عهـد النهضة . وعند عصر النهضة بتوقف حديثنـا .

• • •

حَوْلِيّـات الاسـلام :

في الوقـت الذي تتناوله مراجعتنا الموجزة هذه ، من حيث الترتيب الزمني ، تُبْرَز بين المستعربين الايطاليين والاوروبيين شخصية عملاقـة ، هي شخصية ليوني كائيتاني . ففي الاعوام التي تَلَـت الحرب العالمية الاولى مباشرة ، نجده ينصرف من جديد الى عملـه في (حَوْلِيّات الاسلام) التي كان قد انقطع عنها بتطوّعه في الجيش . ونحـن نحيل من يُوَدّون معرفة شيء عن اسرة كائيتاني الشهيرة ، وابنهـا العبقري الفـذّ ، الى كتاب فرانشيسكو غبريلي «(آخر آل كائيتاني)» كما نقتـرح على من يدفعهم الفضول الى معرفة البيئـة التي وُلِدَت وتطوّرت فيها تلـك (الحوليات) ان يقرأوا — ان لم يقرأوا بعـد — الصفحات الرائعة ذات الطعم الغَسَقِيّ ، التي كَرّسها جورجيو ليفي ديلاّ فيدا في كتابـه (سقف الحوانيت المظلمة) ، ففي هذا الكتاب اهتـمّ ذلك العالم باللغات السامية والمؤرخ الشهير للاسلام ، بالاصالة والدِقّة اللتين عُرِفَت بهمـا ابحاثه ، بان يُبْرِز المزايا العديدة والهَنات الضئيلة لعمل كائيتاني الجبار ، والنتائج العميقة والحواشي النيّرة التي أَلَفَّتْ معا تحليلا ناقدا من ادقّ الاعمال التحليلية وأصوبها . وقد أوصله الى ذلك اطّلاعُه التاريخيّ والدينيّ العجيب ، وكذلك ما لا يجوز إغفاله من انه كان ، هو وبعضُ المستعربين الآخرين ، بين الذين تعاونوا في العمل مع كائيتاني تعاونا فعالا . ولهذا نرى انّ من الادّعاء الذي لا يُغْتَفَر ان نحاول اضافة شيء افضل او اكثر مما جـاء في الكتابين المشار اليهما ؛ونعترف باستحالة فحص كل محتويات (الحوليات) ، لان هـذا لا يستطيعه الاّ مَن قـرأ قراءةً كاملة كـلّ الصفحات الـ ٧٠٠٠ من تلك الحوليات . ولذلك نكتفي بأن نذكـر في هذا المقام ضمن ايـة حدود زمنية وتاريخية يَجري القسمُ الاكبـرُ

من عمـــل ذلك المؤرخ ، دون ان نتغاضـــى عن إبراز بعض مزاياه الكثيرة ، رغم ما نخشاه ، بل نحن واثقون منه ، من تكرار مـــا اعتمّ كتابَتَهُ ليفي ديلاّ فيدا وغبربيلـــي .

ونحـــن نتّفق تماما مع ليفي ديلا فيدا في اعتبارنا انـــه « اذا كانت أولى نوايـــا كائيتاني التفكير في جعل عملـــه يقتصر على جمع المـــواد وعرضها ، فهو خلال ذلك قد شعر بدافع لا يُقاوَم الى التمحيص والبنـــاء ، فاضاف بذلك الى عملِ جامعِ الوقائع : عملَ المؤرخ » . والواقع انـــه منذ الجزء الاول الخاص بتاريخ العرب في الجاهليـــة ، وتحديدا لا بأس بـــه من سيرة الرسول ، بـــدا جليًّا ان كائيتاني كان يعتزم ان يجعل عمله اكثر اتساعًا واحاطةً مما كـــان العنوان يسمح باقتراحـــه . وهـــذا التمحيص للمصادر الذي التزم بـــه المؤرخ منذ البداية ، ازداد دقـــة في الأجزاء التاليـــة التي زوّدها بكثير من التنبيهات الخطيرة والمفيـــدة ، وذات الطابع البنائي . ولقد شَجَّعه ما لقيـــه من تأييد كبار الباحثـــين ، ولم يُثبّط همته ما لقيـــه احيانا من النقد الذي لا بـــدّ منه . ومضى كائيتاني يعمل بهمة نشطة وحماســة متواصلة في نشر الجزاين الثالث والرابـــع ، وهو يزداد يقينـــا من ان الخطّة الجريئة التي اختطّها ليجمع في عشـــرة اجزاء احداث ما يزيد عن ٩٠٠ سنة مـــن التاريخ (اي حتى احتـــلال العثمانيين لسوريا ومصر ، سنة ٩٢٩ هـ . ١٥١٧ م .) كان لا بـــدّ من تعديلها تعديلا اساسيا . وقد عَبَّـــر عن تلك الضرورة بصراحة نفسي مقدمة الجزء الخامس حيث يقـــول : (ان وفرة المـــوادّ تستمرّ في تلبية التوقّعات المتكررة حول عـــدد اجزاء الحوليات . . . وسيظل البعد حجة لانتقاد الابعاد التي ما تني تأخذها ... لان استمرار العمل على قاعدة شديدة الاتساع ، يزيد من صعوبة إنجازه . . .) .

ويتبـــع كائيتاني تصريحه هذا بتوقّعٍ ، لا شك في انـــه اكثر واقعية من ذلك الذي سبق ان تكوّن لديـــه حين شرع في تنفيذ تلك المهمـــة الموسوعية ، وهو انـــه من الممكن ان يصل بعشرين مجلّدا أخرى الى نهاية العهد الاموي . « لقد عُملتَ حسابا — كما يقول بعدئذ — بالنفس

لـو استطعت الثقة من ان اعيش عشريـن عاما اخرى مـن العمل الجاهد ، وبالمساعدة النشيطة التي يُقدِّمها لـي بعض المعاونين القديرين ، فلربما استطعت ان أُقـدِّم للطبع نحو عشرين كتابا مثل تلك الكتب التي صدرت حتى الآن . . . مستمرًّا على غرار تلك الكتب السابقة دون تغيير في الطريقة او النوع . ان النتيجة واضحة : فحياة انسان بكاملهـا ، اذا كُرِّسَت لهذا العمل ، قـد تبلغ بالحوليات الى بدايـة الخلافة العباسية فقط ، دون ان تمسَّ كلّ عصور التاريخ الاخـرى ... لهذه الاعتبارات وسواها ، مما أُريحُ القارئ من سرده ، توصلتُ الـى ان أُقرِّر الشروع في طبع كتاب آخر ، تكميلي ، او على الاصح ، مُكَمِّل ، يكون الصـورةَ او الشكل التحليلي تقريبا للعمل الاكبر ... » . ومـن هناك نشأت (الوقائع الاسلامية) التي استُخْدِمَتْ فيهـا ، في موجزات اخبارية ذات صلة بتاريخ الشعوب الاسلاميـة ، الجزازاتُ التي لا عُـدَّ لها مما جمعه خلال إعداده لعمله الكبير . غـير ان كائيتاني لم يستطع ، حتى مع هذه المهمـة الجديدة التي وُقِفَتْ عند عـام ١٤٤ هـ / ٧٦٢ م ، ان يُحقِّق ما كان قد حَزَم امره عليه من الوصول الى حدود عـام ٩٢٩ هـ / ١٥١٧ م ، كما كانت نيّتـه الحازمة ، بل ظَلَّ ذلك مرةً اخرى طموحًـا وهَيِّبًا . ولم تكن اقـلّ وَهْمًا كذلك ـ كما تَجلَّى بعدئذ في ما يتعلـق بالحوليات ـ توقعاتُ المؤرخ حول (الوقائع) ، فانـه لم يُكمل بَعْدَ ذلك من عمله العظيم اكثر من خمسـة اجـزاء اخرى ، بلغ معها العمـل الى الجزء العاشر ، الـذي وصل الى سنة ٤٠ هـ / ٦٦١ م (نهاية خلافة علـي) . وهذا يعني اقـلّ من ثلث ما كان قد خَطَّط لـه بجرأة حماسية .

ان هـذه الحوليات ، التي اعاد كائيتاني نشر بعض موادّهـا في جزأي كتابه (دراسات في التاريـخ الشرقي) ، سرعان ما لقِيَتْ تقدير الاوساط العلمية الاستشراقية وغيرها ، في ايطاليا وفي الخـارج ، وليس فقط للعمل الجبار في جمع اكثر من مئـة وخمسين مرجعا تاريخيا ، وتاريخيا لديبـا ، ونُرْزها (واغلبُها ما يزال غير مطبوع) بـل لاعتبارها ايضا مرجعـا لا مثيل لـه في الحقيقة ، لمعرفة العهـد الاسلامي الاول ،

وللاعتبارات النقديـــة والتمحيصية المديـــدة ، والحدس العبقـــري ، والفرضيات المغرية المبثّة في ثنايا ترجمات النصوص او تلخيصاتهـــا . ولئـــن كانت مواقفُ الباحث المتساهلة جـــدًّا مع الايجابية التاريخية ، ونَقْدُه العنيد لقيمة الابحاث التاريخية التقليدية في شؤون الاســـلام . لم تَلْـــقَ اصداءً حسنة لدى المختصّين ، فـــان هؤلاء انفسهم ، حتـــى في عـــدم اتفاقهم معه ، قد ابدوا اعجابهم الشديد بمواهبه ومقدرتـــه العلمية ، واثنوا دائما على المثابرة والدأب اللذين ابداهما في قيامـــه بتلك المهمـــة التاريخية ، مُشيدين بنشاطه في التنقيب التاريخي ، وعكوفه على البحث الدائب ؛ ناهيك بالثناء علـــى الروح التي تَحَلّى بهـــا في اعادة صياغة المـــادة الخام التي كان يعثر عليهـــا .

لختـــام هذا الحديث نضيف الى ما تقدم ان (حوليّات الاســـلام) ، حتى في نموها المحـــدود في هذه الوقائع باجزائها العشرة ، قـــد رَدّت الاعتبار والفضل الى الدراسات العربية والاسلاميـــة في ايطاليا ، بعد ان فَقَدَت قيمتَها الصحيحة في حقـــل الحوليات التاريخية منذ (الحوليات الاسلامية) العشوائية التي كان قد جمعها (ج . رامبولدي — ميلانـــو ١٨٢٢ — ٢٥) والتي لا يستطيع حتى النقـــدُ المتساهل ان يُنسمـــي عليها ولـــو قيمةً ضئيلة من الاصالـــة .

وفي ســـنـــة ١٩٢٦ ، سنة ظهور الجزء الاخير من الحوليـــات ، كان قد صَحَّ عـــزم كائيتاني على مغادرة ايطاليا ، لاسباب مختلفـــة . وقد نَفَّـــذ عزمه ذاك ، ولكنْ بعد ان قرّر ان يَعْهَـــد بمؤلفاته ومـــوادّه الدراسية الاخرى الى (مؤسســـة كائيتاني) التـــي أُنشئت في الاكاديمية الايطالية (اكاديمية الفهـــود) وكان الغرض من ذلك رغبته في ان يهيئ للباحثين الآخرين الشهادات الناطقة بتكريس عشرين سنة من عمـــره لدراسة التاريخ العربـــي . وربما كان يأمل — املاً لم يتـــمّ ، مع الاســـف — ان يقوم غيره باكمال عملـــه .

ـــع التسلسل التاريخي :

ونمضـــي نحو الهدف الذي رمينا اليه واعربنا عنـــه في ما تقدم ، من أن نسير في دراستنـــا السريعة ، مُتَوخّين قبل كل شيء تتبُّع الاحداث التاريخية ، فنرى من المناسب ان نبـدأ بإبراز الاعمال التي تجـد فيها جميع قرون التاريخ العربي الثلاثة عشر ، او الاربعة عشر ، او قسما كبيرا منهـا موجزة في رؤية اجمالية . ومن هذه نستدلّ علـى المنشورات الثقافية الجديرة بالاعتبار ، والتي تقوم الجدّية العلميـة ، وثقافة المؤلفين الواسعة ، ضمانةً كافية لصلاحها واهليتهـا .

اولُ محاولـــة لجمْع تاريخ مثل هذا العدد الكبير من القرون ضمن حدود ضيّقة ، قامت بها السيدة لاورا فيتشيا فاليري . ففـي الفصل الذي عقدته على (العـرب) والمنشور في كتاب (حضارات الشرق) ، وضعت خطوطا لرسم سريع وكامل لتاريخ ذلك الشعـب ، واستطاعت ان تُجرّد التاريخ مما لا حاجةَ اليـه في مثل هذه الابحاث التاريخية . وكان اهـمّ من ذلك كثيرا اهتمامُ مستعربتنا هذه في كتابهـا (الاسلام ، من محمـد الى القرن السادس عشر) بأن لا تستعرض تاريخ العـرب فحسب ، بل توجـز خصائص الاسلام التاريخية ، والدينية ، والثقافية ، وكذلك الادبية والفنية . انهـا لدراسة واسعة للعالَم الاسلامـي ، دون استثناء لعناصره الفارسية ، والبربرية ، والتركية . وهذه الدراســة تجـد ختامها المنطقيّ في بدايـة القرن السادس عشر ، فتلتقي زمنيًّـا بِعَنْمَنَة العالم العربي المتوسّطي . وهذا ما لم تستطـع ان تصل اليه (حوليات الاســلام) ، كما اوجزنا في ما تَقَـدّم .

امـا فرانشيسكو غبريلي ، الذي ستتوالى في هذه الدراسـة الاجمالية وفي غيرهـا الاشاراتُ الى جهوده الجبارة في حقـل الدراسات الاستعرابية ، والاسلامية ، والفارسية ، فقد صادفَ بكلّ جـدارةٍ نجاحا كبيرا بكتابه (العـرب) ، الذي يستحقّ التقدير الكبير لحسـن توزيعه للمـواد ، ووضوح عَرْضه حتى للأحداث العربية التي لا يتـاح الوضوح في عرضها الا لقلّـةٍ من المتفوقين ، وكذلك لبعض اللمحـات

الشخصية التي لا يصل اليها بسهولة غير العالِم المتخصّص . ومزايا هذا الرسم الجانبيّ الكامل للتاريخ ، المرسوم في ضوء رؤية دؤوبة ممحّصة نقادة ، من اقدم العصور الى ايامنا هذه ، يؤكّدها ان هذا الكتاب سرعان ما تُرْجِمَ الى الانكليزية والفرنسية والالمانية . ولا يختلف عن هذا الكتاب ، من حيث التقسيم التاريخي ، كتابٌ آخر هو (العرب ، من العصر الجاهلي الى اليوم) ، لأُومبرتو ريتستانو . فبعد استعراض وافٍ لا بدّ منه للأحداث التاريخية العربية من الوثنية الى العصر الحديث ، نجد احدثَ الظروف والشؤون العربية معروضة عرضا وافيا ، ومنها ما لا يزال الى اليوم يفرض نفسه على اهتمام العالم الغربيّ — غير الواعي دائما ، مع الأسف — . واخيرا سنذكر في هذا العرض السريع للملامح الشاملة لأحداث الشعب العربي التاريخية ، ان لفظة (عرب) والفقرات الخاصة بعِلْم الأعْراق ، وبتاريخ اسم (الجزيرة العربية ، في (دائرة معارف تريكّاني) قد حرَّرَها جورجيو ليفي ديلاّ فيدا ، وهي تحمل الخصائص المتميزة للمعلومات السريعة الحسنة التبويب ، والتي لا تعرف التعميمات السهلة .

الجزيرة العربية :

من السهل ان يُدرك المرءُ ان الجزيرة العربية ، قبل ان يُجَدِّد الاسلامُ مجتمعاتِها القائمة على البناء البدويّ ، والخاملة الى حد ما ، والتي تُعْوِزنا معرفتها لندرة المعلومات والوثائق ، وتصعب معرفة بعض مظاهرها الفريدة ، قد كُتِبَت فيها الابحاث والرسائل العلمية ذات الطابع التاريخي في اساسها . وهذا ما عُتِمِدَ عليه الفصل الاول من (تاريخ الدين الاسلامي) لميكيلانجيلو غويدي . واكثرُ من ذلك الفصلان الأوّلانِ من كتابه الذي نُشِر بعد وفاته بعنوان (تاريخ العرب وثقافتهم حتى وفاة محمد) الذي جاء تمهيدا لا بدّ منه لحديثٍ اشمل حول ثقافة العرب . ولكن هذا الحديث لم يُكْمَل بسبب وفاة المؤلف المبكرة . ومع ذلك لم يُخْلُ الكتاب المذكور من عَرْضٍ كافٍ للبيئة الاجتماعية التي تكوّنت فيها هذه الثقافة في اقدم الازمنة . وكان غويدي

بهي هذه الحاجة ، فرسم للجزيرة في وقتها لوحة امينة بقدر الإمكان ، استنادا الى المادة التاريخية الواسعة التي استطاع ان يُجْمِعَها خلال سنين عديدة ، ويُقيِّمها بحسّ تاريخي عجيب ، وبروح مجرّدة من كل شكل من اشكال النقد الاعتباطي الذي لا مبرّر له ، مع ان الكثير منهما خرافي .

وهناك اعمال اخرى لباحثين قديرين اقتصرت تماماً على الجزيرة العربية في جاهليتها . وان الواجب ليدفعنا الى ان نذكر في مقدمة هؤلاء الباحثين اغناطيوس غويدي ، الذي جُمِع تحت عنوان (الجزيرة العربية قبل الاسلام) اربع محاضرات القاها بالفرنسية عام ١٩٠٩ في جامعة القاهرة ، حيث دُعي لالقاء دروس في الأدب الجغرافي والتاريخي واللغوي عند العرب . واذا لم يكن هنا المجالُ لتذكير المختصّين بمزايا هذا المستشرق العظيم ، وفضلِهِ في مختلف حقول الساميّات المتعددة ، فاننا نرى من فضول القول ان نؤكّد ما لهذه المحاضرات الاربع من قيمة رفيعة ، يستطيع ان يُلْمَسَها حتى الجاحدون ، حول مهد الحضارة العربية في شمال شبه الجزيرة وجنوبها . وهي تؤكد ما لاغناطيوس غويدي من مقدرة فريدة على تحويل المادة الجافّة المتعلقة بظروف الثقافة العامة ، الى عمل علمي .

غير ان الباحث الذي انقطع في الماضي القريب ، وبشكل يكاد يكون مضرب المثل ، الى صرامة البحث العلمي في دراسة الجزيرة العربية قبل الاسلام ، كان كارلو الفونسو نَلّلينو ، الذي جُمِعَت آثارُه العلميّة في هذا الحقل الخاص ، بعد نَشْرِها في مجلات عديدة — ولم يُنْشَرْ بعضها من قبل — في المجلد الثالث من مجموعة اعماله العلمية ؛ وقد نُشِرَت هذه المجموعة بعد وفاته في ستة مجلدات بعنوان (مجموعة كتابات منشورة وغير منشورة) . والباحثون في علوم العربية والاسلاميات ، المختصون بدراسة مهد الاسلام من المستشرقين وغيرهم ، يعيد الى اذهانهم اسمُ نَلّلينو كثيرا من الكتابات الفنية حول العقيدة الاسلامية ، ومن الاشارات القاطعة حول وجود الادب في الازمنة القديمة . ومن

ذلك بحثه بالفرنسية تحت عنوان (هـل كانت لمصر صلات مباشرة بجنوب شبه الجزيرة العربية قبـل عصر بطليموس ؟) واكثر من ذلـك ابحاثه الاخرى الخاصة (بالعربيـة السعيدة) التي انفصلت عن شبه الجزيرة بتركيبها الاجتماعي والدستوري ، ومنها (اليمـن في العصر الجاهلي) ، ويكمله ايضا (اليمن في العهـد الاسلامي) ؛ وهما بحثان متميّزان وكبيرا القيمة ، كَتَبَهُما حول كلمة (اليمن) لدائرة معارف تريكّاني . وفي مقالات اخرى عديدة مدوّنة في الجـزء المشار اليه من (مجموعة كتابات) ـ ولم نذكرها هنا ، لانهـا سَبَقَت الاعوام الخمسين التـي تتناولها هذه الدراسة ـ نجـد اشاراتٍ متلاحقة الى (الجاهليـة) . ونحن نجـد للجاهلية تاريخا كاملا في (الجزيرة العربية قبل الاسـلام) .

ولكن هـذا الكتاب ، بحكم الاهداف التعليمية التـي وُضِع من اجلها ، يختلف عن سابقاته بعرضه السهل ، الذي تَخَلَّص عَمْـدًا من التقنية الزائدة ، ولكنـه دون ريب بعيد جـدا عن الضعف او عـدم الاتقان ؛ فلقد كان هذا المعلّـم الشهير ابعدَ ما يكون عن الضعـف وعـدم الاتقـان .

وفي وثنيـة الجزيرة العربية نجـد كتاب (الجزيرة العربية قبـل الاسلام : التراث العربي) ، وقد وضعه ليفي ديلا ڤيدا باللغـة الانكليزية . وبعد أن يرسم المؤلف لوحة رائعة لمهـد الاسلام ، يمضي في الحديـث على ذلك التراث العربـي الذي عرفه الباحث كما لم يعرفه غير القليلين ، لِمَـا شَغَلَ بـه نفسه طويلا من التقييم الواعي ، والدراسة الناضجـة ، والفحص الناقد للمصادر . هـذه الاعمال جاءت نتيجةً للبحث العلمـي الجادّ الصارم في تاريخ بَلَـدٍ كانت ارضُه الجنوبية ـ اليمن الاسطورية ـ قد اوحت ببعض الاعمال والابحـاث في العصر الحديث . ونقتصر ههنـا على ذكر (اليمن في التاريـخ والاسطورة) لكارلو انسالدي ، وهو كتـاب يُعيـدُ تركيب بعض الصور والوقائع التاريخية التي يُعْوِزُها المـرض الصحيح أحيانا . وكما هـو معروف ، يمكن ان نعتبر الشعر العربـي في العهد الوثني ، بكثير من الثقـة ، تعبيرا ادبيا عن العرب في ذلك العهد ،

يُمثّل في الوقت نفسه واحدا من اكثر المصادر مباشرة واصالة لمعرفة المجتمع البدوي القديم . ولذلك كثيرا ما اشار مستعربنا الاوثق والاكثر معرفة بالشعر العربي القديم ، فرانشيسكو غبريلي ، الى الوثنية العربية ، لضرورة وضع اطار لأقدم تحول البُرْناس العربي ضمن ذلك النطاق التاريخي ، والتاريخي الثقافي .وكان اطول من ذلك وادعى الى عمق التفكير انشغاله المتمهّل بالتراث التاريخي والاسطوري في ذلك العهد . واكثرُ ما يكون غَرَضُ ذلك البحاثة تحديدا ، كان في وضع البداوة العربية في صلة مباشرة مع اللحظة الشعرية ، كما فعل في ابحاثه التالية — : (المجتمع البدوي والشعر الجاهلي — القبلية والدولة في الشعر العربي القديم — الادب البدوي الجاهلي) وكلّها موضوعاتٌ عادَ الى بحثها من جديد في دراسته للعهد الاسلامي في كتابه الفرنسي (القبليّة العربية والدولة الاسلامية في العصر الاموي) ، وفيه اجاد غبريلي اختيار مقاطع شعرية ، وترجَمَها الى الايطالية بمهارته المعروفة واناقة صياغته . وكان ذلك مما سكتت عنه المصادر التاريخية ، او اشارت اليه اشاراتٍ غيرَ واضحة دائما .

• • •

العهد الاسلامي :

ويجيء الآن الوقت الذي نُعْبُر فيه من شبه الجزيرة العربية الوثنية الى ابنها الاعظم ، نبيّ الاسلام ، الذي كانت سيرتُه موضوعا لأروع الابحاثِ التي قام بها كائيتاني ، ثم اصبحت بعد ذلك ، في عام ١٩١٧ ، مادة لمناقشاتٍ وابحاث علمية واسعة ، راحت تتزايد وتنمو مع الايام ، على اثر اطروحةٍ علمية للدكتوراة حَوْلَ اقدم الاحاديث المتعلقة بحياة محمد . وبعد بضع سنوات قامت السيدة مرجينيا ماكّا دى بوسيس — التي اثارت ذلك النقاش غير عامدة ، ولم يُلْبث اسمُها ان برز بين كبار المستعربين — بنشر كتابها (سفارات محمد الى الملوك ، في رواية ابن اسحٰق والواقدي) ؛ وفيه درست ، على اساس الاخبار التي اوردها المؤرخان المذكوران ، علاقات الاسلام في بداياته بالنجاشي ، وكسرى الثاني ، وهرقل ، والمقوقس .

وبين أوائل الباحثين الذين عُنُوا بوجوب فصل الخرافة عن التاريخ ، في تلك الغابة الكثيفة من الاخبار التي وصلت الينا من الروايات التاريخية العربية ، نجد كارلو نَلّلينو . فَبَعْدَ ان كَتَب بحثا رائعا حول سيرة النبي ، كَتَبَ كذلك بحثا حول اسم (محمد) لدائرة معارف تريكّاني ، قَسَّمه حسب التقسيمات الكلاسيكية : الحداثة ، العهد المكّي ، العهد المدني ؛ وبعض الاعتبارات القصيرة العامة التي كان البحاثة قد أطال الكتابة فيها في بحث له بعنوان (في الذكرى المئوية الثالثة عشرة لوفاة محمد) . ومن المفروض ان ميكيلانجيلو غويدي ، في الفترة نفسها ، كان معنيًّا بترتيب مجموعته ، وفي دراسة المراجع التي استمدّ منها فصل (النبيّ محمد) وتنسيقها . وكان ذلك الفصل هو الثالث والاخير من كتابه المذكور آنفا (تاريخ العرب وثقافتهم) . في هذه الصفحات يبدو هنا وهناك اقتناع غويدي المسبق بأن ثمة تاثيرا اساسيا للروح العربية في الحضارة الاسلامية . وكان الكاتب يودّ ان يثبتها فيما بعد بادلة يفترض انها ثابتة واصيلة ، لو قُدِّر له ان يبلغ بكتابه الى منتهاه .

اما الابحاث التي ضَمَّنها غبريلي كتابه (مظاهر من الحضارة العربية والاسلامية) ، فقد كان الغرض الاساسي منها التعميم ، والقليل منها كان بقصد التاريخ — كما يوضح ذلك عنوان الكتاب — كانت ثلاثة من هذه الابحاث تدور حول نبي الاسلام ، نُقَدِّمُه اولاً الى القراء منصرفا الى حوافز تجربته الدينية ، ثم مُواطنًا اولَ في مجتمع المدينة . حتى في هذه الخطوط القصيرة يبدو البحاثةُ رسّاما ومفكرا بارعا في رسم الملامح واللمسات التاريخية السريعة ، والجديرة بأن تقول شيئا جديدا حتى للمتخصص ، ولكنها بشكل خاص تُثَقِّف الجاهل دون أن تفرض عليه عناء الثقافة المتخصصة جدا . وبعد اعادة صياغة الابحاث المشار اليها حول شبه الجزيرة العربية قبل الاسلام ، وحول محمد ، في مقال بالالمانية عنوانه :

Mohammad und der Islam als weltgeschichtliche erscheinungen

ظهر ضمن سلسلة (تاريخ العالم) ، كَتَبَ غبريلي كتابا بعنوان (محمد والفتوح العربية الكبيرة) هو ، في الواقع ، كتابٌ قليل عليه ان يُنْعَتَ بأن قراءته ممتعة . وهذا العمل الجديد يرمي ، كغيره ، الى تعريف عامة المثقفين بمظاهر خاصة من حضارةٍ قد لا يعرفونها الا على وجه التقريب . ونجد فيه ثلاثة فصول متكاملة حول نبي الاسلام ، تُقَدِّمُه اولاً في ضوء تقديس اتباعه له ، ثم يلي ذلك حالا تقديمُه في ضوء حكم المسيحية السلبي في دفاعها عن عقيدتها خلال القرون الوسطى ، ثم في ضوء التقييم المستنير الجديد ، واخيرا في الرؤية الرومنتيّة (كصاحب شريعة ، وملهِمٍ عظيم) و (كموقظ لقوى شعبه الهاجعة) . وكان المستعربون والباحثون في الاسلام قد قاموا ، منذ النصف الثاني للقرن التاسع عشر ، بالعمل على قواعدَ اوثقَ واثبت في اعطاء حكم تاريخي اكثر توثيقا ومصادر حول باعث العروبة ورسالته النبوية . وهذه الصحائف التي كَتَبَها غبريلي والتي جاءت بَعْدَها ، وَرَدَتْ فيها ، ببراعة المعلم القدير ، احداثُ حياةِ محمد في مكّة والمدينة ، وبالتالي اوضحت بجلاء خُطى الاسلام الماضية قُدُمًا الى اقصى مدى لانتشاره في الشرق والغرب . واذا كانت هذه الفصول تلتقي في الاصل التاريخي العامّ مع اعمالٍ علمية مشابهة لها لعلماء آخرين ، فانها تختلف عنها اختلافا تاما من حيث المقارنات الجديدة ، ومن حيث التقييمات الدقيقة التي غالبا ما تتميز بالاصالة المطلقة .

ويقتضينا واجب الامانة العلمية ان نختم هذا الحديث بأن نُذَكِّر ان في الكتابات المتعلّقة بسيرة محمد ، والتي تتضمّنها كُتُب التاريخ العربي العامّ المشار اليها ، وكذلك في المؤلفات الرامية الى التعريف بالاسلام — ونذكر منها ابحاث مارتينو ماريو مورينو ، ولاورا فيتشا فاليرى — اقتَصَرَ المؤلفون على البناء المألوف ، ولم يبتعدوا عنه الا ليُدخِلوا فيه افكارا واستنتاجات ذات طابع شخصي .

• • •

بعد الانتصارات العسكرية المدويّة الأولى للاسلام ، والتي نجِدُ منها في كتاب فرانشيسكو غبرييلي المذكور صُوَرًا ملحميّة من المعارك الآسيوية والافريقية ، اندلعت في المجتمع العربي والاسلامي، الهشّ حينئذ ، نارُ الحرب الاهلية بمبايعة عليّ بالخلافة . فلقد اعترض عليها معاوية اعتراضا شديدا عنيدا ، الى حدّ المناداة بالحرب . وكان اول من درس الموادّ التاريخية التي يتضمّنها كتاب (انساب الاشراف) للبلاذري ، بِقَصْد المضيّ نحو اعادة بناء فكرة صحيحة عن تلك المعارك التي كان سببها الوصول الى السلطة ، هو جورجيو ليفي ديلا ڤيدا ، عام ١٩١٥ . وكان قد اتيح له ان يصل الى معرفة ذلك النصّ وتقدير اهميته ، في اثناء معاونته في (حوليات الاسلام) . ونتج عن ذلك ان اصبحت هذه لديه رسالة يؤديها في فترة ما . وبعد قرابة عشرين سنة اخذ ذلك العالِمُ بالساميّات يهتمّ بالعودة الى دراسة ذلك الكتاب بمعاونة المرحومة اولغا بينتو ــ تلميذته ــ في القسم الذي خَصَّصه البلاذري للخليفة معاوية . ولكنه في الغالب كان يعتبرها مجموعة غير منظّمة اكثر منها اخبارا تاريخية ، او مادة تتعلّق بالانساب ، شعرية او جامعة . وبعد هذا الذي قدّمه جورجيو ليڤي ديلا ڤيدا ، وليوني كائيتاني ، وفرانشيسكو غبرييلي، وميكيلانجيلو غويدي ، ظَهَرَ كتاب آخر في دراسة الاحداث التي رافقت هذا المنعطف التاريخي الحاسم في بداية عهده . الكتاب للسيدة لاورا ڤيتشيا ڤاليري ، وقد عادت فيه الى فحص هذه القضية الصعبة على اساس مواد جديدة تاريخية ، و خرى تتعلق بالانشقاقات الدينية ، مستقاة من مصادر (اباضية) استطاعت بواسطتها القضاء على بعض التناقضات ، وأن تسدّ بعض الفجوات المتعلقة بالاحداث . ودعمت السيدة ڤاليري ذلك بكتابها (ترجمة خطوات تتعلق بالنزاع بين معاوية وعليّ ، وانشقاق الخوارج) ، لتجعل منه فهرسا لا بدّ منه لأبحاثها الخاصة التي كتبتها بروح نقادة ، وتوثيق جاهد دؤوب . وقد استقت مادة كتابها هذا على الاغلب من (كتاب الجواهر) للبرّادي ؛ وهذا المؤلف يمكن اعتباره واحدا من اوثق مؤرخي الشيعة الاباضية

في افريقيا الشمالية . وبهذين الكتابين القيّمين اكتسبت مُستعربتنا كفاءتها العالية في هذا الحقل ، بحيث أن العديد من (الكلمات) التي ورد شرحها في الطبعة الثانية من (دائرة معارف الاسلام) والمتعلقة بالفترة المشار اليها ، تحمل توقيعها ، واهمّها اسم (عليّ ابن ابي طالب) .

أمّا كتاب البلاذري التاريخي الكبير ، الذي يمكن اعتباره اقدم المراجع التاريخية الباقية لدينا حول القرنين الأوّلين من ظهور الاسلام : فقد شارك فرانشيسكو غبرييلي مشاركة فعالة في الانتشار الواسع الذي لقيه ــ وكان قد عُهِدَ الى غبرييلي بتحقيق جزء من هذا الكتاب ، ولكنَّ من المؤسف انه لم يُنْشَر بعد ــ ومشاركته هذه هي في كتابه (خلافة هشام) الذي اعاد فيه بناء فترة المُلْك الطويل الامد للابن الرابع لعبد الملك على اساس المصدر المذكور وغيره من المواد التاريخية الموثوق بها ، وذات الصلة بالموضوع . على اساس من هذه الدراسة الاولى بدأ غبرييلي سلسلةً مرموقة من المشاركات في الدراسات التاريخية للعهد الأموي ، لم يلبث أن اغناها فيما بعد ــ الى جانب الفصول التي تَضَمَّنَتْها مؤلفاته العامة المتقدّم ذكرها حول تاريخ العرب ــ بأبحاث موثّقة جدّاً حول (الوليد بن يزيد ، الخليفة والشاعر ــ وثورة بني المهلب في العراق ، والبلاذري الجديد ــ والبطل الاموي مسلمة ابن عبد الملك) . وفي هذه الكتابات ــ كما في ما سبقها حول الفترة العباسية ، ممّا سبقت الاشارة اليه ــ تُصبح الاعمال التاريخية ، والاعمال الضئيلة الاهمية ، معالم واضحة بما يضفيه عليها من تفكيره واستطراداته ذات الطابع الاجتماعي ، والبيئي ، والثقافي ، والتي تُمثّل ، هنا وفي اي مكان آخر ، الجزء الادعى الى التقدير من انتاج غبرييلي العلمي والتعريفي .

وفي اطار العصر الاموي يدخل ايضا البحث الذي عنوانه (العرب في الهند) للمؤلف نفسه ، ومن خلال مصاحبة البلاذري ، ولا سيّما في كتابه (فتوح البلدان) المشتمل على القليل من المعلومات التي وصلت الينا في كتب التراجم والتاريخ العربية حول فتح السند ، وضع

غبرييلي كتابا حول محمد بن القاسم الثقفي ، الذي ضُمَّ الى الامبراطورية الأموية تلك الولاية الجديدة النائية ـ السّند ـ « حاملا معه الى الهند ديانة جديدة ، وثقافة جديدة » . في هذه المرة ايضا يضيف غبرييلي في الفهرس ترجمة لبعض الصفحات المأخوذة عن (الشاهنامة) ـ وهي رواية فارسية ، من القرنين السابع والثامن ، منظومة شعرا عن اصل عربي مفقود من تاريخ الفتح ـ . ولهذه الرواية الشعرية ، القليلة الاهمية التاريخية بالنسبة الى الاحداث المشار اليها ، نجد تقييما مفيدا في الجزء الاول من البحث . ورغم خشيتنا من التكرار ، لا بدّ لنا هنا ايضا من ان نثبت بالتحديد ـ مثلما قدّمنا في العصر الجاهلي ـ أن هناك مشاركات اخرى لمعرفة البيئات التاريخية والاجتماعية في العصر الاموي ، نجدها في جميع كتابات مستعربنا هذا ؛ كَتَبَها حول الصوفيين ، والشعراء ، والناقدين في ذلك العصر ، من الحسن البصريّ الى ، جميل بن مُعْمَر ، الى ابن المقفع .

وأما عبد العزيز بن مروان ، الذي وُلِيَ على مصر عشرين سنة (٦٨٥ ـ ٧٠٤) للأمويين في دمشق ، حيث كان الخليفة اخوه عبد الملك ابن مروان ؛ فقد كتب حوله اومبرتو ريتستانو بحثا ، جاء استكمالا لدراستين كان قد كتبهما في شبابه حول الشاعر (ابو محجن نُصَيب ابن رباح) ، الشاعر والمولى المخلص لذلك الوالي (عبد العزيز بن مروان) ، وكان يُكثُر في شعره المدح والشكوى ، وقد تضمّنت كتب الادب مقاطع من قصائده .

وعلى غرار لاورا ڤيتشيا ڤاليري ، وبارشادها ، دَرَسَ مستعربون آخرون من المعهد الشرقي في نابولي ، مظاهر ووجوها خاصة من الشيعة الاباضية ، وما كان لها مع الشيعة الخارجية ، التي تحدَّرت منها الاباضية ، من خلافات لا يستهان بها في التاريخ العربي . اما العلاقات بين عبد الملك بن مروان وزعماء تلك الفئة المنشقّة ، فنجدها موضّحة في مقالٍ لروبرتو رُوبيناتشي عنوانه (الخليفة عبد الملك بن مروان والاباضيون) . ويشتمل المقال على ترجمةٍ لرسالة من عبد الله

ابـن إباض الى الملـك الاموي ، نقلا عن المراسلات التي جرت بـين الرجلين ، والتي لم يُحْفَظ لنـا التاريخ سوى بعضهـا .

• • •

العصـر العباسـي :

وكمـا هو معروف ، لم يجسد العصر العباسي بُعْدُ بين المستعربين مؤرخا ذا استعداد لأجـل العكوف على اعادة بنـاء القرون الخمسة من تاريخه . ولكنّ اهـمّ اثر دُرِسَ فيه شيء من ذلك العهـد الطويل ، لا يزال الى اليـوم كتاب (الوزارات العباسية ، من سنة ٧٤٩ الـى ٩٣٦) الذي وضعـه الفرنسي د . سورديل . امـا من المستعربين الايطاليين ، فقد وضع س . موسكاتي ، العالم بالساميّات ، سلسلة ابحاث حول تلك الخلافة وتطوراتها . وهـذا الباحث اهتـم اهتماما جادّاً بنشاط علميّ يباعِدُ بينه وبـين الاستعراب ، رغم انـه عمل في حقوله فترة من الزمن بموهبة وغَيْرَة . وقد سَلَّط ضوءا جديدا علـى بعض اللحظات الاساسية من الأسرة العباسية التي يُصْعُب بناؤهـا في الغالب ، بسبب الفجوات والاخطاء في الاخبـار التي يُمكن العثور عليهـا في المصادر . وامـا نهاية الامويين الفاجعة فقد سَجَّل موسكاتي وقائعها في كتابه (مذبحة الامويين في التاريخ وفي المقتطفات الشعرية) . وامـا بدايـة العباسيين الذين وصلوا الى السلطة بمساعدةٍ ثمينـة مـن (عبد الجبار بن عبد الرحمٰن الازدي) ، فقد خَصَّص لهـا ثلاثة ابحاث جَمَعَها تحت العنوانين التاليين : (دراسات حول ابي مسلم) و (ثورة عبد الجبار على الخليفة المنصور) . وكـان المنصور قد غاظه كثيرا مـا كان لمبعوثَيْه من نفوذ ، فقرَّر وضع حـدّ عنيف لحياتهما . ولكـن الاحداث اللاحقة لتلك الاسرة العباسية كانت ايضـا موضع اهتمام ذلك الباحث ، فقد اعـاد بناءها على أساس دراسة واعيـة للمصادر ، ونَشَرَها ، بمظاهرها السياسية والعسكرية ، في ثلاثة ابحـاث : هي : (دراسات تاريخية حول خلافة المهـدي ـ ودراسات تاريخية جديدة حول خلافة المهدي ـ وخلافة الهادي) وهي كلّها مراجع لا غنى عنهـا

للباحث الذي سيحاول كتابة تاريخ الخلافة العباسية . فاذا ما وُجِد هذا الباحث ، فسيجد موادّ نفيسة تساعده على القاء الضوء على العلوية والخارجية خلال الفترة الاولى من العصر العباسي ، في بحث عنوانه (شطحات فكرية حول ثورتين عَلَوِيَّتين) ، للسيدة لاورا ڤيتشيا ڤاليري ، و (المراسلات بين المنصور ومحمد النفس الزكية) للكاتب ر . تراپني ، وفي (تبادل الرسائل بين هرون الرشيد وحمزة الخارجي ، حسب كتاب « تاريخي سيستان ») للمستشرق المتخصص بالفارسية ج . سكارتشيّا . وهذه دراسات استُخدِمَت فيها مصادر لم يُسْبَق فَحصُها .

بعد بضع عشرات من السنين من بداية الخلافة العباسية الدموية ، كان يمكن اعتبار هذه الخلافة قد توطّدت اركانها . وكان من نصيب هُرون الرشيد فضلُ المضيّ على آثار الخلفاء الاربعة الأوّلين حتى تبلغ الخلافة اقصى زهوتها . وقد تضافرت الاساطير التي نُسِجَت حول شخصية الرشيد الملكية ، وحول امبراطوريته الزاهرة ، وبلاطه ذى الفخامة المذهلة ، مثلما تضافرت كذلك الانجازات غير العادية التي تمّت في عهده ، على تمجيده وتعظيمه .

ونحن فعلا نجد في كتاب (هُرون الرشيد ، تاريخ واسطورة) ، الى جانب الاحداث الرئيسية لذلك الخليفة ، التمجيد الذي أُسْبِغ على شخصيته بعد وفاته . وامّا وُلداه ، فقد اهتمّ الباحث نفسه بايضاح النزاع الدمويّ الذي ثار بينهما لاجل ارتقاء العرش ، وذلك في ثلاثة بحوث كان قد كتبها في شبابه ، وهي : (وثائق تتعلّق بخلافة الامين ، في الطبري — وخلافة هُرون الرشيد ، والحرب بين الامين والمامون — والمأمون والعلويون) . هذه البحوث التاريخية الثلاثة تتكامل مع العديد من ابحاث غبريلي الاخرى ، الادبية والدينية ، التي خَصَّصها للعصر العباسي . وهذا حقل كان قد بداه في بواكير دراساته العلمية ببحث عنوانه (حياة المتنبي) . ومن المؤسف ان دراسات الباحثين الايطاليين تتوقّف عند هذه الفترة من العصر العباسي ؛ وهي، في الواقع ، ازهى فتراته واقواها . واما الفترة التالية فليس في وسعنا ان نذكر حولها

اكثر من بحث واحد حول (الفتح بن خاقان ، الرجل المفضل لدى المتوكّل) ، وفيه توضح السيدة اولغا بينتو صورة ذلك الرجل — الذي يلقّبه بعض المؤرخين خطأً بلقب الوزير — في شخصيته المزدوجة : شاعرا ، ورجل سياسة . وكان الفتح رفيق الطفولة للمتوكّل ، ثم اصبح مستشاره ، واحيانا مرشده وموجّهه . ونذكر ههنا كتابا آخر للسيدة اولغا بينتو عنوانه (المكتبات العربية في العصر العباسي) .

غير ان العصر العباسي ، كما يعلم المؤرخون والمستعربون ، يعيد الى الذهن العلاقات بين اوروبا المسيحية والعالم الاسلامي : فالصلات بين هُرون الرشيد وشارلمان ، نجد حولها اشارات كافية الى حدّ ما لدى بعض المهتمين بدراسة العصور الوسطى ، الذين درسوا — لدوافع مختلفة ، وبنتائج مختلفة كذلك — النشاطات الدبلوماسية للملك الفرنجي . ومن بين آخر ما نعرف من تلك البحوث في ذلك الموضوع الشائق ، دراسة كتبها ج . موسكا ، وعنوانها (شارلمان وهُرون الرشيد) ، وفيها القى ضوءا على تلك الفترة التاريخية ، معتمدا على المصادر اللاتينية التي استمدّ منها اعتباراتٍ اصيلة حول الاسباب الدينية والسياسية التي دعت الغرب الى الاتصال بالعالم الاسلامي . وبعد نحو قرن من الزمن من تلك العلاقات ، قامت روابط اخرى بين حكومة بغداد واحدى الدوقيّات الايطالية ، او بالاحرى بين المكتفي وبيرتا التوسكانيّة — كما يُسْهُل ان نعرف من رسالتين متبادلتين بالعربية : رسالة كتبتها تلك المراة الطموح بيرتا ، وردّ الخليفة عليها ؛ وقد نشرهما لاول مرة المؤرخ محمد حميد الله — واوّل من اثارت تلك الاتصالات الرسائلية اهتمامه الشديد كان ليفي ديلا ڤيدا — ومعه في وقت واحد تقريبا س . ج . مور كذلك — . لقد قام ديلا ڤيدا بترجمة الرسالتين الى الايطالية ، وقدّم لهما باخبار وافية حول المصادر العربية التي استعان بها ، وعقب عليهما بافكار شخصية ثاقبة ، حول الاسباب الدبلوماسية والسياسية التي ربما كانت الاساس لتلك الاتصالات .

• • •

المغـرب واوروبـا :

بـدا فتح المغرب ، كما هو معلوم ، منذ عهد معاوية ، ولكنه ثبت وتوطد في عهد بنـي مروان ، وازداد ثباتا ومتانة في زمن العباسيين . وتلت ذلك سيادة الاسـلام التدريجية في وسط البحر المتوسط وشماله ، تمهيدا لغزو الاندلس ، ثم ، بعد قرن او اكثر قليلا ، لغزو صقلية ايضـا . ولم يتـم ادخال القوات العربية ـ البربرية الفتية الى المغـرب المسيحي القوطي في اسبانيا ، والبيزنطي في صقلية ، دون اصطدامات في الواقـع ، كانت مع ذلك تمهيـدا للقاءات غنيّة غير قليلة ، نجـد وقائعها التاريخية والاجتماعية والثقافية في كتابين اصبحا الآن من الاعمال الكلاسيكيـة ؛ وهما ؛(تاريخ مسلمي اسبانيا) لدوزي ـ وقد اعـاد ليڤي بروفنسال صياغته بشكل اساسي ـ وكذلك (تاريخ المسلمين في صِقِلّيَـة) للمستعرب الايطالي ميكيلي اماري .. هذه الاحداث وُقِـعَ معظمُها في القرون الوسطى الاوروبية ، ولذلك اثارت اهتمام المؤرخين الغربيين ، تحفزهم اليهـا تقييمات اثارتها اطروحة شهيرة وجديرة بالمناقشة ، كتبهـا هـ . بيرين ، بعنوان (محمـد وشارلمان) . وفي هذه الاحداث كلّهـا كانت مشاركة الباحثين الايطاليين بارزة . ونكتفي بان نشير منهـا الى البحوث التي كتبهـا المستعربون ، لاعتقادنا بعدم المقـدرة على اعطاء دراسة وافية في هذا الحقـل .

وكمـا فعل العرب من قبل في الاراضي الشرقية في آسيا ، كذلك فعلوا في البحـر المتوسط ؛ فقد وجدوا انفسهم وجهًا لوجه مع البيزنطيين . وفي هذا الموضوع كان (العـرب والبيزنطيون في البحر المتوسط الاوسط) عنوان البحث القيّـم الذي يوضح فيه فرانشيسكو غبريلي اهـم الوقائع . وهنالك اخبار تاريخية مهمّـة حول غارات المسلمين علـى صِقِلّيَة وكالابريا ، وحول الاستيلاء على كاستروجوفانّي عـام ٨٥٩ ، وعلى العموم ، حول العلاقات العربيـة البيزنطية في تلك الاراضي فـي القرن التاسع . هذه الاخبار نجدهـا في (حياة القديس ايليا الشاب) ؛ وهـو كتاب يوناني ، تَرْجَمَه وعَلّق عليه احـد المهتمـين بالدراسات

البيزنطية ، واسمه ج . روسي طايبّي . واما الهجوم على سيراكوزا والاستيلاء عليها ، عام ٨٧٨ ، فهنالك وثيقة نفيسة حولهما هي رسالة الراهب تيودوسيو ، التي نشرها لنا عالمٌ بالدراسات اليونانية اسمه ب . لافانييني .

واما الابحاث المتعلقة باسبانيا المسلمة فليست كثيرة ، بل هي في الواقع قليلة جدا . وهذا ايضا حقل دراسيّ طَرَقَه فرانشيسكو غبريلي في كتابه (رسالة ابن عبدون النقدية حول حكومة اشبيليا) ؛ وهو يحتوي على ترجمة ، مع حواشٍ وملاحظات ، لنصٍّ كبير الاهمية حول الحياة المدنية والاقتصادية والاجتماعية في اشبيلية في اوائل القرن الثاني عشر . ثم تلي ذلك حالا كتابات اخرى له ، بعضُها محاضرات ذات مستوى اخباري رفيع ، من مثل (الازدهار السياسي والاجتماعي في اسبانيا المسلمة ــ والزراعة العربية في اسبانيا وصِقِلّيَة ــ وعرب صِقِلّيَة وعرب اسبانيا) ، وكذلك الفصول التي سبق ذكرها بعنوان (مظاهر الحضارة العربية الاسلامية) التي نجد فيها تفاصيل لاكثر المظاهر التاريخية والفنية والثقافية الاسلامية ايجابية في اسبانيا وصقلية . والى تاريخٍ اكثرَ حداثةً يرجع بحثٌ للباحث نفسه بعنوان (العرب في اسبانيا وايطاليا) ، اهتمَّ فيه بشكل خاص بدراسة التنظيمات العسكرية في العهد الذي كانت فيه البلاد الاندلسية والصقلية جزءا من العالم الاسلامي . وهنا ايضا ، كما في المؤلفات والابحاث السابقة ، يتحرّك المؤلف من فحصٍ زمني للأوضاع في شبه الجزيرة الايبيرية والجزيرة الايطالية . والاحداث التي ادّت الى ضعف الخلافة الاموية في اسبانيا ثم انهيارها في القرن الحادي عشر ، وادّت كذلك الى انجازات مجاهد العامري ــ وهو واحد من ابرع رؤساء الطوائف ــ نجدها كذلك مصوَّرة في احدى الدراسات الموثّقة احسن توثيق ، كَتَبَتْها بالعربية المستعربة السيدة كليليا سارنيللي ــ وسنعود الى ذكر هذه السيدة فيما بعد ــ .

ويظهر أن كثيرا من المستعربين والمؤرخين الايطاليين الذين تخصصوا في دراسة مواقف معينة من العصور الاسلامية الوسطى في صقلية ، وفي ايطاليا الوسطى والجنوبية ، شاقهم اسم ميكيلي اماري وبحثه المتفوق في (تاريخ مسلمي صقلية) . وهو من أهم كتب التاريخ الايطالية في القرن التاسع عشر ، وقد استحق بجدارة أن يعاد طبعه مرة ثانية ، بعناية فائقة من كارلو ألفونسو نَلّلينو ، مع اضافة بعض النصوص المختارة اليه . وأما فرانشيسكو غبريلي فانه ، بعد البحث الاول الذي كان قد كَتَبَه سنة ١٩٢٨ بعنوان (التراث الروماني في ايطاليا الجنوبية والغزوات الاسلامية) ، عاد في فترات متقطعة الى (صِقِلّيَة العربية) — وهذا هو فعلا عنوان احد مقالاته الصحفية القصيرة ، من بين كتاباته المتقدّم ذكرها ، حول اسبانيا المسلمة ، وكلّها ممتع ، يتميّز بعمق التفكير ووضوح العرض — . وأما في ما يتعلّق باحتلال الاغالبة لصقلية ، وما نتج عنه من انعكاسات على الصعيد الثقافي والفني ، فنجد دراسة ممتعة في كتاب (المسلمون في صقلية) الذي ألّفه باللغة العربية المرحوم مارتينو ماريو مورينو ، وجمع فيه محاضرات كان قد القاها في الجامعة اللبنانية في بيروت .

ونجد اومبرتو ريتستانو معنيًّا بالحقل نفسه منذ نحو عقد ونصف العقد ، تُحْفِزُه الى ذلك على الأخص رغبةٌ في الحفاظ ، في صِقِلّيَة خاصةً ، على نوع من الدراسة كان قد اعطاه الحياةَ والقيمةَ العلميةَ المؤرخُ الصقلّيّ ميكيلي اماري ، الذي سبق ذِكْره مرارا ، اكثرَ مما تُحْفِزُه الثقة في مقدرته على المساهمة في تحسين آثار اماري الرائعة . ذلك لان النصوص غير القليلة التي خرجت الى النور بعد ذلك ، لم تُزوِّد المستعربين بموادَّ تَسْمَحُ باجراء تعديلات اساسية على تلك التي كان قد جمعها اماري في (المكتبة العربية الصقلية) . ومن دراسة النصوص التي لم يَطّلع عليها اماري ، ومعظمُها مختارات ، والتي لم تختلف عن تلك التي نُشِرت في (الذكرى المئوية لوفاة ميكيلي اماري) ، استطاع ريتستانو أن يلفت الى نفسه الانتباه ببحث له

عنوانه (مصادر عربيـــة جديدة لتاريخ المسلمين في صقلية) . واهـــمّ ما استوقفه منها تلك المصادر الفاطمية ، وعلى الاخص (سيرة جوذر) لابي علي منصور العُزيزي ؛ وهي وثيقـــة نفيسة ، تلقي الضوء خاصة على وجوه غير معروفة من نشاطات بعض امـــراء الكلبيين في صقلية ، وصلات جزيرتنا مع الضفة الافريقية المقابلة ، في نحـــو منتصف القرن العاشر . وقد خَتَمَ بحثَه بترجمةٍ بضع صفحات مـــن (السيرة) المذكورة . ومن بعد ذلك ظهرت لهـــا ترجمة فرنسية كاملة ،قام بها م . كانار . وبعد أن كشف ريتستانو هذه المصادر الجديدة ، تـــلا ذلك بنشر بعض تلك النصوص ، وفيها اخبـــار تاريخية لا وجود لهـــا في اي مصدر آخر . ومن هذه نذكر ههنـــا (كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار) للحميري . وهـــو مؤلف جغرافي لم ينشر الا بعضـــه حتى الآن ، والذي نشره ريتستانو منه حتى الآن هو القسم المتعلق بالبَرّ الايطالي وصقليـــة (١) . غير أن هـــذه المصادر المكتشفة ــ كما قدّمنا سابقا ــ كانت اهميتهـــا في أنها قدمت لنـــا مقاطع من الشعر ، وبعض السير واعمال المؤلفـــين ، اكثر مما قدمت لنـــا اخبارا ذات صلة « بتاريخ » المسلمين في صقليـــة . الا ان تلك المعلومات تُكْمِل معرفتَنـــا بالثقافة العربية التي نَمَت وتطوّرت في الجزيرة منذ عهـــد الفتح ، واستمرارها في العهـــد النورمندي ، ثـــم في العهد السوابي Svevi . وقـــد استفاد الباحث نفسه من هذه المـــواد في كتابه (الثقافة العربية في صقلية) ، الذي صدر منـــه الجزء الاول فقط ، ومن المؤسف انـــه لم يكمل بعد بالجزاين الثانـــي والثالث اللذين كان المؤلف يعتزم اصدارهما . ونحـــن نذكر هذا الكتاب ههنا لان في الفصلين الخامس والسادس منه دراسة سريعة حـــول الازمة الفاطمية في المغرب وصقلّية في القـــرن العاشر .

في أعمـــال فرانشيسكو غبريلي ، ومارتينو ماريو مورينو ، واومبرتو ريتستانو المتقدم ذكرها ــ وكلّهـــا تستلهم آثـــار ميكيلي اماري ــ يعيش المـــرء من جديد مع لحظات بارزة من احداث امتدت ــ من الوجهـــة

---

(١) الكتـــاب كاملا حققه الدكتور احسان عباس ، وتولت نشره مكتبة لبنان ، في بيروت ، سنة ١٩٧٥ (ع . ن .) .

التاريخية الصرف ـ مدة اقل من قرنين ونصف القرن ، غير ان آثارها ، في جوانب اخرى ، استمرّت في صقلّية الى عهد فريدريك الثاني ، وفي ايطاليا الجنوبية كانت نهايتها الحاسمة على يدي الملك السوابي كارلو الثاني دانجو ، الذي قضى على العناصر العربية في لوشيرا ، واضطرّ العناصر الاسلامية الباقية في صقلّية الى الهجرة . والوثيقة العربية الوحيدة التي وصلت الينا حول هذه الحادثة هي (تسجيل المرتب لريكّاردو دي لوشيرا) وقد نشرها ليفي ديلا فيدا بعد ان قام بترجمتها وتعليق الملاحظات عليها .

واما صقلية النورمندية والسوابية في صلاتها بالعالم الاسلامي في افريقيا وآسيا ، وكذلك انماط حياتها المتعدّدة وفكرها العربي الذي استمر في ذلك العهد ، فنجد صورة لها في سلسلة من الابحاث التاريخية والثقافية التي كتبها فرانشيسكو غبريلي ، واومبرتو ريتستانو : الاول منهما نذكر له (سفارات بيبرس ومانفريدي) ، ويليه حالا لاومبرتو ريتستانو مقالان باللغة العربية بعنوان (النورمنديون والعرب في صقلّية) ، وهما يدوران على علاقات النورمنديين والزيريين في افريقية ، وعلاقات غوليلم الثاني وصلاح الدين . وقد عهدت وزارة التعليم الايطالية الى هذين الباحثين بالاشراف على نشر اعمال ميكيلي اماري واورافه . وكانت هذه المهمة تقتضيهما واجب العناية بالطبعة الثانية من (الدراسات القديمة) و (المكتبة العربية الصقلّية) نصوصاً وترجمات . واما النورمنديون الذين وطّدوا لهم الامبراطورية جورجيو الانطاكي السيطرة على افريقية مدة عشر سنوات ، وكذلك الموحّدون ، وهم القوة السياسية والدينية الجديدة التي قضت على التحصينات المسيحية في افريقيا ، فنجد حولهم اخبارا موثّقة في (تاريخ طرابلس وليبيا) لإيتّوري روسّي ؛ وسنعود الى ذكره في ما بعد . وحول الاسرة الملكية المذكورة ، ولا سيما اخبارها التي وصلت الينا من المؤرخ الدمشقي ابن القلانسي ، كتب فرانشيسكو غبريلي (اصول حركة الموحدين في مصدر تاريخي شرقي) . وتعود بنا الذكريات الى

الاحداث التاريخية في صقلية في عهد الكلبيّين ، والعهد النورمندي خاصة في كتاب (باليرمو حسب الجغرافيين والرحالين العرب في القرون الوسطى) للسيدة ادالجيزا دي سيمونه ، وكان هذا البحث رسالة قدّمتها لنيل شهادة الدكتوراة الى كلية الآداب في جامعة باليرمو ، حيث يقترن تعليم اللغة العربية في وقت واحد بالدراسات العربية الصقلّية .

وبعد وقفتنا القصيرة هذه عند صقلّية ، نلتفت الآن الى شبه جزيرتنا ، فنتذكر ان الغزوات العربية المتعددة للبَرّ الايطالي ، قد تحدّث حولها اومبرتو ريتستانو في بحثه (العرب في ايطاليا) . وقد خَصّص القسم الاول منه لرسم صورة سريعة شاملة لفتح صقلّية . وكذلك فرانشيسكو غبرييلي في اكثر من بحث واحد ، ولا سيما في مثل دراستيه (العرب في كالابريا) و (مدينة باري العربية) ؛ وكذلك في بحثين آخرين اكثر جدية واوسع إحاطة من حيث الزمن والرقعة ، وهما : (سالنتو والشرق العربي) و (العرب في اوروبا : اسبانيا وفرنسا وايطاليا) ؛ وهذا الاخير فصل من كتاب للمؤلف عنوانه (محمد والفتوح العربية الكبيرة) .

وحول وجود العرب المشار اليه آنفا في الاراضي الايطالية الوسطى والجنوبية ، واعمالهم الحربية المتواصلة ، الى حدّ ما ، وما كان يتبعها من فرضهم الجزية ، اضيفت الى جهود المستعربين جهود اخرى قيّمة ، في الغالب ، من بعض المعنيين بدراسة العصور الوسطى . وينبغي ان نحدد ان جهود هؤلاء قد عُنيت باعادة بناء صورة الاحداث المشار اليها ، وما رافقها من الاعيب اللومبارديين والبيزنطيين السياسية التي عاصرتها . وكانت هذه الأعمال اقرب الى الصحّة في ما يتعلّق بالفئة الاولى ، لان المصادر اللاتينية ، رغم ما فيها من نقص وعدم دقة من حيث صحة الوقائع ، كانت اقل توزّعا وتشتّتا من المصادر العربية ؛ ففي هذه المصادر لا نجد في الغالب اثرا لاعمال العرب في البَرّ الايطالي . وبالرجوع الى المصادر اللاتينية — ويندر ان نجد

في المصادر العربية ما يطابقها أو يكملها ـــ استطاع ج . موسكا ، العالم بتاريخ العصور الوسطى ، ان يعيد بنـاء تاريخ الاعوام الخمسين التي كانت فيها مدينة باري عاصمة لدولـة اسلامية مستقلة ، وإن يكـن قد اعطانا تقييمات غير تلك التي أَلِفْناهـا . وقد استطاع ان يصـوِّر فيما بعد غروب تلك الدولـة النهائي في بحث لاحق . ومن الواضـح ان وجود العرب في صقلّية وفي ايطاليا ، وعلـى الاخص في سالنتـو ، قد اشار اليـه مؤرخون من امثال ل . سلفاتوريللي ، و م . سكيبـا ، و ج . بوكيتينو ، و س . ج . مور ، و إي . بونتيري ، و ن . تشيلينتي ، و ج . بيتروني ، وغيرهم ممّن نجـد ذكرا لاعمالهم لدى موسكا ، مصحوبا براي مدروس حول قيمتها في مـا يتعلّق بمدينة بـاري .

ان الغـزوات العربية لشواطىء البحـر التيريني الايطالية تُدْخِل في تاريخ العصور الوسطى كبرى الجزر في ذلك البحـر ، وهي جزيرة سردينيا التي كان المسلمون يغزونها إمّـا من افريقية ، وإمّا من جُزُر الباليار . وكانت جنوا وبيزا بشكل خاص منهمكتين دائما في صدّ هـذه الغزوات . ولقد قامت منذ نحو قرن من الزمان محاولةٌ لاعادة بنـاء وقائع هذه الغزوات ، بشكل خيالي ، في الواقع . والذي قـام بذلك هو ب . مارتيني ، الذي « اعمَتْه الغيرة الوطنية ـــ كما يقول اماري ـــ فلم يفطن الى ما يحوم مـن شكوك حول اصالة الوثائق التي استنـد اليها في بحثه » . وبعد أكثر من مئـة سنة من ظهور ذلـك البحـث الذي لا قيمة لـه ، قامت السيدة كليليا سارنيللي باعطاء صورة وافيـة لتلك الفترة التي كانت فيهـا سردينيا تحت تهديد مباشر من اسطـول مجاهد العامري الجبّار . وقـد فعلت ذلك في فصلٍ رائع التبويب مـن الدراسـة المذكورة آنفـا ، والتي ظلّت ، مع الاسف ، بعيدة عـن متناول علماء العصور الوسطي . وقـد قُدِّمت هذه الدراسة الى كليـة الآداب في جامعة القاهرة لنيـل شهادة الماجستير ، ثـم قامت بنشرها بالعربية ، كما ذكرنا آنفـا . وفي موضوع سردينيا عينـه والاعمال التي قام بها المسلمون فيها ، ظهر ايضا بحث للسيدة لاورا ثيتشا ثاليبري ،

استاذة كليليا سارنيللي ، كانما كـــان الدافع اليه دعـــم تلميذتها في مجال بحثها عينه . ويتجدد الاهتمام بسردينيا (العربيـــة) في بحث بالفرنسية عنوانه (آثـــار عربية في سردينيا) ، يرى فيه المؤلـــف جوفانّي اومان انـــه لن يمكن القاء ضوء جديد حول تلـــك الغارات العربية الا بعد دراسة آثارية كاملة للجزيرة ، تكون نتيجـــة حُفَريّات منظمة فـــي مناطق معينة . اما المـــواد القليلة التي يضمّها متحف كالياري فليســـت كافية لاي اثبـــات .

• • •

الحـــروب الصليبيـــة :

وعهـــد الحروب الصليبية الذي اصطدمت فيـــه المسيحية بالاسلام في بلدان الشرق الادنى الافريقية والآسيوية ، حيث كانت جذور الاســـلام متأصلة اكثر من سواهـــا ؛ لقد تعدّدت بحوث علمـــاء العصور الوسطى حولها ، ولكننا نكتفي بأن نذكـــر من احدثها : (تاريخ الحروب الصليبية) للمؤلف ف . كونياسّو . وامـــا المستعرب الاول والاخير حتـــى الآن الذى التفت الى المصـــادر العربية ، لكي يرى تلك الحروب بعـــين الخصم حينذاك ونفسيته ، فهو ايضا فرانشيسكو غبرييلي ؛ فقـــد اكتشف مجموعة من المختارات البارعة لاشهر مُدَوِّني الاحداث العـــرب ، ممن نَقَلوا الينـــا اخبارًا وانطباعات ، اغلبُها ذو اهميّة تاريخية كبرى ؛ وقـــام بترجمتها الى اللغـــة الايطالية وتحقيقها . ومن هذه المجموعة الكَشْفَة وُلِدَ كتاب (مؤرخو الحروب الصليبية العرب) ، الذي يستحق عليه غبرييلي اعظم الثناء لدقّتـــه اللغوية ، وفخامة عبارته النثرية . وبهذا الكتاب فَعَل المؤلـــف ما كان قد فعله قبل عـــدة اعوام حينما نَشَر كتابه (فرسان القديس يوحنا لدى مؤرخي الحروب الصليبية العـــرب) ، اذ اتاح للزملاء من غـــير المستعربين فرصة الوصول الى اكثر المصـــادر اصالةً في (الكتابة التاريخية العربية للحروب الصليبية) ـــ وكان هـــذا عينه موضوع مقال لاحقٍ لـــه ـــ وإن لم يكن السرد متتابعا في الدراسة ، فلقد كان غريبا في الاغلب على المؤرخين ومدونـــي الحوادث المسلمين .

وفي رقعة الشرق الادنى عينها ، حيث كـان يتأجّج العداءُ بين المسيحيين والمسلمـين ، يُدْخَل بحثُ (العالَم الاسلامي في زمـن فريدريك الثاني) ، وهو بحث كتبه ليثي ديلا ثيدا ، مركّزا فيـه بشكل خاص على لمحـة سريعة من سلسلة الاتصالات والعلاقات بـين المسيحيين والمسلمين ، الذين عاشوا افضل أوقاتهـم فعلا مع ذلك الامبراطور السوابـي .

• • •

عهـد الركـود :

والعهـد الذي يأتي مباشرة بعد سقوط خلافة بغداد عـام ١٢٥٨ ، يسجّل بداية ركود بطيء، ولكنه مستمر، في العالم العربـي . ويزداد الركود ـ او الانحطاط ـ تأكدا منذ بدايـة القرن السادس عشر ، بسيطرة العثمانيين على البحـر المتوسط الشرقي والاوسط . منذ ذلـك النصف من القرن الثالث عشر كان المماليك اهـمّ صُنّاع التاريخ الاسلامي واستمرار العروبة مـدّةَ قرنين ونصف القرن . وظلّت مصر مُرْكَـز الاسلام والعروبة ، مثلما كانت كذلك في العهـد الفاطميّ والعهد الايوبـيّ الذي جـاء بعده . والجهد الايطالي الوحيد لمعرفـة البروتوكول الجافّ والمعقـد الذي كان سائدا في ادارة الحكم المملوكي ، هـو بحثٌ بعنوان (مرسوم تعيين الى نيابـة طرابلس ، في سوريا ، من السلطان المملوكي خُشْقَدَم ، ١٤٦١ ـ ١٤٦٧) ، وفيـه نَشَرَتْ المستعربةُ الشابة رينـا روزي دي ميليو الوثيقة العربيـة ، مشفوعة بتعليق تاريخي توضيحـي . واكثرُ من ذلك كانت الابحاثُ المتعلقـة بعلاقات سلاطين المماليـك مع بعض المـدن البحرية الايطالية ، ولا سيما البندقية . وكانت هـذه العلاقات ، قبل ان تقـوم في شرقيّ البحر المتوسط اكبر دولـة معادية لهـم ، هي الدولة التركية ، قد نَمَّت علاقاتِ تبادلٍ تجاري واسع مـع من سبقهم في السيادة على ذلك البحـر . وأما العلاقات مع البندقية ـ وقد عَرَض لهـا غبرييلي بنظرة شمولية في مقال لـه بعنوان (البندقية والمماليك) ـ فان الكشف الذي قامت بـه ماريا نَلّلينو على (مذكرات مارين سانودو) سيكون عونـا ثمينا لمعرفتها . واهمية هذه المذكـرات

هي في كونها وثائـــق تعكس العلاقات وغيرُها ممّا سَبقها . وقد كشفت ذلك ماريا نَلّلينو في بحثها (مصر منذ وفـــاة قايت باي الى مجيء قانصوه الغوري ، ١٤٩٦ ــ ١٥٠٥ ــ في مذكرات مارين سانودو) . وكانـــت للدوقيّات مصالح مع تونس كذلك منذ القرن الثالث عشر ، حينما بـــدا في افريقية حكـــم السلالة البربرية الحفصية . وفي هذه العلاقات يتحدث ا . ساتشردوتي حديثا واسعا في بحث لـــه عنوانه (البندقية ومملكة الحفصيين في تونس : معاهدات وعلاقات دبلوماسية ــ ١٢٣١ ــ ١٥٣٤) . وسنعود فيما بعد الى ذكـــر اسم هذا الباحث من جديـــد .

ان الاشـــارة الى العثمانيين باعتبارهم قـــوة جديدة في البحر المتوسط تقودنا الى ذكـــر كتاب (فخر الدين الثاني ، أمير لبنـــان ، والبلاط التوسكاني ، ١٦٠٥ ــ ١٦٣٥) ، وهـــو جزآن نفيسان قُـــدّم فيهما ب . باولو صورة موثّقة اوسع توثيق لجميـــع الاحداث التاريخية والدبلوماسية التي كان بطَلَهـــا ذلك الاميرُ الدرزي ، وكان مسرحها لبنان تارة ، وتارة اخرى بـــلاط الغراندوق كوزيمو الثاني التوسكاني ، الذي كان يبدو أن حكّام البندقية والاتراك معـــًا يكرهونه : فقد كان البندقيون مشغولين بمنازعة التوسكانيين على السيادة في الشرق ، مثلما كـــان يثير الاتراك ان يجـــد ذلك الاميرُ المغامر في صِلاته ببلاط آل ميديتشي ما يدعم نفوذه وسلطانه . وامـــا مصر العثمانية فيعيدنا اليها مقال بعنوان (تاريخ علـــي بك المصري ، ١٧٦٣ ــ ١٧٧٣ ــ في مخطوط للمؤلـــف ج . م . ديجون) يوضح فيه إيتّوري روسّي ، استنادا الى مصـــدر نفيس غير منشور ، حياةَ ذلك الرجـــل المغامر ومنجزاته الثوريّة ، وظهوره على المسرح السياسي المصري مـــدى عشر سنوات ، محـــاولا فصل مصر عن سلطان العثمانيين ، ومستفيدا في مطامحه تلك مـــن الحرب التي نشبت بين روسيا وتركيـــا .

• • •

في البحـــر المتوسط :

جـــاء ظهور العثمانيين في البحر المتوسط ، وما تلاه من تأخر العرب اللغوي والثقافي ، في وقت واحـــد مع تأليف الحكومات البربرية فـــي المغرب . وقد اهتـــم بجمع الوثائق الوفيرة حول هذا الحدث مستعربون وغيرهم ، وكتبوا فيه ابحاثا واسعة . واحدى الوثائق التي لا شـــك في اهميتها ، والتي يمكن ان تُطْلِعَنا على أعمـــال القرصنة المريعة التي جُرت في اوائل القرن السابع عشر ، هي في تقرير حول الجزائـــر وتونس ، قدّمـــه الى دوق البندقيّة ج . ب . سلفاغو ـــ وكان هذا كاثوليكـــيّ المذهب ، تركيّ التبعية ، وكان قد أُرسِل في مهمّـــةٍ خاصة الى تينـــك المدينتـــين سنة ١٦٢٥ . وقد اهتـــمّ بنشر تلك الوثيقة ا . سانشردوتي في كتاب لـــه عنوانه (افريقية ، او بلاد البربر) يُعْتَبر جهدا نفيســـا يساعد على معرفة تلك الفتـــرة التاريخية الحاسمة التي تقـــلّ فيهـــا الاخبار . امـــا الاعادة الكاملة لبنـــاء تاريخ البحر المتوسط في القرون التي كان فيها ذلك البحـــر يعجّ بالرعب القاتل الذي زرعه القراصنـــة ، والمتاجرون بالعبيد ، فقد عني بهـــا س . بونو ، مؤلف كتاب (القراصنة والبربر) . في هذا الكتـــاب الذي استقبله النقاد بالثناء الواسع ، نجـــد دراسة دقيقة لتلك الاحداث التي تُعْتَبَر بين اشرس الاحداث في تاريـــخ الانسانيـــــة .

والـــى تاريخ البحر المتوسط في القرون الوسطى وفي العصـــر الحديث ، سرعان ما تنبّـــهَ الاهتمامُ التاريخي لدى المستشرق ايتّوري روسّي ؛ وكان هذا من كبـــار المعنيّين بالدراسات التركية من المستعربين ، وقد ساعده ذلك اكثر من سواه على ان يُعْنَى باللقاء الذي تـــمّ بين عالميْن مختلفين في ذلك البحـــر ، ليقوم بدراسة بعض احداثه استنادا الـــى وثائق مزدوجة . ومن ابرز الادلـــة على ذلك مؤلفاتُه النفيسة التاليـــة : (حكـــم فرسان مالطة في ليبيا ، ١٥٣٠ ـــ ٥١) و (صلات جمعيـــة الفرسان بطرابلس الغرب في القرون اللاحقـــة ، ١٥٥١ ـــ ٩٨) و (المراسلات بين كبـــار معلمي جمعية القديس يوحنا في مالطـــة وبايات

طرابلس ، من ١٧١٤ الى ١٧٧٨) و (والصلات بين كبـــار معلمي جمعية مالطة وبايات تونس ، مـــن ١٦٤٢ الى ١٧٥٦) ـــ الكتابان الاولان منهما اسبق من سواهما ، وهمـــا من اوسع مؤلفات روسّي حول طرابلس الغرب واراضيه ، التي سنشير اليها فيما بعـــد .

في السجلات الحكومية في المـــدن الايطالية التي كانت لهـــا ، لاسباب مختلفة ولا سيما الاسباب التجارية ، صِلاتٌ مع بعض البلـــدان العربية في المشرق او في المغرب ، وقد نجـــد وثيقة هنا واخرى هناك ، تُلقي ضوءًا على تلك الصلات . ومن ذلك مجموعة من الرسائل نشرتهـــا ماريـّـا نَلّلينو باصلها العربي وترجَمَتِها الايطالية ، وقَدّمت لهـــا بمقدمة تاريخية ، وعلّقت عليهـــا تعليقاتٍ وملاحظاتٍ واسعةً في بحث لهـــا عنوانه (وثائق عربية حول العلاقات بين جنوا ومراكش في النصف الثاني من القرن الثامن عشر) . ويبـــدو ان هناك كثيرا من الوثائق المأخـــوذة عن السجلات بلُغاتٍ مختلفة ، غير اللغـــة العربية ، استفاد منهـــا بعض الباحثين الايطاليين ، ممن لم يكونوا دائما من المستعربين ، في اعمالهـــم الرامية الى معرفة العلاقات بين الحكومات الايطالية قبل الوحـــدة ، والدول البربرية في الجزائـــر وتونس وطرابلس الغرب . وفي هـــذا الصدد ، ودون الاقتصار على تونس وحدهـــا ، كما اشرنا سابقـــا ، قـــدم لنا س . بونو مقارنات واسعة في بحثه (مصادر ووثائق ايطاليـــة في تاريخ تونس) . والاهتمام المتجدد الذي نَـــوَدّ ان نشير اليه ههنا ، والذي تثيره تلك العلاقات التي ترجع الى عهود متأخرة عن تلك التـــي ذكرناها آنفا ، بـــدأ بمقال للسيده لاورا ڤيتشا ڤاليري ـــ اذا لم تَخُنّـــا الذاكرة ـــ عنوانه (وثائق ڤاتيكانية تتعلّق بالجزائر ـــ ١٨٢٥ ـــ ١٨٣٠) تَلتْه بعد مـــدة قصيرة دراسة حول العلاقات بين (الكرسيّ الرسولـــيّ والبربر ، ١٨١٤ ـــ ١٨١٩) . وقد اضيف اليـــه بعد بضع سنوات بحث بعنوان (علاقات فرانسا قنّة توسكانا مع دولـــة تونس ، ١٨١٨ ـــ ١٨٢٢) ، كتبـــه ا . ريجّيو ، وكذلك (سردينيا ودول البربر ، مـــن ١٧٩٤ الى ١٨١٥) للمؤلف اي . بوسّي ، ثـــم (علاقات اسبانيا وسردينيا مع دول البلدان البربرية ـــ ١٧٧٨ ـــ ١٧٨٣) لـــه ايضا .

وعلى الرغم من انـــه ليس من قصدنا ان نمضي في تدوين جهـــود الباحثين الايطاليين الرامية الى معرفة تلك العلاقات مـــع دول البربر ، فانه يبدو واجبًا علينـــا ان نُذكّر ان كثيرا من العلماء المتخصصين بالعصور الوسطى والمؤرخين قد قاموا بأبحاث في هذا الحقـــل ، مستندين في الغالب الى اكتشافات واسعة لوثائـــق مستمَدّة من السجلّات . ومن هـــؤلاء الباحثين نذكر : ج . كابونين — و ج . ڤيدوڤانو — و ر . تشيستّي — و ا . غالّيكو ؛ كما نذكر ، بالنسبة الى ايطاليا الجنوبية وصقلّية فـــي نطاق السياسة في عالـــم البحر المتوسط : ج . لامانتيا — و ج . مونتي — و تشي تراسّيلّي — و ف . جونتا . ونحن حين نذكر هؤلاء ، ليس لنـــا من قصد غير الاشارة الى الاتجاهـــات ، وكذلك المواقع المتعلّقة بجـــزء من كتابة التاريخ الايطالية خلال الاعـــوام الخمسين الأخيرة بالنسبـــة الى تاريخ البحـــر المتوسط .

• • •

القـــرن التاسع عشر :

بالقـــرن التاسع عشر — وهو نقطة الوصول ، بالنسبة الـــى هذه المراجعة السريعة-تنتهـــي فترة الركود ، او الانحطاط ، في العالم العربي ، وتبـــدا بعد ذلك فترة التحرّر التدريجي مـــن السيطرة العثمانية المسؤولة مسؤوليةً مباشِرَة عـــن استنزاف المقدرة على التطوّر لـــدى شعوب الشرق الادنى ، والمغـــرب ، نتيجة للمناخ الاداري التركـــيّ المرهق الذي استمرّ اكثر من ثلاثة قرون . وفي هـــذه اليقظة يساهِمُ الغرب بوجوده في مصر في نهايـــة القرن الثامن عشر ، بحملة نابوليون ، التي وضعت امـــام العرب مثاليات تختلف كلّ الاختلاف عمّا عرفـــوه في الماضي القريب الجديب ، وتدفعهم الى الاخذ باسباب الوعي القومي ، تمهيدا لقيام الحركات الثائرة ابتـــداء من الحرب العالمية الاولى . وكـــان بعض البلدان العربية ، منـــذ بداية القرن التاسع عشر ، قد اتّجَـــه الى الخروج من الحكـــم العثماني الذي استمر اكثر من ثلاثة قـــرون ، ليصل الى استرداد بعض ملامحـــه القومية الاصيلة . ولذلك نرى من

الانسب والانفع من جميع الوجـــوه ختام القسم الاخير من هذه المراجعة ، مكتفين بذكر جهـــود الايطاليين العلمية في بعض الحقول الفرديـــة .

مـــن السهل الحدس ان الفرنسيين قد ساهموا مساهمة جليلـــة في كتابه تاريخ البلدان المغربيـــة المختلفة،منذ عهد الفتح العربـــي حتى الاحداث السياسية المعقدة التي انتهت هنالـــك بالاستعمار الفرنســـي للجزائـــر وتونس ، والاستعمار الفرنسي والاسباني للمغرب . واما جهود الباحثين الايطاليين فيما يتعلّق بتاريخ المغـــرب ، وعلى الاخص في الوضع الاداريّ في تلـــك المناطق الثلاث (الفرنسية ، والاسبانيـــة ، والدولية) فنذكر منهـــا ، للأهمية ، كتاب (تقسيم مراكش ـــ احداثهـــا السياسية والدبلوماسية) للباحث س . نافـــا ـــ ولو ان هذا الكتاب ينتمي بشكل خاص الـــى القرن العشرين ، وليس من اختصاص هـــذه الدراسة ـــ واما في التاريخ الحديث ، او على الاصح في فترة تاريخيّة محددة منه ، فنذكر (اسبانيا والمغرب ، ١٨٤٤ ـــ ١٩١٢) للباحث ا . فيستا ؛ وكذلك كتاب (وجها المغرب) للمؤرخ م . جامبيرو ، وهـــو اكثر تحديدا . وحول الجزائر ـــ والذي لدينا عنها قليل ـــ نذكر (الحرب الجزائرية التونسية عـــام ١٨٠٧ ، في مذكرات دبلوماسي هولنـــدي) . وهناك كتاب آخـــر شامل هو (تاريخ الجزائر للمؤرخ ر . راينيرو ، الذي أولى اهتمامه ايضا للحركة الوطنية الجزائرية . واما التزامات فرنسا في شمالي افريقيا فقد خصص لهـــا ف . دي لويجي كتابا . واما الاستعمار الفرنسي لافريقيا الشمالية ، والتدخّلات ذات الطابـــع الدبلوماسي ، التي سبقتها ورافقتها وتلتهـــا مؤسسات سياسية واجتماعية ودينيـــة في كل البلدان الاربعة (الجزائر ، وتونس ، ومراكش ، وليبيا) ، والتغيّرات التي جرت على اثـــر اتصالها بالغرب ، فاننا نجـــد لها كلّها تصويرا وافيا في كتابين قيّمين للمؤرخ اي . دي ليوني . وقـــد استفاد المؤلف الى حـــد كبير ـــ فيما يتعلق بمراكش خاصة ـــ ومن وثائـــق جديدة عُثر عليها في السجلات الحكومية في جنـــوا ، وليفورنو ، ونابولي ، وتورينو . وهـــذا الباحث عينه كان من قبل قد وضع كتابـــا حـــول

(سياسة الوطنيين في افريقيا الشمالية الفرنسية) ، ومقالا حول (مشكلة الوطنيين ومشاكل اجتماعية في الجزائر) . واكثرُ عددا مما تقدم كانت كتاباتُ الباحثين الايطاليين حول تونس .وكان بعضهم مدفوعا بعامل « المدافعة » عن ازمنة اخرى ، فلم يكن من الممكن تقييم اعمالهم هذه تقييما مجردا . وكان بعضهم الآخر يتميّز بالاتزان المرموق ، لتَجَرُّدهم عن التعصّب « للقضيّة الايطالية » التي طُرِحَت خلال الحرب العالمية الثانية . ومن المنطقيّ ان يكون القُطْرُ المغربي الذي ازدادت فيه اهتمامات مستعربينا ومؤرّخينا ، هو ليبيا ، وعلى الاخص طرابلس الغرب . وفي تاريخ هذا البلد من الفتح العربي (٦٤٢) الى الاحتلال الايطالي (١٩١١) ترك لنا ايتّوري روسّي عملا رائعا لاعادة بناء هذا التاريخ . وقد اكمل كتابه هذا عام ١٩٢٨ تقريبا ، ولم يُنْشَر الا بعد وفاته ، منذ بضع سنوات فقط (١) . وهو أوفى كتاب وادقُّه في هذا الموضوع — وهو في القسم الحديث منه يقوم بديلا عن كتاب (طرابلس الغرب من عام ١٥١٠ الى ١٨٥٠) للكاهن الفرنسيسكاني الاب كوستانتسو دابيرنيا ، ويضيف اليه تحسينات قيمة — وقد استند في كتابه هذا الى العديد من المصادر العربية والتركية ، مع دراسة نقديّة واسعة لها ، كما رجع الى وثائق وسجلّات غير منشورة . فجاء كل فصل من فصول الكتاب التسعة عشر تصويرا وافيا مُشْبَعًا ، وقائما على تفكير عميق في الاحداث التاريخية ، والتاريخية السياسية خلال ثلاثة عشر قرنا . ولم يُعْنَ بالتعميمات ، بل اعتَمَدَ دائما اعتمادا دقيقا على النصوص . والذين عرفوا ايتّوري روسّي معلّمًا لهم — كما عَرَفَه كاتبُ هذه المراجعة — يشهدون شهادة امينة بعدائه لكلّ شكل من اشكال الحلول الوُسطى بين البحث العلمي الجادّ والهواية الارتجالية .

---

(١) قام الاديب الليبي خليفة التليسي بترجمة هذا الكتاب الى العربية ، ونشره في بيروت ، سنة ١٩٧٤ (ع . ن .) .

ان الاشارة الى المصادر العربية التي استُمِدَّ منها الباحث المذكور موادّه الاولية لتاريخ ليبيا هذا ، ولعدد آخر من الابحاث ، يحدونا الى ان نذكر — حتى قبل هذه الابحاث — ترجمته الدقيقة لكتاب (تاريخ الوقائع العربية الليبية ، لابن غلبون) وما عَلَّقه عليه من هوامش وملاحظات . وهذا الكتاب ينفرد من بين المصادر العربية الاخرى لتاريخ ليبيا ، ليس فقط بامتداده الى سنة ١٧٣٢ ، بل باشتماله ايضا على اخبار لا توجد في سواه ، حول الحياة الفكرية المحلّيّة ، ابتداءً من الحكم العثماني . ونرى من لغو القول تاكيد اهمية الخدمة التي قدمها روسّي للباحثين من غير المستعربين في تاريخ ليبيا ؛ فقد كانت ترجمته للكتاب المذكور من اهم المراجع في تاريخ ليبيا . ومن سلسلة كتابات هذا الباحث حول ليبيا ، وهي تؤلف حقلا خاصا في انتاجه الضخم النفيس ، نشير كذلك الى كتاب له حول (فَزّان وواحة غات) ، والى صورة سريعة من (تاريخ ليبيا من الفتح العربي الى سنة ١٩١١) حيث تعطينا لمحة موجزة ، حسنة الشرح ، حول ذلك التاريخ .

هنالك صَفٌّ كثيف من الباحثين الايطاليين الذين قرنوا اسماءهم بمشاركات في الموضوع عينه . ومن بين هؤلاء يجدر بنا ان نذكر كذلك ر . ميكاكّي ، الذي كَتَبَ بحثًا تاريخيًّا حول (طرابلس وليبيا قبل الاحتلال الايطالي) وكتاباً بعنوان (ليبيا تحت حكم آل قَرَمَنْلي) . وآل قرمنلي هم اسرة اهتم بها كذلك مِنْ بُعْدٍ الاب كوستانتسو بيرنيا ، الذى تَقَدَّم ذكره . ولاجل وضع الكتاب المذكور ، استعان ميكاكّي — وكان موظفا كبيرا في الادارة الاستيطانيّة حينئذ — بموادّ وفيرة غير منشورة ، كانت متوافرة في السجلات الاوروبية ، وتتعلّق بليبيا تحت حكم الاسرة القرمنلية (١٧١١ — ١٨٣٥) وقد جاد بوضعها تحت تصرفه ب . توسكي ، وكان قد وضع لها كشفا غنيًّا بعنوان (المصادر غير المنشورة في تاريخ ليبيا) . وهناك اشارات اخرى الى الوثائق المحفوظة في السجلات الرسمية قَدَّمَها بعدئذ س . بونو . وهنالك

عـــدد كبير آخر كبير من المؤلفـــات حول تاريخ ليبيـــا نترك ذكرها للمقدّمة التي وضعها روسّـــي لكتابه (تاريخ طرابلس) ولمـــا الحقه من اضـافات ببليوغرافيّـــة بمختلف الفصول . واما ما لـــه صلةٌ مباشرة بالسنوسيّة ــ وكانت هـــذه قد دَخَلتْ منذ منتصف القرن الماضي دخـــولا بارزا في الاحداث التاريخية في بُرْقَـــة وطرابلس ــ فنتركها الى الاشـارات الببليوغرافية التي تضمَّنَتْها كتاباتُ كارلـــو نَلّلينو ، والبيتّـــي حول هذه الجماعـــة الدينيـــة .

. . .

اسرة محمـــد علي :

وناتـــي الآن الى محمـــد علي ، راس الاسرة التي حكمت مصر الى عـــام ١٩٥٢ ، والرجل الذي كان،بإجماع الآراء،معيدَ مجـــد مصر بعد سقوطها في اوائـــل القرن الماضي في حالـــة من الفوضى ، كانت الحملـــة النابوليونية قد خفَّفتْ من حِدّتها آنيّـــا فقط . لقد كانت جهود الباحثين الايطاليين حوله كبيرة ، غـــير ان القليل منها ذو قيمة حقيقية جديـــرة بالتقدير . ومن بينها جميعـــا تتميز اعمال ا . سَمّارْكو ، الذي عُهِـــد اليه الملـــك فؤاد الاول بتكملة الوثائق الدبلوماسية الايطالية المتعلّقـــة بمُلْـــك محمد علي ، ودراستها ونشرها . وكـــان اي . غريفّيني قـــد بـــدأ بجمع هذه الوثائق وادارتها ، وهـــو مستشرق متخصّص بالدراسات التركية ، كان قد استُدعِيَ الـــى القاهرة ليتولّى ادارة مكتبـــة القصر الملكي . ومن هذه المجموعة النفيسة غير المنشورة وُلِـــدَ القسمُ الأهمّ والأكثرُ اصـالة من انتـــاج سَمّارْكو التاريخيّ المتعلق بمصر الحديثة ، ومن ابرزها : (رحلة محمـــد علي الى السودان ، من اكتوبر ١٨٢٨ الـــى ١٥ مارس ١٨٣٩)؛وكتاب (مملكة محمـــد علي في الوثائق الدبلوماسية الايطالية غير المنشورة) باجزائه الأحد عشر . لاجـــل هذه الكتب ، وغيرها مما تلاها ، قـــام المؤرخ بفحص قسم كبير من الوثائق العشرة الآلاف المحفوظة في السجلات الحكوميـــة في نابولي ، وفلورنسا ، وتورينو ، والبندقية ، وفيينّـــا ، مدقّقا ومقارِنًا بينها ، ومستخلصا منها حقائـــق

وتقييمات تاريخية جديدة كـل الجدّة بالنسبة الى تلك التي كانت تتميّـز بهـا الكتابات التاريخية الشرقية والغربية حينذاك ، بسبب نقص الوثائق الصالحـة .

ومـن المؤسف أن اندلاع الحرب العالمية الثانية ، ووفـاة الباحث بعدئذ ، كانا السبب في عـدم انجاز العمل في عدد آخر من الاجـزاء التي كانت متوقّعة لهذا الكتاب ، عـدا الاجزاء المنشورة منه . ولقد كان سَمّارْكو كذلك مؤلّفـا للجزء الرابع من الكتاب الفرنسي (موجـز تاريخ مصر) حول مُلْـك عباس ، وسعيد ، واسماعيل ؛ وكذلك المجلـد الثالث من كتاب ذى خمسة مجلدات ، تبـدأ من أوائل القرن التاسع عشر ، وتصل الى الاحتلال البريطاني لمصر سنة ١٨٨٢ ، وكذلك (مُلْـك الخديوي اسماعيل ، من ١٨٦٣ الـى ١٨٧٥) باللغـة الفرنسية . وهذه كلّها اعمال انضجتها الدراسة الجامدة للوثائـق المنشورة وغير المنشورة ، المتعلقة بالقرن التاسع عشر مـن التاريخ المصري .

وفي هـذا القرن نُجِدُ تمهيدات لِحوارٍ مع أوروبـا ، كان قد بـدأ من قَبْلُ في زمن محمّـد علي ، واستأنفه من بعده خلفاؤه بكثير مـن الاهتمام ، مما ساهم في وضـع مصر على راس البلدان العربية ، في الحقل السياسيّ ، والسياسيّ الثقافيّ ، وبمحمد علي يُخْتَمُ كتابُ (تاسيس مصر الحديثة ، والمساهمة الايطاليـة في نهضتها السياسية والمدنيـة — فجر النهضة المصرية — ١٧٦٠ — ١٨٤٠) ؛ وهو رؤيـة شاملة ورائعة قدّمها ا . فيرتسي . وكذلك كتاب (القضيّة المصرية من سنـة ١٧٩٨ الى ١٨٤١) تاليف تشي . جيليو ، المعروف بابحاثه الاخرى فـي التاريخ والسياسة المتعلّقين بالاستيطان ، او الاستعمار . ومن هـذه الفترة عينها انطلق باولـو منغانتي في كتابه (مصر الحديثة)، الـذي يمكن اعتباره واحـدا من اكمل الابحاث واحدثها في الاحداث التـي جرت في منطقة الدلتـا من القرن التاسع عشر الى ثـورة ١٩٥٢ .

ولا تختلف زُمنِيّـا نقطة الانطلاق في الكتاب الآخر (مصر من احداث ١٨٨٢ الى ايامنـا هذه) بِجُزْايهِ ، للباحث ب . البيتي ؛ وقد عني فـي

هذين الجزاين عنايـــة جادة بتحديد وجـــه مصر خلال الاعوام الثمانـــين الاخيرة من تاريخهـــا . وانطلاقا من مقدرة المؤلـــف الفريدة ، وتحليلاته الدقيقة ؛ وبحثه الجـــادّ ، استطاع ـــ وهو موظف كبـــير في وزارة الخارجية الايطالية ـــ ان يكمل كتابه في عـــدة سنين ، كما يبدو مـــن مقالاته المنشورة في مجلات مختلفة ، حول ازمنـــة معيّنة من تاريخ مصر الحديثـــــة .

ويمكننـــا ان نذكر بين المصادر التاريخيـــة ذات الاهمية القليلة او الكثيرة ، اضافةً الى كتيّب للباحث او . توسكي ، اعمالا ايطاليـــة عديدة تساهم في معرفـــة تاريخ مصر بين قرنين . وقد اغفلنا الاشارة اليها لان مؤلفات منفانتي قـــد اشارت الى اهمّها في ثنايا الفصـــول .

قنـــاة السويـــس :

وقنـــــاة السويس ، التي ولدت في القرن التاســـع عشـــر باهتمـــام دَوْليّ ومصالح مشتركة ، وبمباركة الجميـــع ، ولـــم تلبث ان اصبحت مثار جدل محتدم على اثـــر تأميم عبد الناصر لهـــا في صيف سنة ١٩٥٦ ؛ لقد كَثُرَتْ حولها الابحاث والدراسات والمقـــالات ، ليس فقط مِن قِبَل المؤلفين الذين سَبَق ذكرهم ، بـــل مِن قِبَل كثيريـــن آخرين وقفوا العديد من المقـــالات على هذه المشكلة الشائكة ، لكـــي يبرزوا بشكل خاص تعقيداتها السياسية والقانونية . جميـــع الظروف التاريخية الماضية والحديثة التي كان فيها ذلك المـــرّ المائي ذا دور حاسم من حيث النقـــل العسكري ، كانت تبـــدو مناسبات تَفْرِض على الباحثين خوض ذلك الموضوع . وكمـــا ان الحرب الايطاليّة الحبشيـــة، عـــام ١٩٣٥، اوحت الى سَمّارْكو بان يكتب مقالـــه (الحقيقة حـــول قنـــاة السويس) ، وعنوانه يرينا نيّـــةً سابقة مبرمَجة لدى المـــؤرخ لالقاء الضوء على قضايـــا ذات اهمية رئيسية ، كذلك اوحت الـــه الحرب العالمية الثانية بوضع كتابـــه (السويس ـــ تاريخ ومشكلـــة) . ولكنه في هذه المـــرة اراد ان يوضح لنـــا بعض الوجوه بشكل اوسع ،

واستنادا الى وثائق مصرية واوروبية غير منشورة . وقبيل اندلاع الحرب العالمية الثانية مباشرة ، خرج الى النور كتاب بعنوان (قناة السويس والعلاقات الانجلو مصرية) للباحث ب . البيتّي ؛ وكتاب (السويس) وفيه أعادَ اي . انكيري طبع كتاب كان قد نشره قبل ذلك بعامين ، واكمله باحدث المعلومات . والببليوغرافية الغنية التي يتضمّنها هذا الكتاب تُغنينا عن اية اشارة اخرى .

السودان :

وهناك عبء آخر في التاريخ المصري الحديث ، وقد ظلّ كذلك عشرات السنين ؛ ذلك هو السودان الانجلو مصري ؛ وهو حكم مشترك عاصف كان قد تَقَرَّر منذ سنة ١٨٩٩ لذلك القطر الواسع جنوبي نهر النيل ، ولم يكن اقلَّ من قناة السويس اثارة للنزاع والفوضى بين حُكّمين متخالفين . وقد اضطر الانجليز والمصريون الى النزول عند مطالبة اهله الشرعية بالاستقلال . وأُعْلِنَ الاستقلال رسميًّا في ديسمبر ١٩٥٥ . وقد خصص سَمّارْكو ، ومِنغانتي ، والبيتّي ، في مؤلفاتهم المذكورة آنفا ، فصولا لهذه القضية ، فأوضحوا ببراعة فائقة الوجوه البارزة المختلفة ، واصدروا في ذلك تقييمات موضوعية . وقد قام اي . انكيري ، و او . توسكي بتحليل احداث الامس واليوم في مصر : الاول فعل ذلك بكتابه (تاريخ السياسة الانكليزية في السودان ، ١٨٨٢ — ١٩٣٨) والثاني في صورة سريعة للقضية اجملها في كتيّب يؤلف مع كتابه السابق حول مصر لوحة عضوية ذات وجهين . واوسع من ذلك كتابٌ وَضَعَهُ ا . ميلّليني بونشه دي ليون ، عنوانه (تاريخ السودان الشرقي وبعض وجوهه — السودان الانجلو مصري) ؛ وهو جدير بأن نذكره بين الاعمال الحديثة جدًّا ، وبالتالي بين اوفاها واشملها ، ولكنه يخلو من اية اشارة الى الوضع الذي انتهى اليه البلد حالا بعد الحرب العالمية الثانية ، حين احتدم النزاع بين الوحدويين ، الذين كانت القاهرة تشرف على تنظيمهم وتوجيههم لدعم الوحدة مع مصر ، ومعارضيهم الاستقلاليين .

ختـــام :

بهـذه الاشارة الى اهـم الاحداث التاريخية والانعطافات السياسية في العالم العربي في نهايـة القرن التاسع عشر ، التي اوضحتها ايضا ايضاحا كافيا الفصولُ الاخيرة من الابحـاث التاريخية العامة والجزئية ، نختتم هذه المراجعة السريعة لأهـمّ الجهود الايطالية في حقـل التاريخ العربي خلال الاعوام الخمسين الاخيرة . وقـد لا يكون الحصاد وافرا في بعض الحقول ، ولكنه وافـر فعلا في حقول اخرى . وقـد جمعناه مما عُنيَ بتاليفه المستعربون ؛ وهـم ذوو فضل في انهم كثيرا ما هيأوا للباحثين الآخرين امكانية الوصول مباشَرةً الـى المعلومات ، او بالأحرى قَدَّموا لهـم المَثَلَ في التخصُّص المِهَنـي ، والانقطاع الى دراسة عالَـم ظَلَّت البحوثُ الخاصةُ بمسيرته التاريخية زمنـا طويلا تُعْتَبَر هامشيّةً بالنسبة الى تاريـخ الانسانية الأكبر ، ولكنه اليوم ـ اخيرًا ـ لم يَعُـدْ خارج نطاق الابحاث العلمية المتخصصـة .

مَع الكتب

رايات المبرّزين وغايات المميّزين
لابن سعيد الأندلسي [1]

مراجعة : الدكتور محمد رضوان الداية
(أستاذ الأدب الأندلسي بجامعة دمشق)

— ١ —

بعد اضطراب احوال الاندلس في القرن السادس الهجري ، كثُرت الهجرة عنها الى بلاد المغرب والمشرق . وكان في العلماء الادباء الذين قصدوا الى المشرق ابو الحسن علي بن موسى بن سعيد ؛ وهو اندلسي من قلعة يَحْصُب (قرب غرناطة) ، ولكنه اشتهر في المشرق بابن سعيد المغربي ، باعتبار أن ما وراء مصر جميعا مغرب .

وكان موسى والد علي يعمل مع الموحّدين ، ثم انضم الى ابن هود في مدة سطوته على قسم من الاندلس (٦٢١ — ٦٣٥) . ثم غادر موسى وابنه علي الى تونس فمصر . واشتهر ابن سعيد في مصر والشام والعراق وغيرها اديبا شاعرا مصنفا ، وترك عددا من المصنّفات ، طُبِع بعضها وما زال بعضها مخطوطا .

وقد اطرف ابن سعيد (الاندلسي) اهل المشرق بِطُرَف من اخبار بلاده ، وبتراجم ادبائها ورجالها ، واشاع بينهم الوانا من اشعارهم وموشحاتهم وازجالهم ورسائلهم ... الخ ، فكان بحقّ رسولا من رسل الثقافة الاندلسية الى المشرق الذي كان متعطشا الى الطُرَف الاندلسية والمغربية .

ومن اشهر كتبه ، وهي مطبوعة : « المُغْرِب في حُلَى المَغْرِب » ، و « الغصون اليانعة في محاسن المئة السابعة » ، وكتاب في الجغرافية ،

---

(١) تحقيق الدكتور النعمان عبد المتعال القاضي — القاهرة .

وكتاب « المُرْقِص والمُطْرِب » المطبوع باسم : « عنوان المرقصات والمطربات » . وفي كتبه ايضا : « رايات المبرّزين وغايات المميزين » الذي نعرض اليوم له ، ولتحقيقه .

وكتاب الرايات هو مختارات شعرية مختصرة ، اعتمد فيه المؤلف اساسا على كتابه الآخر : « المُغْرِب في حُلَى المَغْرِب » . وقد قسمه الى ثلاثة اقسام ،

القسم الاول : ويختصّ بجزيرة الاندلس ؛ وجعله في ثلاثة اقسام داخلية ،(غرب الاندلس ، ووسطها ، وشرقها) .

والقسم الثاني : يختصّ بالمغرب ،وهو في ثلاثة اقسام داخلية ايضا : (المغرب الاقصى ـ المغرب الاوسط ـ المغرب الادنى « افريقية ») .

والقسم الثالث : يختصّ بجزيرة صِقِلِّيَة .

ويقوم اختيار ابن سعيد في كتابه على منهج يتابع فيه ما نجده في كتابه : « عنوان المرقصات **والمطربات** » : من التفريق بين انواع النظام والكلام بحسب منهج خاص ، وذوق معين ...

فهو يحتفل احتفالا كبيرا ، بالغريب من المعاني ، والبعيد في الخيال ، والجديد المخترع من المعاني والصور . ولهذا قال في مقدمة "الرايات" (ص ٣١) : هذا مجموع اوردت فيه من غرائب شعراء المغرب ما كان معناه ارق من النسيم ، ولفظه احسن من الوجه الوسيم ، ليرفّ على نداه ريحان القلوب ، وتتعلّق الاسماع بمعاده تَعَلُّق عين المحبّ بطلعة المحبوب ... وحقّ له ذلك إذْ قُمُصُ الفاظه مفصّلة على قدود معانيه ، وزخرف اتقانه من حسن مبانيه ؛ **واشترطتُ** مع هذا الا اورد منه الا ما لم يُسْبَقوا الى معناه ، او استحقّوه بزيادة او حسن عبارة ، أبْرُزْتُه بعد تجويده في حلاه .. » .

وهو سفر لطيف الحجم،يشغل ما بين صفحة ٣١ ، ١٥١ من المطبوع . وتشغل مقدمة المؤلف ثلاث صفحات .

امـا مخطوطة الكتاب فهي نسخة وحيدة متأخرة ، لا تخلـو من تصحيف وتحريف هنـا وهناك ، غير ان خطها نسخي جميل مجـوَّد .

وليست طبعة الكتاب الجديدة هـي الطبعة الاولى ، فقد سبق ان حققه المستشرق الاسباني البحّاثة القدير غارثيّا غومس، في مدريـد، سنة ١٩٤٢ ، ثـم نهض بعبء نشره ثانية الدكتور النعمان القاضـي هـي القاهـرة .

وقَـدَّم الدكتور القاضي للكتاب بمقدّمة طويلة نسبيًّا (نحـو ٣٠ صفحة) من كتاب لا يتجاوز ١٨٤ صفحة بفهارسه وملاحقـه . وهي مقدّمة يُسْتَغْنَى عن كثير مما فيها، كما سأُبَيِّن .

والامـر المطلوب في مقدمة كتاب كهذا ان يُعَرِّف المحقـق بمؤلـف الكتاب ومخطوطة الكتاب ، وان يتحدث عـن مضمون الكتاب ومنهجـه ، ومصادر المؤلـف ومراجعه ؛ ولـه إنْ شاء ان يُقَوِّمه ويضعه في مكانـه من الكتب المماثلة ، إن وُجِدَت ؛ ومـا اشبه ذلك ...

ولكـن المحقّق زَحَمَ المقدمة وطَوَّلَها بموضوعات من نافل القول ، واضطر ــ وقد جَـرَّ الكلامُ بعضَه بعضـا ــ الى اطلاق الاحكام العامة ، والى البتّ في قضايا اندلسية مـا زالت مدار بحث ، لم يُقْطَع فيهـا المتخصصون انفسهم ، ووقع في اخطـاء تاريخية وادبية كثـيرة !

وتـدور مقدمةُ المحقّق حول ثلاثـة امـور :

١ ــ الحديث عن وحدة الفكـر العربي على مـرّ العصور ، وعن ارتباط الاندلس بالمشرق . وقـد اضطرب المحقّق في هذه العلاقـة وتحديدهـا .

٢ ــ الدفـاع عن الحضارة الاندلسية ، والاعتذار عن غياب بعض الاغراض ، كالشعر الفلسفي الذي نجـده في شعر المعري ؛ واعتذر عن غياب بعض فنون القول ، كالذى ظهر في الغرب !!

٣ ــ الحديث عن كتاب الرايات ، وصاحبه ، وعن الطبعة السابقة (بتحقيق غارثيّا غومس) .

ولم يوفّر حماسته البالغة حين وصف المحقِّقَ السابقَ (١) لنص رايات المبرزين بالمُجمة (عجمة المحقّق ، صفحة ٢٦ ، وبوقوعه في المزالق ، صفحة ٣٠ ، وبأنه يتصف بالغفلة، هامش صفحة ٥٣) الخ . وهناك مسوّغات كثيرة لنشر الكتاب ثانية دون الوقوع في عمل المستشرق القدير وشخصه . فهذه هفو من هفوات الدكتور القاضي في هذا الكتاب وسنَعدّ لك منها اشياء .

ـ ٢ ـ

من احكام المحقق الخاطئة ، في مقدمته ، ما قرّره جازما بأنه كان من الصعب اشاعة وحدة سياسية في الاندلس (صفحة ٥) . وقوله ان ابن عبد ربه جمع مادة كتابه **كلّها** من آثار المشرق . (صفحة ٨).ومعلوم ان في العقد نُبَذًا اندلسية تمنع ذلك التعميم . ومنه حكمه على الشعر الاندلسي بأنه يصطبغ بصبغة المحافظة (صفحة ٩) على غموض العبارة ، وقصره مهمة العرب في صِقِلّيَة على نقلهم التراث اليوناني الى ايطالية وسائر اوروبة !! (صفحة ٦)،وقوله ان ابن شُهَيد تاثر ابا العلاء المعري (صفحة ٩)؛وغموضه في قوله عن الاندلسيين ان تجديدهم « لا يتجاوز التعمُّق في الخيالات دون المساس بالجوهر » ؟ ! (صفحة ٩) ، واشادته بشاعرية ابن قُزْمان (صفحة ٩) علما بانه كان زجّال الاندلس ، اما شعره فكان من طبقة دون طبقة الاجادة ... واوهامه في ذلك واسعة كثيرة .

---

(١) يظهر لي ان المحقق الدكتور القاضي لم يطّلع على كتاب (الشعر الاندلسي ــ بحث في تطوره وخصائصه) الذي ترجمه د. حسين مؤنس وطُبِعَه مرتين في القاهرة . فان غومس اعتمد اساسا في هذا الكتاب على نصوص "رايات المبرّزين".

وأنفـق قسما من المقدمة للحديث في نشأة الموشّحات ، ونصر راي الدكتـور شوقي ضيف الذي تبنّاه من القـول بالاصل المشرقيّ للموشّحات ، علما بان كتـاب "الرايات" لا يذكر الموشّحات ولا يمرّ بها — عـدا ذكره خرجة واحدة صفحة ٧٩ من موشحة لابن بقيّ ! — .

وفي الجملـة، هي مقدمة مشوّشة ، كان الاجدر بالمحقق ان يقتصد فيها ولا يغوص في قضايا لم يُبَتَّ فيهـا ، او في قضايا هي بحاجة الـى بحث موسّع لتتبين معالمهـا ..

— ٣ —

ونظـرا لكثرة الملاحظات التي سَجَّلْتُها على حواشي نسخَتي من الكتاب ، ساقتصر على نُبَـذ منها في ابواب متفرّقة من الحديـث ؛ وساكتفي بقسم من الاقسام الثلاثة في الكتاب (القسـم الاول) فغايتي هي تقديم النماذج ، ومناقشة منهج المحقّـق ، ومراجعة بعض القضايا ...

واول ما ابدا بـه امرٌ هامّ يتعلّق باصول تحقيق النصوص ، وهـو الاخذ بالنص والتقيُّد بـه ، وعدم الخروج عنه . وفي النسخ الوحيـدة لا يكون التبديل الا بقرينة واضحة او مرجح واضح ، ويُنَبَّـه الى ذلك في مواضعه ، كما يُنَبَّـه الى ذلك في خطـة العمل . وقد يكتفي بعض المحققين باثبات النص على حالـه، مع التعليق والتصويب في الحواشي .

وقـد وَجَدْتُ الدكتور القاضي يخالف النصّ ، ويُخْرِج عن روايته الى رواية مصادر اخرى دون سبب او داعٍ الى ذلـك .

١ — في الصفحة ٤١ ، قـال ابن زهر الإشبيلي :

وموسّدِينَ على الأكُفّ خُدودَهم قد غالَهُم ضوءُ الصباح وغالني

وهـذه رواية "النفح" و"الوفيات" ؛ اما رواية المخطوطة الاصلية فهي :

وموسّدِينَ على الخُدودِ أكُفَّهـم قد غالهم ضوءُ الصباح وغالني

ومن العجب مخالفة النص في هذا المجال .

ب — في الصفحة ٤٣ انشد قول صفوان بن ادريس ، صاحب كتاب "زاد المسافر" :

ابِعَيْنِكَ الشَّتْراءِ عينٌ ثَرَّةٌ منها تَرَقْرَقَ دمعُك المسفوحُ
شَتَرَتْ فَقلنا زورقٌ في لجَّةٍ مالت باحدى جانبيه الريحُ

وروايــة المخطوطــة :

"مالَت فقلنا زورق .." الــخ . فخالف النصَّ الى سواه ، وكان حقُّــه ان يرجع الى "زاد المسافر" صفحة ٩٢ حيث روى صفوان الابيات لنفسه !

ج — في الصفحة ٤٦ من شعر ابي الصلت امية بن عبد العزيز :

قال حسودي وقد رآهُ يُخِبُّ تحتي الى القتال

والبيت ، في جملة ابيات ، في صفة فرس وروايته في المخطوطة :

قال حسودي وقد رآه يُجنِبُ خلفي الى القتال

فبدَّله مُفضِّلا رواية "النفح" على رواية النص الاصلي و"الخريدة" معًا !

د — في الصفحة ٤٦ ، عن شعر ابي الصلت :

لا غرو ان سبقت يداك مدائحي وتدفَّقَتْ جدواك ملءَ إنائها

ورواية النص : لا غرو ان سبقت علاك مدائحي ...

هـ — في الصفحة ٤٧ : وقال في فرس اصفر . وفي الاصل المخطوط : في فرس اكحل !

و — في الصفحة ٥١ وصف الشاعر تمايُلَ القَصَب بمرّ الهواء على مجلس الشراب حتى لثم رؤوسهم ، وقال للساقي :

أَسْهِمْهُ مِنْ اكوابنا ولو انه سكرانُ يَطفَحُ ، حَقَّ ما لَثَمَ الرؤوسْ

وروايــة المخطوطــة :

" اَلثِّمْـهُ مِن اكوابنا .." الخ . فبدّلها المحقق ، وضيّعه ان الناسخ اوردها (أَبِلَثْمِهِ) فلم يهتـدِ الى تصحيفه ، وبدّل الكلمة برواية المغرب .

ز — في الصفحـة ٧٧ :

واذا نظرتَ الى محاسن وجهه ابصرتُ وجهك في ثُنـاه غريقا

أوردهـا (ثنـاه) اجتهادا . وترك روايـة الاصل وهـي (ابصرت وجهك في سِناه غريقا) . والابيات مشهورة جـدا لابن عبد ربـه وتتردد في تراجمـه .

• • •

وَيلْحَـق بهذه الفقرة خطـأُ المحقق في قراءة بعض الكلمـات . وكثيرا ما تجـده يلتمس رواية او يصوّب كلمة ، ولو أنـه قـرأ النص على وجهه لاستقام لـه واتّضح . في الصفحة ٣١ قال ان الكلمة في المخطوطة (إذن) وحوّلها الى (آذن) . وهـي في الاصل مهملة من الهمز ! وفي الصفحة ٣٨ قـرأ (زِدْتك) و (زاد) وحوّلها الـى : زُرْتك وزار . وهما كذلك في المخطوط ! ولكنـه خفي على المحقق قاعدة كتابـة الخـطّ النسخي . وفي الصفحة ٢٤ قـرأ العبارة (قلتُ بـه) وصوّبها الى (قلتُ إليـه) وهي كذلك في الاصـل . وفي الصفحة ٤٧ قـرأ العبارة (وقرَّ بـه) واثبتها : فَفَرَّ بـه ، وهي كذلك في الاصل .. الـخ .

وممّـا اخطأَ في قراءته واثبتَه على خطئـه قوله، صفحة ٤٦: "وانشد صاحب الخريدة لأُمَيَّة بن عبد العزيز في (مجمرة طبيب) هكذا ، وصوابها في مجمرة (طِيّب) ، وهي كذلك في المخطوطـة !

— ٤ —

وفي ضبط بعض البلدان وهـم او خطأ . في الصفحة ٣٨ (رُنْدَه) بفتح الراء ، والصواب (رُنْدَه) بالضم . وفي صفحـة ٥١ : وقد تعدنا بالغروس على نهـر اشبيلية . والصواب : تعدنا بالعُروس (بالعين

المهلة) على نهـر اشبيلية (ديوان ابن سهل الاشبيلي صفحة ٦٢) و (العَروس) من متنزَّهات اشبيليـة .

وفي صفحـة ٥٢ وردت (مدينة مُنّيش) مشدّدة النون ، ثم اوردها بعد سطر بنون مفتوحة مخففة (مُنِيش) . وفي المُغرب (مُنِيش) بنون مخفّفة مكسورة . وفي جغرافية الاندلس واوروبة (قطعة من المسالك والممالك للبكري صفحة ٦٢ ، ٦٣) مدينة مُنْتِيشـة Mantesa بتـاء زائدة . وكان يُحْسُن ان يوحَّد رسم الكلمة ويراجعها على المظـانّ الجغرافيـة الاندلسيـة .

وفي الصفحة ٦١ قـال بِهي مدينة (يابُره) بباء ساكنة ، وصوابهـا (يابُره) بيـاء مضمومة .

وضبـط مدينة شنترين (صفحة ٦٤) بكسر التاء والصواب فتحها .

وفي الصفحة (٨٦) عرّف (الزاب) بأنه بلـد بالاندلس !! والصواب انـه كما في الروض المعطار : في اطراف الصحراء من عمل إفريقية .

وضبـط (صَقلّية) بفتح الصاد ، والصواب كسرها . وفي ١٢٧ ضبط (مُكناسة) بضم الميم والصواب كسر الميم . . .

وتحدث في المقدّمة وفي الحواشي عن جزر (البليـار) والعرب كانت تسميها الجزائر الشرقية ، وهي ميورقة ومنورقة ويابسـة .

ووَقَـعَ مثلُ هذه الاوهام في ضبط بعض الاعلام او التعريف بهـم ، مما هو ظاهر او معروف . فهـو ضبط (الخَشْني) بسكون الشين ، والصواب فتح الشين : صفحـة (٤٠) .

وضبـط غياث (صفحة ٥٣) غَيّاث على وزن شَدّاد !

وضبـط ابن دُحْية (صفحة ٥٣) بضم الدال ، والصواب (دِحْية) بكسـر الـدال .

وقـــال في نسب ابن حزم إنـــه (ابو محمد علي بن ابي عَمْرو بن حزم) والصواب (ابن ابي عُمَـــر) . (صفحة ٦٩) .

وفي الصفحة ٤٣ في الحاشية (٨) عَرَّف بابي بكر محمد ، وهـــو من بني عم ابن زُهر المعروف بالحفيد فقال : « هو ابو بكر بن زُهـــر الاصغر ، وهو ابن عم الاكبر ... » . فاخطا في تعيين ابناء زُهر الثلاثة . والصواب ان المترجَـــم في الصفحة ٤٣ واحـــد من اسرة بني زُهر ، امـــا الآخران فاحدهما ابـــن زُهر الحفيد ابـــو بكر محمد بن عبد الملـــك (ت٥٩٥) والثاني جَدُّه ابـــو العلاء زُهر (ت ٥٢٥) .

ونقـــل ابن سعيد خبرا عن شيخه الأعلَم البطليوسي (ت ٦٤٢) . فعلَّق المحقق في الحاشية (٤) : « هـــو غير الاعلم البطليوسي صاحب التآليف المشهورة : .. الـــخ » . وهذا وهـــم . وهو يريد : الاعلم البطليوسي غير الاعلـــم الشنتمري (ت ٤٧٦) صاحب التآليف المشهورة .. (هـــذا في الصفحة ٤٨) .

وعَرَّف باحـــد الأُدباء الصقلّيين فقال : (ابـــو الحسن علي بن عبد الرحمن بن ابي البشر ، الكاتب الصقلّي) ، والصواب انـــه الشاعر الكاتب ، ولـــه ديوان طُبِع مرّتين !!

واستغرب المحقـــق (صفحة ٢٣) ان يُنْسبَ المؤلِّف ابنَ رشيق الى المسيلة (المحمديـــة) !! وليس في هذا عجب لانه مولود بهـــا ، وإن اشتَهَر بابـــن رشيق القيرواني .

— ٥ —

وتجـــد بعض الالفاظ مضبوطة بالشكل بمـــا يخالف الصواب ، او بما لا يتّفق مع المعنـــى . وقد يكون شيء من هذا من اخطـــاء الطباعة .

مـــن ذلك ورود كلمة (ذخر) بالذال ، اخت الدال ، مرّتـــين (صفحة ٢٦) وهو يريـــد (زخر) بالزاي ، اخت الراء .

وضبط (الكَلّة) (صفحة ٧٠) بفتح الكاف وهي (الكِلّة) بالكسر ، لمعنى السِّتر الرقيق ...

وفي الصفحة (٧٢) قال احد شعراء "الرايات" :

امسى الفَراشُ يطوف حول كؤوسنا اذ خالهُا تحت الدجي قِنديلا

ما زال يَخفقُ حولها بجناحه حتى رَمَتْه على الفِراش قتيلا !

ضبط المحقق (يخفق) بضم الفاء ، والصواب كسر الفاء . وزاد انْ ضَبط (الفراش) في البيت الثاني بالفتح ، والصواب بالكسر ، لمقتضى المعنى .

وضبَطَ المحقّق (صفحة ٨١) كلمة (كناس) بضم الكاف ، والصواب الكسر لانه يريد المأوى الذي يلجأ اليه الظبي .

وضبط كلمة (كبد) بكسر الباء (صفحة ٤٩) والصواب فتح الباء ، يريد معنى المشقّة ، والبيت من قطعة في وصف نوّارة :

يا حسن نوارة للأفق راجمة بالشُّهْب تنزو نُزُوَّ الواثب اللَّعِب

ينساب عنها حباب الماء مندفقاً الى البحيرة مثل الأيم من رُعُب

كأنما مارَ تحت الارض في (كَبَدٍ) : فحين ابصر وُسْعَا جَدَّ في الهَرَبِ ..

وفي (الصفحة ٤٢) "كافورتي" ضَبطها بكسر التاء والصواب فتحها كما في المغرب ١ : ٢٤٨ من قول الشاعر :

وبيضاءَ تَحْسَبُها دُرَّةً تذوب اذا ذُكِرَت او تكادْ

تُنَمْنِمُ بالمِسكِ كافورَتَيْ مُحَيّا حوى الحسنَ طُرًّا وزادْ ..

ولـم يُعْـنَ المحقّق بايضاحات اشارات المؤلف التي يقتضـي التحقيق ايضاحها او يُحْسَن ؛ وهـي اشارات هامة بالقياس الى تبيـان منهج المؤلف وموقفه النقـدي .

في الصفحة ٥٩ قـال الشاعر :

انهض ابـا طالب الينـا واسقُطْ سقوط الندى علينا

وكـان حقّه ان يشير الى بيت عمر بن ابي ربيعة :

واسقط علينا كسقوط الندى ليلـة لا نـاهٍ ولا آمِـرُ

وفي صفحة ٥٩ نفسهـا :

يـا ايها المَلِـكُ الذي آباؤه شُمُّ الانوف من الطراز الأوّلِ

وكـان حقه ان يضع الشطر الثاني بـين قوسين ...

وفي الصفحة (٧١) ورد بيت ابـن زيدون :

تِـه، أَحْتَمِلْ ، واستَطِلْ، أَصْبِرْ ، وعِـزَّ اَهُـنْ
و وَلِّ، اُقبِلْ ، وقُـلْ أَسْمَعْ ، و مُـرْ اُطِـعِ

وقـال المؤلف ابن سعيد انـه احسن من بيت المتنبي . ولـم ينبّه اليه المحقـق . وقُلْ مثل هذا في اشارة المؤلـف الى متابعة ابـن شُهَيد لأبيات امرىء القيس ، ولم يشر المحقق اليهـا .

وفي الصفحة ٧٤ قـال الشاعر :

فانّ قرين السوء يُعدي، وشاهدي (كما شُرِقَتْ صدرُ القناة من الدمِ)

وكـان يَحْسُن ان يشير الى انـه شاهد نحْوي في قصيد للاعشى .

— ٧ —

امـــا الشروح التي اضافها المحقق فكانت احيانا سريعة لا تُغْني ، وكان احيانا يَسْكت عـــن شرح ما يجب شرحه ؛ وهو كثير ، أذكُرُ منـــه مثلا تعليقه على قـــول الشاعر :

خلان قد كَفَر الكافور ذاك وقـــد عَقَّ العقيقَ احمرارا ذا وما ظلما !

وقـــال : « معنى كفر : ستر » . والصواب : انـــه اخذ من الكافور فعلا ، ومـــن العقيق فعلا ، ولهذا قال : وما ظلمـــا .

وفي الصفحة ٨٣ مـــرَّ ذكر الدولاب ولم يشرحه ، وهو الناعورة . واورد ابيات ابن القوطية واولهـــا :

إشْرَب على السَّوسن الغض الذي نَفَما
وباكِـــرِ الآسَ والورد الـــذي بَخمـــــا

والصواب الذي نجمـــا ، وهذا ظاهر . ولم يشرح " نَفَم " وإن شرح غيرها من الالفاظ في القطعـــة !

— ٨ —

— ومـــا يسلك في الوهم ، والسرعة في العمل قولـــه (صفحة ٧١) في التعريف بالكاتب ابـــي يحيى ابي بكر بن هشام القرطبي فـــي الحاشية (٥) : كانت لـــه كنيتان !! — واضاف ايضـــا — : على عادة اهـــل الاندلس ! فهذا خطأ مركّب ؟ فلم يكن من عـــادة اهـــل الاندلس أن يتّخذوا كُنْيَتين الا في القليل ، وعلى الاحكام التي تعرف فـــي المشرق (للحرب والسلم .. الـــخ) . ومن جهة اخرى فالمترجم اسمه ابو بكر وكنيته ابـــو يحيى ، ولكن الامر التبس على المحقـــق !

— ومـــن ذلك قوله ان ابـــا بكر بن ميمون صاحب شرح (المجمل) ؛ وكرر هذا في الاصـــل والحاشية ص ٧٧ ، وصوابه (الجمـــل) ، وهو كتابُ نحـــو مدرسيّ مشهور في الاندلس بخاصة ، وهـــو للزجاجي .

— ومن ذلك قوله في الصفحة ٧١ ان المعتضد العبّادي غزا قرطبة واخذها . والصواب انها وقعت في يد المعتمد ابنه سنة ٤٦١ هـ .

— ومن ذلك قوله صفحة ٧٣ في ترجمة ابن عبدوس : « وهو الذي وَجّه الى ابن زيدون رسالته الهزلية » . وهذا خطأ صوابه : « وهو الذي وَجّهَ اليه ... »

— ومن ذلك قوله (صفحة ٤٠ هامش ٢) عن علي بن يوسف ابن تاشفين انه ملك المرابطين . والحق ان المرابطين لم يتلقبوا بغير « امير المسلمين » ...

وغير هذا مما يقع تحت عنوان الاوهام ...

— ٩ —

ومن الامور الهامة في عملية التحقيق مراجعة الاصول التي نَقَل عنها المؤلف . فاذا كان لدى المحقق نسخة وحيدة، تَعيَّنَ عليه ان يعود اليها .. فما بالك بنسخة وقع فيها شيء من السهو ، والوهم ؟

ويُعْجَب القارىء حين يتنبّه الى ان المحقق اغفل العودة الى عدد من الاصول التي اعتمد عليها ابن سعيد ، والاصول التي ذَكَرها ، او لم يذكرها ، واكتفى بذكر بعض تلك المصادر التي لم يرجع اليها المحقق ، على ضرورة العودة اليها في مثل هذا الكتاب : من ذلك : كتاب (البديع في وصف الربيع) لابي الوليد الحميري ، وكتاب (زاد المسافر) لابي بحر صفوان بن ادريس، وكتاب (العقد) لابن عبد ربه ، ودواوين ابن سهل ، وابن زيدون ، وابن الزقاق ، والرصافي البلنسي ، وابن عمّار ، وكتاب (المطرب) لابن سعيد ، و (المعجب) للمراكشي و (يتيمة الثعالبي) وغيرها كثير .

وهذا الاغفال أثّر على قضية توثيق النصوص في الكتاب . وقُلْ مثل ذلك في التعريف بالادباء والشعراء ، فهو لم يَسْتَقْصِ ما

بين يديـــه من مصادر ، بل لم يرجع الى بعض كتب المؤلـــف نفســـه ... وكاد أن يلتصق بكتابه (المُغْـــرب) وان لم يلتزم بضبطه وحواشيه .

ومـــن هنا كانت تعريفات كثير من الاعلام سريعة ، مبتسرة ، او كانت نقلا من عبارات المؤلـــف نفســـه او من سبقه الى التأليف في (المغرب) مما لا يريد قنصية التوثيق توكيدا وتوضيحـــا .

— ١٠ —

ولا تشعر ان المحقـــق (عايشٌ) المؤلف في مقصده ومنهجه، ولا خالطه بالعودة الى مؤلفاتـــه ؛ ولا هو رَصَدَ مواقفه الادبية والنقدية . ومـــن أوضح الامثلة على ذلك أن المؤلـــف اعتذر الى موسى بن يغمور (المُهْدَى اليه الكتاب) عن صغر حجمه ، فقال لـــه :

« ... والمملـــوك ـــ يعني نفســـه ـــ ينهي للمولى ان هذا المجموع إنْ نَقَصَ في عينِ مَن عَمِيَت بصيرته لصغر جرمه ، فجوابه قول اشعَـــرِ مَن مَلَـــك طريقَ التخيّل ، وتوصّل بلطامة الذهن الى الاستنباط والتخيّل :

والنجـــمُ تَسْتَصْغِرُ الابصـــارُ رؤيتـــه
والذَنْبُ للعـــين لا للنجم في الصِغَـــرِ

ولـــم يُعَلّق المحقق بشيء ، ولـــم ينسب الشعر » .

وعبارة المؤلـــف ابن سعيد تنبيء عن منهجه ، وميله الى مدرسة ابـــي العلاء المعري وطريقته في التخيّل والغوص على المعاني . والبيت المذكور من سقط الزنـــد (١ : ١٦٢) . واذا نظرنا في كتاب ابـــن سعيد الآخر : (عنوان المرقصات والمطربات) (صفحة ٤٦) وجدناه يقول : ابـــو العلاء المعري هو جليل القدر في الغوص ، وكثرة التخيّل .

ولـــو تابعتُ ما في القسمين الآخرين مما وقع لـــي ، ورأيتُ فيه مـــادة ملاحظة ، لطال الحديث وتشعـــب .

ونحـــن ، وإن وجدنا للدكتور القاضي ، محقق « رايات المبرّزين » ، عذرا في بعض ما اشرت اليـــه في هذه المقالة ، لا نستطيع ان نلتمس العذر للباقي ، وهو كثير ، ولكن يكفيه ان عمل ، ومن لا يعمـــل لا يخطىء !

• • •

امـــا (رايات المبرّزين وغايات المميّزين) لابن سـعيد فهو حقًّـــا في حاجة الى تحقيق علمي متـــانٍ .

د. محمـــد رضوان الداية

مجموعون راحلون

الزميل المستشرق الجزري عبد الكريم جرمانوس
في ذمة الله

عيسى الناعوري

لم أعلم بوفاة الصديق جرمانوس الا بعد اكثر من عشرين يوما من رحيله ، وقد قرأتُ النبأ في جريدة (البعث) الدمشقيّة الصادرة في ١٩٧٩/١١/٣٠م ، وحزنتُ للنبأ ، لانني فقدتُ بالحاج عبد الكريم جرمانوس صديقا عظيما حقّا ، وانسانا طيّب القلب ، عالِمًا ، مُحبًّا لاصدقائه ومخلصا لهم .

أول معرفتي للمستشرق الكبير كانت عن طريق كتاباته في بعض المجلات العلمية والادبية العربية ؛ ثم كُتِبَ هو الـيّ أولًا ، فكان من بعد ذلك اتصال مستمرّ بالمراسلة . وسَعَى لاجل زيارتي للمجر ؛ ونجح مسعاه، فزرتُ المجر في كانون الاول عام ١٩٦٤م ، وهناك سعدت بلقائه ، وأَنِسْتُ بمجالسته وتبادُل الحديث والفكر معه في منزله ؛ وتَفَضَّل فرافقني الى اتحاد الكتاب المجريين ، واتحاد الصحفيين ، ونادي القلم ؛ وهناك قَدَّمني الى الحضور تقديما لطيفا كريما ، وقام بدور الوسيط المترجم بيني وبينهم . وقدَّمني كذلك الى الجمهور في أحد الاندية الثقافية في بودابشت ، حيث القيتُ محاضرة باللغة الانكليزية حول (الحركة الادبية في المملكة الاردنية الهاشمية) . واكرمني كذلك بدعوتي الى العشاء في منزله هو وقرينته الحاجة عائشة .

ولـم ينقطع تبادُلُ الرسائل بيننـا بعد ذلك . وآخرُ رسالة تلقيتها منه تحمل تاريـخ ٢٨/تموز/١٩٧٩م. وهذه صورة عنهـا .

الى الاخ المحبوب العلامة الكبير عيسى الناعوري حفظه الله

عزيزي بعد تحياتي القلبية اجمله اتني تسلمت مع الشكر العظيم
الكتيب المعنون "بمصطلحات التجارة والاقتصاد والمصارف"
من اثر علماء المجمع العلمي في الاردن. واشكركم من صميم فؤادي
لهذه الهدية النفيسة - ان الثقافة العربية احيتنا الانسانية في
القرون الوسطى، وهكذا تخدم روح الجنس البشري اليوم باعمالها
العلمية الادبية. ونحن في الغرب مضطرون لعرفان الجميل والشكران
للاجتهاد الثقافي الذي تبذله مجامع اللغة العربية لنا اثناء هذه الايام
الخطيرة - ارجوك ان تقدم شكراي الخالصة الى رئيس المجمع وكل الاعضاء
الكرام مع تمنيات الاحترام والمودة بخلوص الحاج عبد الكريم جرمانوس

١٩٧٩
تموز ٢٨

١٩٧٩/٨/٢

وقـد رَدَدْتُ عليها بتاريخ ٢/آب/١٩٧٩م ؛ فكانتا بالرسالتين تبادُلْنا تحيـةُ الوداع الاخير .

كـان المرحوم جرمانوس عضوًا لمجامـع دمشق وبغداد والقاهرة ، الى جانب عضوية المجمـع العلمي المجريّ، وعدد من المجامع العلميـة العالمية الاخرى . وحين علـم باننا في الاردن ايضا قد انشانا مجمعـا للّغـة العربية ، سُرَّ لذلك كثيرا ؛ وحينَ مَنَحَهُ المجمـع عضوية شرفه فيه ، اعتَبَر ذلك مَجْدًا كبيرا لـه يختتم بـه عمره المديد ؛ واهتمّـت بذلك صحف المجـر ومجلّاتها ومحافِلُها العلمية والادبيـة .

والعجيب في جرمانوس انـه كان ، رغم تمادي العمر ، كثيرَ الحيوية والنشاط : يقـرا ، ويكتب، ويؤلف ، ويترجم ، ويسافـر ، ويراسل اصدقاءه العديدين بنشاط يعجز عنـه الشبان . واذكر انني

حين لقيته في بودابشت سنة ١٩٦٤ كان قد بلـغ الحادية والثمانين من عمره ، وكان بُدِينُ الجسم ؛ ومع ذلك فقـد كنتُ ، حين أرافقه في طريق ، أُضطَرُّ الى الجَرْي لكـي استطيع مسايرةَ مشيته الشبابيّة السريعة . وكان قد أُحيلَ على التقاعُد قبـل سنة واحدة فقط من معهـد الدراسات الشرقية في جامعة بودابشت . فقال لـي ساخرًا وهو يعلّق على ذلك : حتى السنة الماضية كنـت « شابا صالحا للعمـل » ... والآن صرت في نظر الناس (هَرِمـًا) لا اصلح لشيء ...

وبعـد عشر سنوات من ذلك اللقاء ، في عـام ١٩٧٤ ، كـان جرمانوس قد بلـغ التسعين من عمره ؛ فَكَرَّمَـه أصدقاؤه وتلاميذُه من علماءِ بلـده وادبائها بمجموعةٍ من البحوث والدراسات ، كتبوها حـول العالَـم الاسلامي ، وجمعوها في كتاب عنوانه (الشرق الاسلامي : بحوث لتكريم جوليوس جرمانوس) . و (جوليوس) هو اسمه المَجَـريّ الاصلي ، وقد استبدل بـه بعد اسلامه اسم الحاج عبـد الكريـم جرمانوس . وكذلك زوجتـه السيدة عائشة ، استبدلت باسمها المجري النصراني اسمها الاسلامي (الحاجة عائشـة) ، وحَجَّت مع زوجهـا الى الديـار المقدسة، وكرَّسَت حياتَها معه لخدمـة الاسلام والعروبة والثقافة العربية الاسلاميـة .

ولـد جوليوس جرمانوس في بودابشت سنة ١٨٨٤م ، ودرس في جامعات بودابشت واسطنبول ، وفيينّـا ، وليبتزيغ . وفي سنة ١٩٠٧ نـال درجة الدكتوراة بدرجة شرف من جامعـة بودابشت في اللغـة التركية وآدابها، وفي اللغـة العربية وآدابها ، وفي التاريخ القديم . وكان من اساتذته في اللغـات الشرقيّة المستشرق المَجَـريّ الشهير إينياس غولـد تزيهـر .

وفي سنة ١٩١٢ عُـيِّن مُدَرِّسا في اكاديمية التجـارة الشرقية ، ثـم اصبح مدرّسا في كلية الاقتصاد منـذ سنة ١٩٢١م . فلما كان عـام ١٩٢٩ دعاه شاعر الهنـد الاعظم رابندرانات طاغور، فقام بانشاء قسـم

الدراسات الاسلامية في جامعة البنغال ، وظلّ يدرّس فيه الى سنة ١٩٣٢ . وفي تلك الفترة شعر بميل الى الاسلام ، فاعتنقه عقيدة له بدلا من عقيدته المسيحية . ثم سافر الى مصر سنة ١٩٣٤ والتحق بالازهر لاجل التعمّق في دراسة اللغة العربية والدين الاسلامي والتاريخ الاسلامي . ومن هناك ذهب الى الديار المقدسة ، حيث ادّى فريضة الحج ، وشاء أن يتعرف بالاسلام في منابعه الاولى . ومن نتيجة ذلك الحج اصدر كتابه (اللّه اكبر) الذي طُبع سنة ١٩٣٦ بالمجرّبة ، ثم لم يلبث ان تُرجم الى الالمانية والايطالية ، واعيد طبعه بعد ذلك مرارا .

وفي سنة ١٩٤١ اختير جرمانوس لرئاسة المعهد الشرقي في كلية الاقتصاد في جامعة بودابشت . ثم دعته بعد ثلاث سنوات كلية الفنون لادارة قسم اللغة العربية فيها . وحتى ذلك الحين كان قد كَتَبَ العديد من البحوث والدراسات في التاريخ العربي والاسلامي وفي الثقافة العربية . وفي سنة ١٩٤٨ عُيّن استاذا للعربية والدراسات الاسلامية في جامعة اوتفوش لورانت ، في بودابشت ، وظلّ في منصبه هذا الى ان احيل على التقاعد سنة ١٩٦٤م.

وتقديرًا لفضل جرمانوس وعلمه ، منحه الكثير من المجامع اللغوية والاكاديميات العلمية عضوية المراسلة او عضوية الشرف ، كما دعاه العديد من الجامعات الى التدريس او المحاضرة : ففي سنة ١٩٥٧ عُيّن عضوا مراسلا في مجمع اللغة العربية في القاهرة ، وفي سنة ١٩٦٢ عُيّن عضوا مراسلا في المجمع العلمي العراقي ، وسنة ١٩٦٦م في مجمع اللغة العربية في دمشق ، وسنة ١٩٧٨م عُيّن عضوَ شرف في مجمع اللغة العربية الاردني ، وعُيّن عضو شرف في اتحاد الكتّاب العرب في القاهرة ، وبغداد ، ودمشق . وكان قد عُيّن عضوا في اكاديمية البحر المتوسط في ايطاليا سنة ١٩٥٤ ، وفي اكاديمية ليوناردو دافنشي ، في روما ، سنة ١٩٦٩ . وكان استاذا زائرا في العديد

من الجامعات ، ومنها جامعات : الاسكندرية ، والقاهرة ، ودمشق ، واكره ، وعُلِيُكَرْه ، ولكنو ، وحيدر اباد ، ودلهي ، والرباط ، وفاس .

واختير عضوا في البرلمان المجري من عام ١٩٥٨ الى عام ١٩٦٦ ، فكان العضو المسلم الوحيد فيه .

واما اعماله العلميّة فأكثر من ان تحصى ؛ وهي ما بين مؤلفات وبحوث ودراسات ؛ وقد كُتِبَ هذه الكتب والبحوث والدراسات باللغات : المجرية ، والتركية ، والعربية ، والانكليزية ، والالمانية ، والايطالية ، والهندوستانية ، تعريفا بالثقافة العربية الاسلامية والثقافات الشرقية .

وعلى الرغم من تقدُّمه في السن ، فقد ظلَّ الى آخر حياته يكتب ويطالع ويكاتب اصدقاءه في مختلف البلدان .

واذا كان من غير اليسير سرد ثَبْت بجميع مؤلفاته وبحوثه بمختلف اللغات ، فسأقتصر ههنا على ذكر ما كتبه باللغة العربية وحدها ، وهو :

١ ــ بعض الكلمات عن الادب العربي الحديث في المغرب الاقصى ــ مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ــ ١٩٦٩م.

٢ ــ حماية فلسفة التشريع الاسلامي ــ الاصالة / الجزائر ١٩٧٤م.

٣ ــ الاسلام كدين عالمي ــ ١٩٧١م.

٤ ــ دور الاسلام في تاريخ الانسانية ــ ١٩٧٢م.

٥ ــ نهضة الادب العربي ــ ١٩٧٥م.

٦ ــ النظرة الاسلامية الى الحياة ــ مجلة رابطة العالم الاسلامي ــ مكة المكرمة .

٧ ــ الاسس اللغوية لوحدة الناطقين بالضاد ــ مجلة قافلة الزيت / الظهران ١٩٧٥م.

٨ — ذكريات عن الحـــج — ١٩٦٩م.

٩ — دور الاسلام في تاريخ الانسانية / مجلـــة الاديب / بيروت ١٩٧٤م.

١٠— عباس محمود العقاد — الاصالة / الجزائـــر ١٩٧٧م.

وعـــدد من الاعمال العلمية الاخرى ، ظهرت في مجلـــة المقتطف وغيرهـــا في مصر .

ولقـــد عكف جرمانوس في الاعوام الاخيرة على كتابـــة سيرتـــه وجولاته في البـــلاد العربية والاسلامية . وذكر لـــي في بعض رسائله الاخيرة ان هذا الكتاب سيتجاوز ٦٠٠ صفحة . وكان قبل ذلك قد اصـــدر كتابا باللغة المجرية عنوانـــه : "Az Arab Irodalom Tortenete تَحَدَّث فيه عمـــا رآه في البلاد العربية، وعَمَّن عرفهم من اعـــلام الادب والفكر ، وعن الحياة الثقافية في هذه البـــلاد . فجاء هذا الكتاب تاريخا حافلا للفترة التي عاشـها جرمانوس مناضلا بقلمه ولسانه في سبيـــل الثقافة العربية والاسلامية ، وفي سبيل الاســـلام الذي كان قد اعتنقه منـــذ شبابه الباكر عن يقين وايمان . وكـــان من دواعي اعتزازي ان يتحدّث عني المؤلـــف في كتابه ، وينشر بين صور الاعلام ورسائلهـــم صورة لـــي وجزءا من احدى رسائلي اليـــه .

والآن وقد مضى الشيخ والمعلـــم الجليل الحاج عبد الكريـــم جرمانوس ، فان مجمع اللغـــة العربية الاردني ليبعث الى روحـــه الطاهرة باطيب التحيـــة ، معربا عن الاسف العميق لفقـــده .

رحمـــة اللـــه عليـــه .

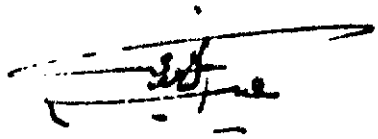

فقيد العربية

الأستاذ عباس حسن

(١٩٠٦ - ١٩٧٩)

للدكتور عدنان الخطيب
(عضو مجمع اللغة العربية في دمشق
الأمين العام المساعد لاتحاد المجامع)

نَعَى مجمعُ اللغة العربية بالقاهرة ، في النصف الثاني من شهر نيسان الماضي (ابريل سنة ١٩٧٩) ، الى علماء العربية ورجالها ، **الاستاذ عباس حسن مصطفى ، عضو المجمع والاستاذ السابق بدار العلوم** ؛ اختَطَفَه الموت وهو في أوج نشاطه الجسمي وقمة عطائه الفكري ، لم ينقطع يوما عن حضور جلسات المؤتمر السنوي لمجمع اللغة العربية ، والاخيرة منها كانت قبل وفاته باسابيع قليلة ، كما انه لم يتغيَّب عن شهود اجتماعات اللجان المجمعية المتخصصة ، وآخرها — كما نُمِي اليّ — كان قبل بضعة ايام من لقائه وجه ربه الكريم .

كـــان الفقيد ، رحمه اللـــه ، **من اركان الدفاع عن لغـــة القرآن ، الذائدين عن الفصحى وسلامتها** ؛ كما كـــان في طليعة المنافحين عـــن قواعد النحو الاصيلة ، ومِنْ اصلبهم عودا في ردّ هجمات المتخفّين منهـــا ، وشطحات المستهترين بها ؛ لا يبالي بحُجَجهم ولا يقيم وزنـــا لذرائعهم ، ولـــو ادى الامر بـــه الى شيء من اللَّدَد .

كـــان ، رحمه الله ، من اثبت علماء العربية جنانا في الدفاع عن قدسيّة المتـــون ـــ وقد آمن بها ـــ ونَذَر نفسه لخدمتها،وتجديد عرضهـــا على من يطلبها ؛ شديد الكُرْه للنظريات المستحدثة بأسم **((علم اللسانيات))** ، يدحض آراء اصحابها ومحاولاتهم تلبيسَها باللغـــة العربية ، ولا يُحجم احيانا عن وصـــف ادعاءات بعضهم الغيرةَ على العربية ، **بانها سُتـــور للتغريـــب والتهديـــم** .

دخـــل الفقيد الساحة ، والمعركة محتدمة بين انصار العربيـــة وخصومها ، وكان مع اهـــل اليمين،وسلاحه ، ككثير من المقاتلة ، ايمانٌ بالعربية لا حدّ لـــه ، وعلمٌ بأصولها وقواعدها قـــلَّ نظيرُه ، وخبرةُ ايـــام خلت ، امضاها في نقـــل هذا العلم الى طالبيه مـــا استطاع ، وغرْسِ ذلك الايمان في نفوس طلابه ما تقبّلـــوه .

واختـــير فقيدنا باخرة ، **ليكون مـــع النخبة من علماء العربيـــة** ، يعملون ليل نهار في خدمة اللغـــة ودفعها لتسايرَ ركـــب الحضارة العالمية المتسارعة في خطواتها ، والمتسابقة مع الزمـــن في انتفاضاتها .

وكـــان الفقيد في مجمع اللغـــة العربية مع طائفة قال اللـــه عـــز وجل فيها : (من المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا اللّـــه عليه فمنهم مَنْ قضى نحبه ومنْهُم من ينتظرُ ومـــا بدّلوا تبْديلا) .

زميـل جديـد :

في يـوم من ايام سنة ١٩٦١ ، دخلتُ لأول مرة قاعـة المؤتمرات في مجمع اللغـة العربية بالقاهرة ؛ وقادتني خطواتي الوئيدة الـى الصف المواجه لمقعـد الرئيس ، واخترتُ مقعدا منحرفا ، يستطيـع من يجلس عليه ان لا يَدع حركة في داخل القاعـة او خارجها تفوته . وتتالت جلسات المؤتمـر ، وقد الِفْتُ المقعد عينه ، أُسْرِعُ اليه كلّمـا كان فارغا ، او الى اقرب مقعد يُجـاوِرُه .

وفي نهايـة السبعينات دخلت قاعة المؤتمـر وجلست على المقعد إيّـاه ، واخذتُ اتطلع نحو الزملاء وهـم يدخلون القاعة ، **انتظر صديقا منهم يجاورني فانعم بجواره** ؛ غير انـي فوجئت بعضو جديد ، لم يسبق لعيني ان وقعت عليه ، يسير بخطى ثابتة نحو المقعـد المجاور ويحتلّه ، دون ان ترفّ عينه نحو مقعد آخـر . كان ربعة بين الرجال، يميل الـى القِصَر ، وما بقي من شعر رأسه قـد اشتعل شيبا ، وفي وجهه شيء من جهومة ، وتقاطيعُه تنمّ عن جِـدّ تُخالطه وَحشة . وكتمتُ ما شعرتُ بـه ، واخذتُ اتظاهر بالبحث عن شيء بين اوراقي ؛ ولم البـث ان ادرتُ وجهي يمنة ، فـاذا بأسارير الزميل الجديد تكاد تنفرج عـن ابتسامة ، وبراسه ينحني قليلا وهو يتمتم بكلمات لم افهمهـا ، فَقَدَّرْتُ انـه يحيّيني ويذكر اسمه ، **ووجدت نفسي أردّ تحيّته بمثلهـا** ؛ ثـم رُفعت الجلسة دون ان نتبادل شيئا مـا .

وفي جلسـة اليـوم التالي **كان جـارُ الامس جاري** ، ودارت مناقشات حامية حول بحثٍ أُلقـيَ وفيه دعوة الى شيء من التحرّر في قواعد اللغـة ، تسهيلا لتعميم الفصحى بين الناس . وأُعطِيتُ الكلمةُ للزميل الذي يجاورني ، فوقف يرتجل كلمـة واضحة ، هادئة، متسلسلة الافكار ، ينكر فيهـا دعواتٍ تُرَدَّدُ بين حين وآخر باسم تسهيل تعليـم الفصحى ، مستنكرا التوجّه بأمثالها الى مؤتمرٍ مـا انعقَدَ الا لخدمة لغـة القـرآن والحفاظ عليها سليمة صحيحة ، داعيا الى رفض كـل

دعوةٍ ظاهرُها خدمة اللغـــة ، وما هي في الحقيقة الا من مُعاول هدمهـــا . ورأيتُ نفسي اشارك المؤتمرين ، الذيـــن اعلنوا تاييدهم لتعليق الزميل ، بالتصفيق . ومـــا لبث الزميل ان جلس والتفت نحوي وهـــو يبتسم ابتسامة اشْرَقَ بها وجهه ، فبدا لي انـــه اصبح مطمئنا الـــى جواري .

كـــان ذلك الزميل عالِمَ النحو الكبير عباس حسن ، الذي افتقدناه بالامس القريب ، وجاءني نعيُه مصادفة (١) ، رحمه اللـــه واجزل ثوابه .

لقـــد تنالت المؤتمرات ، وتعدّدت فيها الجلســات ، وحافَظْ كـــلٌّ منـــا على مقعده.حتى في اللقاءات خارج المجمـــع ، كان الفقيد كثيرا ما يانس بجواري ويسعى اليـــه . واصبحنا صديقين نتبادل الاحاديث المتعلقة بشؤون المؤتمـــر وبرامج جلساته ورحلاته ، وفي شؤون كثيرة اخرى .

. . .

نبذة عن حياة الفقيد وآثـــاره

فتى ازهري « يَتَدَرْعَـــم » :

وُلِـــد عباس حسن سنة ١٩٠٦ ، وكانت مصر في ضرام حركتها الفكرية ، والوعيُ اللغوي لدى جمهرة المثقفين فيها قـــد تيقّظ ، واخذ كثيرون ينادون بالعمل لتصبح « الفصحى » ، لغـــةُ العلم والثقافة ، لغـــة سهلة متطورة تفهمها وتتقنها العامة فضلا عن الخاصـــة .

---

(١) ، نعاه لي الزميل الاستاذ محمد عبد الغني حسن ، وكان يجلس الى جانبي ، خلال مهرجان مؤرخ الشام ، الحافظ ابن عساكر .

(الفقيد في مؤتمر ١٩٧٨ بين الدكتورين محمد احمد سليمان وعدنان الخطيب)

والتحـــق الفتى عباس ، كالمئات من اِدائه ، بالجامع الازهـــر ، يُحفظ القرآن ويتلقى مبادىء العلـــوم العربية ، على الطريقة الازهريـــة المتوارَثة . وشُعَر عبّاس بحـــبّ للعربية وعلومها يُعْلَق قلبه ، **فاخذ يفكّر في الانتقال الى « دار العلوم »** ، وقـــد شاع بين اقرانه ما يدور في مختلف الندوات العلمية ، وحتى على صفحات الجرائد ، من أن تنظيمـــا للدراسة في دار العلوم قد **أُقيـــمَ على أُسس جديدة جامعية** ، تضاهي الاسس التي يقوم عليها تدريس العلوم المصريـــة .

مـــا لبـــث عباس ـــ على حـــد قول **العالم الاديب الدكتور احمـــد عَمّار** ـــ ان « تملّكته نزعة الهجرة من القديم الى الجديد ، فَتَحَوَّل مـــن الازهر الى دار العلوم ؛ واذا بـــه يحرز قصب السبق في اللغة العربية »

ويستأثر بالجائزة المرصودة لهـا ، على مدى اعوام دراسته في دار العلوم ، مـا اخلفته ولا فاتته عاما » (١) .

واتـمّ عباس تحصيله في دار العلوم ، وعمل معلما في المدارس الحكومية ، متنقلا بـين ثانوياتها ، واسمه يزداد لمعانـا بين معلمي العربية ، **ممـا ساعد على ترشيحه ليكون مدرّسـا في « دار العلـوم »** نفسها ؛ حتىّ اذا ما تحوّلت الدار الـى كلّية من كليات جامعة القاهـرة ، كان عباس حسن احـد اساتذة العربية فيها ، ومن ثـم رئيسا لقسم النحو والصرف والعروض ، الى ان بلـغ سنّ الاحالة على المعاش .

النحـو الوافـي :

اشتهـر الفقيد بدراساته النحوية المتعمقة (٢) ، وقد تَوَّجها اخيرا بكتابه الضخم « النحو الوافي » (٣) وهو في اربعة اجـزاء ، تستوعب جميع الابواب النحوية والصرفية ، مـع رَبْطها بالاساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة ، وقد اعدّه ـ **على حـد قوله** ـ إعدادا محكما يناسب طلبة الدراسات « النحويـة والصرفية » ، ومناهج هـذه الدراسات بالجامعات ، ثم ذَيّلَـه بتعقيبات وافية وشروح ضافية ، تكون مرجعـا وافيـا للأساتذة والعلماء والمتخصصين ، غير مُغْفِل الضوابط والاحكام التي قرّرَتها المجامـع اللغوية ومؤتمراتها الرسمية .

قـدم الفقيد لكتابه « النحو الوافى » بمقدمة هامة بين فيها قيمة علـم النحو في ذاته ، واثره في بقية علوم العربية ؛ فهو دعامتها وقانونها الاعلى ، ترجع اليـه في جليل مسائلها وفروع تشريعها ؛ كما ضَمّن هذه

---

(١) انظر الخطاب المجمعي في استقبال عباس حسن . ص ١٦٨ من الجزء الثاني والعشرين من مجلة مجمـع اللغة العربية . القاهرة ١٩٦٧ .

(٢) من هذه الدراسات كتـاب « رأي في بعض الاصـول اللغوية والنحوية » وكتاب « اللغة والنحو بين القديم والحديث » .

(٣) صدر الكتاب عن دار المعارف بمصر ، وصدرت طبعته الرابعة سنة ١٩٧١ .

المقدمة « **دستورا** » ملزما نفسه باعتماده في التاليف ، موضحا خطته في تجميع مواد الكتاب ، عارضا تاريخ النحو منذ نشاته ، **وللشوائب التي داخلته ثم « نَمَتْ على مرّ الليالي ، وتغلغلت برعاية الصروف ، وغفلة الحراس ، فشَوَّهت جماله ، واضعفت شانه ، وانتهت به الى ما نرى** »(١).

وشرح الفقيد الغرض الذي رمى اليه من تاليف الكتاب ، وقد استعان « **بخبرة طويلة ناجمة ، وتجربة صادقة في تَعَلُّم النحو** ، طالبا مستوعبا ، ثم تعليمه في مختلف المعاهد الحكومية مدرّسا ، فاستاذا ورئيسا لقسم النحو والصرف والعروض بكلية « دار العلوم » بجامعة القاهرة ، سنوات طوالا » (٢) .

ثم أوضح « **الدستور** » الذي اقام عليه الكتاب ، وخلاصته في المواد التالية :

اولا ــ تجميع مادة النحو كلّه ، وما يتّصل به من الصرف في كتاب واحد ذي اربعة اجزاء ، في كل منها قسمان : قسم موجز يناسب طلاب الجامعات غاية المناسبة ، مذيّل بقسم مفصّل يلائم الاساتذة والمتخصصين اكمل الملاءمة واتمّها .

ثانيا ــ العناية بلغة الكتاب وضوحا واشراقا وإحكاما واسترسالا .

ثالثا ــ اختيار الامثلة ناصعة ، بارعة في اداء مهمّتها .

رابعا ــ الفرار من العلل الزائفة ، وتعدُّد الآراء الضارّة في المسالة الواحدة .

خامسا ــ تدوين اسماء المَراجع في المسائل التي تتطلّب الرجوع اليها ، استجلاء للحقيقة او ازالة للوهم .

---

(١) انظر ص ٤ من النحو الوافي .

(٢) انظر ص ٥ من مقدمة الكتاب .

سادسا ــ عــدم التزام طريقة تربويــة معينة ؛ فقد تكون الطريقــة « استنباطيّة » أو « القائية » ، وقد تكون « حوارا » حسب مــا يقتضيه صادق الخبرة وملاءمة الموضــوع .

سابعا ــ تسجيل ابواب النحــو مرتبة ترتيب « ابــن مالك في ألفيّتــه » لشيوعه ومزاياه التي تلائــم العصر .

ثامنا ــ توثيــق المسائل المترابطة بذكر مواضع ورودهــا .

وختــم الفقيد مقدمته بقوله : « واللــهُ ارجو مخلصا ان يجعل الكتاب نافعا لغــة القرآن ، عونا لطلاّبها ، محققا الغاية النبيلة التــي دعت لتاليفه ، والقصد الكريم من إعــداده » (١) .

عباس حسن ناقــدًا :

لــم يكن عباس حسن شاعرا ، ولكنه كان عروضيًّا ناقدا ؛ كــان شديد التذوّق للشعر، قديمِهِ ومُعاصِرِه ؛ وكــان في تذوّقه هذا ، **دقيــق الملاحظة عميقها ، مرهف الشعور ، ذا حساسية فنّيّــة تكشف مواطــن الجمال والخيال الرائــع** ؛ ساعَدَه على ذلك ذوقٌ بلاغيّ نَمّاه واصّلَه فيه الاطلاع الواسع على الادب العربــي ، والمعرفة الكاملة بعلوم العربية واساليبهــا البلاغيــة .

اقــام عباس حسن للنقــد الادبي **منهجا علميا** ، كما اقامه في ابحاثه اللغوية والنحوية . لقد كان ، مثلا ، من اشدّ المعجَبين باحمــد شوقي ، من الشــعراء المعاصرين ، وعندما اقــام موازنة بينه وبين المتنبــي ، كبير شعراء العربية الاسلاميين في كتابه عنهمــا ، كان حُكمُه في التمّة مــن الانصاف . لــذا رايناه ــ كما يقول الاديب الكبير الدكتور احمد عمّار ــ على فرط اعجابه بشوقي : « قد نأى بحبّه ايــاه عن ان يكون باعثَ محاباة ، كما لــم يُضِنّ على المتنبي بالمستطاب من الثناء حيثما جلّــى واجــاد ... » (٢) .

---

(١) انظر ص ١١ من المقدمــة .

(٢) انظر الخطاب المشار اليــه سابقا .

قـــارن عباس حسن بين الخيال عند المتنبـــي والخيال عند شوقي ، وبين المعاني لدى كل منهمـــا ، مستشـهدا بشـعر منتقـــى من ديوانيهما ، ثـــم ختم مقارنته بقوله :

« ومـــن طرائفه ـــ شوقي ـــ الساحرة اندلسيّته النونيّة التـــي يُمارض بها نونيّة ابـــن زيدون ، والتي أطلقَ فيها خياله ، يبتدع ويبتكر ما شـاءت لـــه القدرة والحرية والبراعة التي اغْرَتْه بالجموح حينا ؛ وبهـــذه المناسبة نقول : ان خيال شوقي بـــادٍ في مختلف قصائده،شأن الذيـــن اتيحت لهـــم ثقافته وسياحاته ومُتَعُه ووسائلُ حياته ؛ وقـــد يتجاوز خيالُه حـــد الفَراهة المحمود الى حـــدّ الجموح . وقد يموج الخيـــال في قصائده ويجول ويمرح ، وقـــد يجمح ؛ وشوقي في خياله الهادىء او الجامح خـــيرٌ من المتنبي واقدر ، فكيف بـــه في الخيال الفارِهِ النشيط » (١).

الفقيد في مجمع اللغـــة العربية :

في سنة ١٩٦٥ شَغَر في مجمع اللغـــة العربية بالقاهرة مقعـــد كان يحتلُّه المرحوم علـــي بدوي ، **احد كبار اساتذة القانون اللامعـــين** ؛ وفي جلسـة المجمـــع المنعقدة بتاريخ ٢٨ تشرين الثاني (نوفمبر) سنـــة ١٩٦٦ ، تـــمّ انتخاب الاستاذ عباس حسن ، احـــد كبار علماء اللغـــة العربية المتخصصين بالنحـــو ، ليحتلّ المقعد الخالي في المجمـــع .

وعَقَـــد المجمـــع بتاريخ ٢٥ من ذي الحجة سنة ١٣٨٦هـ ، الموافـــق ٦ من آذار (مارس) ١٩٦٧م ، جلسة خصصها لاستقبال الاعضـــاء المنتَخَبين لاحتلال المقاعد الخالية فيه ؛ وكان اولهـــم مؤرخا ، وثانيهم قانونيا ، واما الثالث فكان نحويا ؛ لـــذا كانت من اطراف جلســـات الاستقبال المجمعية ، **لِمَـــا جمعته من اصناف الرجال المتباينة بضائعهم** ، اذ كانت بضاعة الاول هـــي : الانسان والمجتمعات ، **بينما بضاعة الثاني** : النظام والدول ، وامـــا ثالثهم فبضاعته : الحروف والكلمـــات .

---

(١) نبذة منقولة من كتـــاب « دفاع عـــن شعراء » **لتوفيق الحكيم** . بيروت ١٩٧٥ .

ووقف الدكتور احمد عمار ، يستقبل صديقه الزميل الجديد عباس حسن ؛ فلم يجد بُدًّا من ان يرفه عن زملائه ، وقد طال بينهم الحديث عن التاريخ والقانون ، بالتعريض بعلماء النحو ، **ذاكرا بعض المُلَح المرويّة عن رجالٍ كان النحو بضاعتهم** ، مجتزئا من معابثاته مع صديقه عباس بمُلْحَة « تجلوه فقيها نحويا ، قد ملك عليه النحو اوتار حسه ، وملأ عليه اقطار نفسه .

قلتُ له يوما في احدى ندواتنا الادبية التي نعقدها في امسية محددة من كل اسبوع : ما انا من رجال النحو ، وانما شأني معك شأن ذلك الاعرابي الذي قال :

ولستُ بِنَحْوِيٍّ يلوك لسانُه ولكنْ سَليقيٌّ اقولُ فاعربُ

فقال : يلوك لسانُه ام يلوك لسانَه ؟ فَلُذْتُ بالصمت ايثارا للسلامة ، وخشية التورّط فيما أُقَصِّر عن المباراة فيه » (١) .

على ان الدكتور عمّار ، وهو يتحدّث عما يُسْتَشْعر به الناس من ثقل في النحو ، وعمّا تحفل به الكتب من **افاعيل للنحاة هي بافاعيل الحواة اشبه واشكل** ، استطاع،وهو العالم الاريب،ان ينتزع من زملائه بعض ما بثّه فيهم رهبةٌ من افاعيل رجال النحو ، وهو يقول : « .. وعالِمُنا النحوي عباس حسن ، وان كان يحلو له في هزله ان يصطنع بعض تلك الافاعيل ، فانه **في جِدّه لشدّ ما يستكره ويستنكر كلّ ما يعتور النحو من حِيَل مستثقَلات ، وتقديرات تخبايا انيّات ، وإرجاف بخفايا المضمرات** ؛ بل ان حبّه للنحو حبًّا جمًّا ، وتدلّهه فيه مستهاما به صبا ، واستيقانه انه من اجلّ علوم اللغة نفعا وجدوى ، كل ذلك لم يثنه عن ان يشنّها حملاتِ صدق شعواء على كل ما يشوب النحو من متعارَف المعايب ومتناقَل المثالب » (٢) .

---

(١) انظر ص ١٦٨ من الجزء الثاني والعشرين من مجلة مجمع اللغة العربية . القاهرة ١٩٦٧ .

(٢) انظر المصدر السابق .

واستشهد الدكتور شوقي بما جاء في حملات صديقه على من يُلْصِق بالنحو ما هو منه براء ، وعلى الذين يفتعلون المُلَح للتندّر والارتزاق . واتى على ذكر نادرة اقتبسها عباس حسن من كتاب « الحيوان » ، للجاحظ ، مستنكرا ، « وهي ان معترضا قال للاخفش : انت اعلم الناس بالنحو ، فلم لا تجعل كتبك مفهومة كلّها ؟ وما بالُنا نفهم بعضها ولا نفهم اكثرها ؟ وما لك تُقَدِّم بعض العويص وتؤخِّر بعض المفهوم ؟ فاجاب قائلا : **انا رجل لم اَضَعْ كُتُبي ابتغاء وجه الله ولا زلفى اليه** ، فليست من كتب الدين ، ولو وضعتُها على النحو الذي تريدونه ، لَقَلَّتْ حاجة الناس الى السؤال عما لا يفهمونه منها ، وانا غايتي الكسب ، فوضعتُ بعضها مفهوما لتَدْعُوَهم حلاوةُ ما فهموه الى التماس فَهْمِ ما لم يفهموا .. » (١) .

وعندما قام الاستاذ حسن ليدافع عن النحو، رأسِ علوم اللغة ، وعن سمعة النحاة الذين جَمَعوا اللغة وصانوها ، ورفعوا صَرْحَها شامخا ركينا ، كما قال احد كبار الفقهاء ، اثنى على مجمع اللغة العربية الذي يستقبله اليوم، فقد « **استطاع بنافع عمله وكثير منجزاته ، ان ينتزع الاعجاب من اهل النصفة والاعتدال ، وان مارَى في الانصاف والتقدير بعض زنادقة اللغة** ، لِهَوًى مدخول او حِقد كامن ، او جهالة بقدر اللغة واهلها » . ثم خاطبُ عباس حسن زملاءه طالبا منهم التاسي بالنحاة قائلا : « فلا يبتئسْ علماؤنا بما كان ويكون **من خوارج هذه الايام** ، فتلك شنشنة عرفناها من قرنائهم في مختلف الاجيال (٢)

صراع داخل الصف :

لا يحْسَبَنّ الذين يقرأون مقرّرات مؤتمرات مجمع اللغة العربية ، ان اقرارها **كان سهلا هيّنا** ، فكم من حوار امتدّ زمنا حول قاعدة لغوية او حول مدى التقيّد بها ، وكم من مناقشة حادّة جرت حول إثبات كلمة او حول حذفها ، وكم من جلسة صاخبة عقدها مجلس المجمع

---

(١) انظر المصدر السابق .

(٢) انظر ص ١٧٥ من المصدر السابق .

حتى استطاع اتخاذ قرار في مسالة من مسائل اللغة ، ، وكم من الوقت استغرقه اقرارُ او رفضُ مقترَح عُرِض على مؤتمر المجمع ؟ !

لعل عباس حسن ، يوم دخل مجمع اللغة العربية ، كان يعتقد بان عناءه في خدمة لغة القرآن سيُخفّ عما كان قبل دخوله ؛ فقد أصبح من النخبة من علماء العربية العاملين على خدمتها ودفعها لتساير ركب الحضارة . ولكنه لم يلبث **ان وجد نفسه وحيدا** امام اعضاء مِنْ دَأبِهم التحرّش بالنحو والنحويين ، شأن القدامى من العلماء ، ومنهم من يجاهر بكُرْهِه للمُتون ، ولا يقيم وزنا لآراء علماء عاشوا من مئات السنين ، اذا كانت آراؤهم لم تَعُدْ تتلاءم والعصر الذي نعيش فيه ؛ ولعلّه ، رَحِمَه الله ، كان شديد الدهشة من زملاء عرفهم من غلاة الغيارى على العربية يوم انكروا عليه القول بـ (**تحديث**) اللغة لتساير العصر الحديث ، وهو لا يدري ماذا ينتقص عن شأن (**علم الحديث**) اذا كان للتحديث اكثر من معنى في المعجم (١) !

التزم فقيدنا في مجمع اللغة بخطٍّ اختَطّه لنفسه ، غيرُ مبالٍ بموقعه بين علماء العربية ؛ فبينما **تراه في اقصى يمين هؤلاء مرات عديدة** ، **تراه احيانا في اقصى يسار اولئك** ؛ وليس لك ان تعجب ، لان الفقيد ألزَم نفسه بالمتون التي حفظها ، وبالقواعد التي قال بها علماء اللغة ، والنحويون بخاصة ، تلك القواعد التي آمنَ بها اسلوبا وحيدًا للحفاظ على اللغة وإنمائها .

وعندما اختلف راي المجمعيّين حول اجازة ادخال لفظه « **مناورة** » في المعجم على احد الوجهين التاليين :

الاول — ان من معاني « المناورة » : الدهاء ، فمن حقها ان تثبت في المعجم في مادة (**ن و ر**) التي تحمل معنى الخداع والحيلة .

---

(١) انظر وقائع مؤتمر ١٩٧٩ في ص ١٢٤ من مجلة المجمع الاردني عدد ٣ .

الثاني — ان لفـــظ « مناورة » معرب ، ومنقول بدلالتيه الحربية والسياسية المجازيتين ، ومن الواجب ان يدخل في المعجـــم في مـــادة (م ن ا) .

وقـــف الفقيد مع اصحاب الراي الاول ، ليعلن أن وزن « المفاعلة » وزن اصيل شائع في العربية مثـــل : المداورة والمراوغة والمشـــاورة والمحاورة ، وليس في قواعـــد العربية ونصوصها ما يمنع من ان تدخـــل الكلمة في مـــادة (ن و ر) كما تدخل الكلمات المشابهة في مـــواد (د و ر ، و ر و غ ، و ش و ر ، و ح و ر) فهـــي مثلهن عربيـــة ، وان لـــم تَرِدْ في المعجمات ؛ وكأنه يقول **بأن المناورة عربية الجذر بمعنى الدهـــاء ، أمـــا معانيها الحديثة فهي من قبيل المجـــاز المستحدث** (١) .

وعُرِضَت على المؤتمـــر ، في دورته الاخيرة ، كلمة (**التطبيع**) بمعنى (**اجعلها طبيعية**) ، كمـــا تردَّدَتْ على صفحات الجرائد وعلى السنة رجال السياسة ، فكان الفقيـــد مع كثير من زملائه لا يرون ما يمنـــع مـــن اجازة الكلمة بالمعنى المذكـــور ، طبقا للضوابط اللغوية ، ولكن هـــذا المعنى السياسي الجديد **رَفَضَتْه الاكثرية عنـــد اعلان التصويت عليه** (٢) .

وعندمـــا وقف بعض المتشددين من المجمعيين ينتقد استخدام الكُتّاب والصحافيين لفظـــة (**تواجَدَ**) بمعنىً لا تُقِرُّه معجمات اللغة ، ثـــار الفقيد **مبرئا العربية من الجمـــود الذي توصم بـــه** ، وقائلا : ان العربية لا تحول دون اعطاء كلمة (تواجَـــدَ) المعنى الذي يريده المعاصرون ، **فمَثَلُها مَثَـــلُ : (تكاثَـــرَ) و (تناسَـــل)** (٢) .

شمائل الفقيـــد ومزاجه :

خَبِـــرْتُ الفقيد خلال عـــدد من السنوات ، بمجاورتي لـــه في المؤتمرات السنوية لمجمع اللغـــة العربية ، فما عرفت عنه الا رقّـــة

---

(١) انظر المصـــدر السابق .

(٢) انظر المصـــدر السابق .

الشمائل ، مع اقتصاد في المجاملات المتعارف عليها بين الزملاء . كان رحمه الله ، **عفّ اللسان ، صافي السريرة** ، يقول ما يعتقد ، دون محاباة او مواربة ، او يُصمت . لم اسمع منه يوما كلمة نابية ولو بحق انسان فيه انحراف او عنده زيغ .

كان **خجولا** ، لا يجلس الا جنبَ من يأنس اليه ولا يتطفّل على مكان شاغر بين الناس اذا لم يُدْعَ اليه ؛ كان هادىء الاعصاب ، عنده قدرة عجيبة على امتلاكها اذا ما أُثيرت ، مع كثرة المنغصات .

لم اشعر يوما بكُرْهٍ يُضْمِره نحو احد ، ولو كان ممن يُكثر الغمز واللّمز من النحو او النحاة ؛ وكثيرا ما سمعته يردد جملة (**هداه الله**) .

كان الفقيد ، اذا ما استقرّ به المقام ، نَثَرَ دفاتره واوراقه امامه ، وقد ملأها بخطوط وشارات ورموز لِتُذَكِّره بالمواضع التي عليه ان يتنبّه لموعد عرضها ، فيبدي اعتراضه عليها او نقده لها ، او دفاعه عن سلامتها ؛ وكانت الدفاتر تُسعِفُهُ بالادلّة التي يستند اليها وبالمصادر التي يعتمدها ، **وحتى بارقام الصفحات في هذه المصادر وبتاريخ طبعها ومكانه** .

كان الفقيد يسند كوع يسراه على المنضدة ، وكفُّه مفتوحة تشير دائما الى ان صاحبها يطلب الكلام ، بينما تكون يمناه تعبث بالاوراق المنثورة ليستخرج منها الورقة ذات الصلة بالموضوع الذي تدور حوله المناقشات . وهو يحاول ان لا تفوته كلمة ممّا يدور ، وكثيرا ما فاته الاذن بالكلام وهو راغب فيه ، فكان يتردد في الاصرار على طلبه ، وبخاصة عندما يشعر برغبة الاكثرية في امضاء الامر المطروح على التصويت ، الا اذا كان الأمر مما لا يصحّ سكوته عليه ، **فكان يرفع يمناه الى اقصى ما يستطيع لينال الاذن بالكلام** ؛ واحيانا كان لا يتاخر عن الوقوف ليعلن انه يريد الكلام ، حتى اذا ما اعطيه ، كان جريئا في الدفاع عما

يعتقد صوابه ، شديدا في مهاجمة مـا سمعه او ما يراد اقراره ، مبيِّنـًا وجـه الصواب المتفق مع النصوص ، تاليا لهـا او مشيرا الى موضعها .

كـان الفقيد يحاول ان لا يُرُدّ على زميل من غير المصريين لا يعرفـه ، قبل **ان يميل نحوي سائلا عن هويـة المتكلّم ومشربه** ، كـي لا يتعدّى حدود الموضوع الى البواعث الخفيّـة .

كـان وطيسُ المناقشات يَحْمَى في كثير من الجلسات ؛ فاذا رغـب فقيدنا في الكلام **انتظر الاذن ليبداه . ولـم اره مرّة يقاطع متكلّما** ، علـى كثرة الذين كانوا يقاطعونه ، حتى اذا انهى الراي الذي يريـد ابداءه او تسجيله في محضر الجلسة لتقـراه الاجيال الناشئة ، استراح غـير عابىء بصدى كلامـه عند سامعيه ، وغير مهتمّ براي منكِـرٍ او مستَهْجِن .

كان،رحمه اللـه ، كثيرا ما يغضّ الطرف عن الحركات التي يقوم بها بعض مخالفي آرائه ، او عـن التقلّصات التي تعلو وجوه بعضٍ آخر ، غير ملتفت الـى الوريقات الصغيرة تتداولها بعض الايـدي ، **وفيها البيت او البيتان من روائع « شعر البدائه » غمزا** بالنحو والنحويين . وان أَنْسَ لا أَنْسَ يومـًا وقَعَتْ بيده احدى تلك الوريقات ، فاذا بـه يبتسم متوجّها نحو مصدرها وهـو يقول : **رائع .. ولكن** لـو كان (كذا) بدل (كذا) **لكان القول ابلـغ .**

كمـا اني لا انسى يوما قرأتُ فيه قطعة ادبية صَنَعَها **المرحوم محمـد كامل حسين ، صاحب « النحـو المعقول »** (١) ، فيها تَهَكُّمٌ على النحويين وسخرية بآرائهم وتعقيداتهم ؛ ثـم علمت بأن عباسا ، تغمده اللـه

---

(١) محمد كامل حسين عضو مجمع اللغة العربية (١٩٠١ — ١٩٧٧) كـان احد عباقرة العلم والادب والنقد ، وكان جرّاحًا ماهرا وفيلسوفا اديبًا ، وناقـدًا يؤمن بالعلم والحقيقة ، وكان يكـره اساليب النحويين القديمـة وتعليلاتهم ، له،فضـلا عن كتابه « النحو المعقول » ، مؤلفات قيّمة من اهمها : « قرية ظالمة » و « التفسير البيولوجي للتاريـخ » و « الوادي المقدس » و « الذكر الحكيم » و « وحدة المعرفة » و « متنوعـات » .

بالرحمة والرضوان ، سبق ان اطّلع عليها ، ولكنه لـم يخرج عن قوله :

« سامَحَـه اللـه » .

كـان مقبدنا ، رحمه اللـه ، يُحلِّق في اجوائه منفردا ؛ كانَ أُمَّـةً وحده . اجزل اللـه ثوابه ، وعوَّض العربية خـيرا .

دمشـق في ١٩٧٩/٤/٥ .

د. عدنـان الخطيـب

تعليقات
و
مُناقشَات

« تِـين إيجرز » = « عَشرِيُّون »

جـاء في مقال للزميل الدكتور ناصر الدين الاسـد عنوانـه : « العشرينات والعشرينيّات » ، ظهر في العـدد الاول من هذه المجلـة (عـدد كانون الثاني ١٩٧٨) في الصفحة ١٤٥ منه ، قوله إننا نحـار في اختيار كلمة عربية مقابلة لكلمة « تين ايجرز » الانكليزيـة .

وأنـا مِثله لا اعرف ان العرب استُحدثوا قبل اليوم مصطلحا عربيا يقابل هذا الاصطلاح الانكليزي ويؤدي معنـاه .

ولقـد رُدَّ الزميل الاستاذ روكس بـن زائد العزيزي في العدد الثاني من المجلة (عـدد تموز ١٩٧٨) في الصفحة ١٨٢ ، على مقـال الدكتور الاسد ، بأن « الارادنة يقولون ، وهـم يذكرون الفتاة والفتى في ما بـين الحادية عشرة والتاسعة عشرة : بالطُّعْش ! » .

العامّـة يقولون هذا حقا ؛ فالقضية محلولة بالنسبة الى اللهجة العامية ، لان هذا اللفظ موجود فيهـا ، فيقال : (ثلاث طُعْش ـ اربع طُعْش ـ الـخ) وليس في الاردن فقط ، بـل في كـل بـلاد الشـام ؛ كما ان المصريين لا يخطئون في هـذا كثيرا عن الاردنيين ، اذ يقولون : (ثلاث طُعْشُر ـ اربع طُعْشُر .. الـخ) . واما العربية الفصيحة فليس فيهـا شيء من ذلك ، ولا يُعقل بأيّ حال ان تستفيـد من المصطلح العامي الثقيل علـى اللفظ والسمع . ولعل الاخ العزيزي انما قَصَدَ في ردّه المداعبة ، ولم يكن جادًّا في ما قالـه .

وقـد خطر لي ان لفظة « عَشرِيُّونَ » يُمكن ان تؤدي المعنى بدقّةٍ ولطف معا ، قياسا على مـا ذكره الدكتور الاسـد نفسه في مقالـه المشار اليه ، عند تفسيره لقول الشاعـر :

بِنْتُ عَشْرٍ لم تعانِق رَجُلاً صُوِّرَ البدرُ على صورتهـــا

فقـــد عَلَّقَ على ذلك قائلا : « ان الشاعر لـــم يقصد الى تحديد سن العاشرة ... وانمـــا اراد هذه السنّ التي تزدهر بين العاشرة والتاسعة عشرة » (ص ١٤٤/١٤٥) . وهذا حـــقّ ؛ فليس حتما ان تعني « العشرة » رقمها وحده ، بـــل يمكن ان تشمل بقية الاعـــداد المركّبة . ولهذا يمكن ان نقول ببساطة : « هـــذا فَتًى عَشَرِيٌّ ـــ وهذه فتـــاة عَشَرِيَّة » ، ونحن نعني سنّ العشرات ، لا السنوات العشر فقـــط .

اذا جـــاز هذا ـــ ولستُ ارى ما يُمْنَع من جوازه ـــ فـــانّ انسب لفظة عربيّة تقابل « تين ايجرز » الانكليزية هـــي « العَشَرِيّون » ؛ وهذه لفظة سهلة ، يتقبّلها الذوق ، وتَدُلّ على معناهـــا دون غموض او تعقيد او جفـــاء .

ومـــن الممكن ان تقترن احيانا بالموصوف ، فيقـــال : « الفِتْيـــانُ العَشَرِيّون » ، كما ان بقاءها وحدها يكفـــي للدلالة على المقصود ، لانـــه لا يمكن ان تَرِدَ الا في جملة تدلّ على ان المقصود هو الفِتْيان والفتيـــات الذين هـــم في سن العشرات .

وقياســـا على ذلك يُمكِنُ ان يقال لِمَـــن هـــم في سن العشرينات او الثلاثينـــات : (العِشْرينيّون ، او الثلاثينيون ... الخ) ولمـــن هـــم في سن الثمانينات او التسعينات : (الثَّمانينيّون او التسعينيّون) . ولعلـــه ليس غريبا على اللفظ والذوق والسمع ان يقـــال : « شيخ ثَمانينيّ » او « شيخ تِسعينيّ » ، دون تحديد للثمانين او التسعين من عمـــره .

* * *

عيســـى الناعـــوري

اقتراح اسم عربي لمحصول الحبوب الجديد المسمّى في اللغات الاجنبية : تريتيكالـــي TRITICALE

تريتيكالـــي هو اول محصول للحبوب يوجده الانسان عن طريق تهجين القمح Triticum من الشيلـم Secale ؛ وتَوَلَّـدَ الاسم لهذا المحصول الجديـد Triticale من المقطع الاول والثانـي للاسم العلمي للقمـح Triticum ، والثاني والاخير للاسم العلمـي للشيلـم Secale . ودَرَجَ كثيرٌ من العرب المشتغلين في مجال علـوم المحاصيل وتربية النبات على استعمال هـذا الاسم الاجنبي . ولقد حاولتُ منذ مـدّة ايجاد اسم عربي ـ يضاف الى لغتنـا العربية التي نعتزّ بهـا جميعا ـ لهذا المحصول الجديد، باستعمال الطريقـة نفسها تقريبا التي تَوَلَّـد عنها الاسم الجديد في اللغات الاجنبيـة . وذلك بأخذ بعض المقاطع من كلمة (قمـح) وكلمة (شيلم) وضمّهـا الـى بعضها البعض .

واذا مـا نظرنا الى كلمة (قمح) فانها تتكوّن في نظـري مـن مقطعين: (قـم) و (ح) ؛ امـا كلمة (شيلم) فهي تتكون ايضا مـن مقطعين اثنين (شيـ) و (لـم) .

واذا مـا افترضنا ان الاسم العربي الجديد الذي نبحث عنـه لهذا المحصول لا بـد ان يبدأ بالمقطع الاول من كلمة (قمح) او (شيلم)، لان هذا هو الشيء المنطقي والسليم ، فـان الاحتمالات المتوافرة لدينا عندئـذ هـي :

١ ـ قملـم ، باستعمال المقطع الاول من كلمة قمح (قـم) والاخير من كلمة شيلـم (لـم) .

٢ ـ قمشى ، باستعمال المقطع الاول من كلمة قمح (قـم) والاول من كلمة شيلم (شيـ) .

٣ ـ شيح ، باستعمال المقطع الاول من كلمة شيلم (شيـ) والاخير من كلمة قمـح (ح) .

٤ — شيقم ، باستعمال المقطع الاول من كلمة شيلم (شـــي) والاول من كلمة قمح (قـــم) .

واذا مـــا استعرضنا هذه الاسماء العربية الاربعة المتولّدة لدينـــا والمبينة اعلاه، من حيث سهولة النطق بهـــا ووقعها على اذن الســـامـــع العربي، فاننا نجـــد ان :

١ — قملـــم : ثقيلة على النطق وغير موسيقية وغير مستساغة للأذن .

٢ — قمشـى : ثقيلة على النطق وغير موسيقية وغير مستساغة للأذن .

٣ — شـيح : خفيفة على النطق وموسيقية ومستساغة ، غير ان لهـــا عيبا كبيرا وهو انـــه عندما يساء نُطقُها (بكسر حرف الشين) يحصل التباس بينها وبين اسم نبات آخر ينمو برّيـًّا في بعض البلاد العربية وهـــو : شِيْح (نكرة) والشِّيْح (معرّفـــا) .

٤ — شُيْقَم : اخـــفّ من كلمة قملم وقمشى، ولها وقـــع موسيقـــي، ومستساغة ايضا ، مع عـــدم وجود الالتباس بينها وبين اي كلمة عربية اخـــرى .

وعليـــه فان : "شُيْقَم" هو احسن اسم عربـــي بين هذه الاسماء الاربعة يرشّح لمحصول الحبوب الجديد تريتيكالي Triticale

د. خيري الصغير
كلية الزراعة / جامعة الفتح
طرابلس / ليبيـــا

أخبار مجمعية

نعـــي عالـــم جليـــل

ينعـــي رئيس مجمع اللغـــة العربية الاردني واعضاء المجمـــع زميلهم العالم الجليل المستشرق المجـــري :

الحـــاج عبد الكريم جرمانوس

الذي انتقل الى جوار ربـــه بعد أن تجاوز الخامسة والتسعين من عمره . وكان المرحـــوم عضوا في مجامـــع القاهرة ودمشق وبغداد، وفي عِدّة مجامع علمية غربية وشرقية.

حاجي عبد الكريم جرمانوس
مع المودة والاجلال
١٩٧٦

وإنّ المجمـــع الاردني اذ يعرب عن أسفه الشديد لفقد هذا العالم الجليـــل والزميل الكريم ، ليتقـــدّم بتعازيه الى اسرة الفقيد ، والى الحكومة المجريـــة وجامعة بودابست . تَغَمَّدَه اللـــه بواسع رحمته ورضوانه .

وانا للّـــه وانا اليه راجعون .

المجمع العلمي الهندي

تلقّى رئيس مجمع اللغة العربية الاردني رسالة من الدكتور مختار الدين احمد ، رئيس قسم اللغة العربية وآدابها في جامعة عليكرة والامين العام للمجمع العلمي الهندي في عليكرة ، في الهند ، جاء فيها ما يلي :

« يُشرّفنا ان نخبركم باننا هنا ، بجامعة عليكرة الاسلامية بالهند ، اسّسْنا مَجْمَعًا علميًّا عربيا باسم (المجمع العلمي الهندي) ، واصدرنا مجلّة علمية عربيّة باسم (مجلّة المجمع العلمي الهندي) ؛ نتمنّى وندعو الله ان تكون هذه المجلة مجلّة علمية ادبية خالصة ، وتكون همزة وصل بيننا وبين ابناء العروبة ، وتكون ملتقى الاقلام من علماء الشرق والغرب ، وتحمل لواء اللغة العربية في القارّة الهندية العظيمة . وقد صدر العدد الاول منها ، ونرجو ان يلحق به العدد الثاني في المستقبل القريب » .

ونحن نبارك للمجمع العلمي الهندي ، ونتمنّى له الازدهار والعمل المثمر الناجح .

* * *

انتخاب اعضاء من المجمع الاردني اعضاء مراسلين في المجمع العلمي الهندي:

تلقّى الاستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة ، رئيس مجمع اللغة العربية الاردني ، والاستاذ الدكتور ناصر الدين الاسد ، عضو المجمع ، وعيسى الناعوري ، الامين العام للمجمع ، رسائل من الدكتور مختار الدين احمد ، الامين العام للمجمع العلمي الهندي في عليكرة ، يبلغهم فيها انتخابهم اعضاء مراسلين في المجمع العلمي الهندي . فللمجمع الشقيق خالص الشكر والتقدير .

المجمع العلمي العراقي

قرر المجمع العلمي العراقي في جلسته الثالثة التي عُقِدَت يوم الثلاثاء ١٣٩٩/١٢/١٦هـ. ، ١٩٧٩/١١/٦م. ، انتخاب رئيس مجمع اللغة العربية الاردني وجميعَ اعضاء المجمع ، وعَدَدُهُم اثنا عشر عضوا ، اعضاء مؤازرين في المجمع العراقيّ الشقيق . وقد تَلَقّى كلٌّ منهم كتابا بهذا الصدد من الدكتور صالح احمد العلي ، رئيس المجمع .

والمجمع الاردني ، برئيسه واعضائه ، يعتزّ بهذا التقدير الكريم من المجمع العراقي الشقيق ، ويعتبر هذه البادرة تكريما يستحقّ اجمل الشكر واعطر الثناء ؛ وهي ايضا مسؤولية علمية وامانة في حمل رسالة اللغة العربية العزيزة بمزيد من الهمّة والنشاط والغَيْرة ، لكي تعود لغةَ علم وحضارة في يومها مثلما كانت في امسها الغابر المجيد .

ونَتَمنى الله جميعا الى الخدمة المثلى للغتنا وتراثها الغاليين .

* * *

من اجل تعريب التعليم العلمي الجامعي

صَدَرَ عن مجمع اللغة العربية الاردني اخيرا كتاب الرياضيات (حساب التفاضل والتكامل والهندسة التحليلية) ، تأليف سووكوفسكي ، وترجمة لجنة من اساتذة الجامعة الاردنية المختصين ، في مجلّدين كبيرين . وهو الكتاب الاول من سلسلة الكتب العلمية الجامعية التي قام المجمع بترجمتها ونشرها ضمن حملته الرامية الى تعريب تدريس العلوم في الجامعات العربية . وقد أرْسَلَ المجمعُ نسخة منه الى كل واحدة من الجامعات في الوطن العربي للعلم .

هذا وسَتُصْدِر قريبا كتب (الكيمياء — والبيولوجيا — والجيولوجيا). واما كتاب الفيزياء فسيتأخر بعض الوقت .

والمجمع يرجو ان تجد حملته اصداءها المرجوّة لدى الجامعات العربية الموقّرة ، بعد ان اصبحَ تعريبُ التعليم العلميّ ضرورةً مُلحّة ، تستدعيها كرامةُ اللغة ، والحرصُ على دعمها .

* * *

تعريب المصطلحات

أقرّ مجلس المجمع في الآونة الاخيرة المصطلحات العسكرية الخاصة بسلاح المدفعية ، وسلاح اللاسلكي ، واللوازم والنقل،والتموين العسكري . وسينظر قريبا في مصطلحات سلاح الهندسة ، تمهيدا لاصدارها في معاجم خاصة ، لكلّ سلاح على حِدَة .

ولم ينسَ المجمع الجهدَ الكبير الذي بُذِلَ في وضع (المعجم الموحّد) الذي اشتركت فيوضعه الجامعة العربية ، والمجامع اللغوية والعلمية ؛ فهو جهد كبير يستحق التقدير والاجلال . غير ان جُهْدَ المجمع قد اقتصر على الاضافات التي رآها الخبراء العسكريون الاردنيّون ، وما ارتآه المجمع والخبراء من تصويبات لبعض المصطلحات الواردة في (المعجم الموحّد) . وبذلك يكون جهد المجمع مكملا لجهد اللجان التي عملت في وضع المعجم الموحّد .

ومن جهة اخرى ، فرغت اللجان الفنّية في المجمع من حصر مصطلحات التعليم المهني والتقني ، في الزراعة والصناعة والتجارة ، من واقع الكتب المدرسية ، لترسلها بواسطة وزارة التربية والتعليم الاردنية الى المكتب الدائم لتنسيق التعريب ، في الرباط ، لادخالها ضمن برنامج عمل المؤتمر الرابع للتعريب الذي سيُعقَد عام ١٩٨٠ .

يسر ان هذه المصطلحات سوف تناقَش في اللجنة العامة للمصطلحات والتعريب والمعاجم ، ثم في مجلس المجمع ، لوضعها في اللفظ الأدَقّ والأسلم ، ثم اصدارها في معاجم مستقلّة ضمن منشورات المجمع .